

54

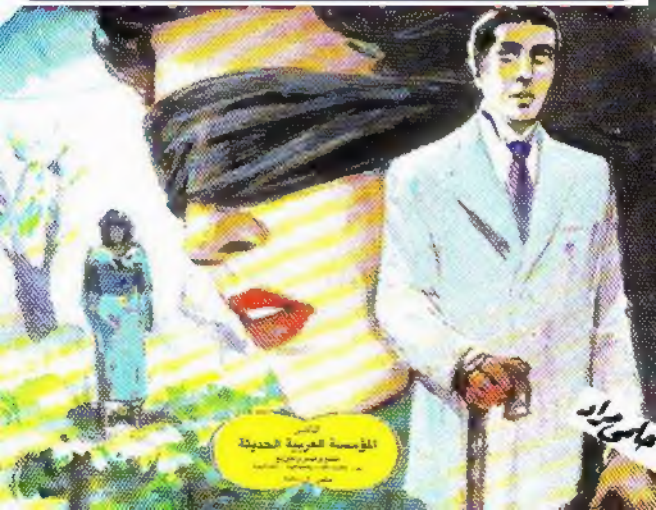
کتابی

فلورنس بارکلی



المسبحة

تليقدهام أكبر مكتبة هنا سور الأزيكية
600000 كتاب



المؤسسة العربية الحديثة

بيروت - لبنان
طبعة الأولى: ١٩٨٤
طبعة الثانية: ١٩٨٥

مأثور



أفلام : هنا شهر الأزياء
أكبر مكتبة رقمية

المسبحة

(الجزء الثاني)

ملخص ما جاء بالجزء الأول

كانت الشيلة « جين شامبيون » قبله شباب الجنيم اللندنى الراقى ، لا لصحبها ولأنها أخت دوقة ميلدرم ، ولا لجمالها ، فاتها كانت ذات ملامح مادية ، خالية من أى جمال صارخ ، وإن كانت مشوقة القوام ، ملنفة الجيد .. وإنما كان الشباب يعجب برقة أخلاقها ، ولطف سجاياها ، ومرح روحها ، وفكائها الفائق .. وكانت الفتاة تدرك هذا الواقع — الذى كان جديرا بأن يحزن نفس أية فتاة أخرى — وترفضه . لذلك كانت دهشتها بالغة ، عندما عرض عليها « جارث » دالمين — الفنان ، الذى أوتى ثروة ومواهب وجمالا — الزواج . لقد سمعها « جارث » وهى تغنى أغنية « المسبعة » ، فآذا به ينفذ خلال مظهرها الخارجى إلى أعماق نفسها وروحها ، ويدرك أنها جوهرة لا مثل لها ، ويلبس فيها كل ما كان يتشده .

وتفكر « جين » طويلا ، فلا تملك إلا أن تعترف بأن « جارث » كان يصغرها سنا ، وكان باهر الجمال ، ذائع الصيت ، واسع القراء ، تتهاونت عليه أجمل حسان المجتمع الراقى .. وكان فوق ذلك مشفوقا بالجمال ، يسمى دائما إلى أن يحيط نفسه بكل جيل . فتخال أن زواجا يجمعهما أن يكون موافقا قط ، وأن طول المعاشرة لن يلبث أن يفتح عينى

« جارث » على دمايتها .. لذلك ترفض يده ، ولا تجد علة تبديها له ، سوى صغر سنه ، وأنه فى نظرها .. « مجرد غلام » !

وتتشدد بها الحسرة وتباريح الحب ، فلا تلبث أن تقوم برحلة حول العالم .. وفى مصر ، ترى النيل يجرى بين الصحراء والخصب ، فترى أن من الممكن أن تعيش مع « جارث » على هذا النسق .. افئثار إلى الجبال — فى التركيب البدنى — يقابله غنى عاطفى ، وعقلى ، وروحى .. وتقرر أن تكتب له ، ولكنها تتأجأ بنبا فقدانها الابصار نهائيا ، كحسرع إلى لندن .. والآن ، تابع أحداث هذه القصة المشوقة ..

عشرة ، كما اعتقد أنه كثيرا ما يشعر بأنه في التاسعة من عمره !

— ويعد ؟

— منذ ذلك ظلت له أنني لا أستطيع أن أتزوج مجرد غلام !

— وهل انتصاع وقبل هذا ؟

— لقد لاح — في بادئ الأمر — أنه صعب .. ثم قال ان من الطبيعي الا أستطيع الزواج منه ما كنت أراه بهذا الوصف .. وقال انها المرة الأولى التي فكر فيها في شخصه بالنسبة لهذا الأمر .. ثم أضاف أنه يحس رأسه أمام قرارى . وسار مفادرا الكنيسة ، فلم تعلق بعد ذلك !

فاجابها الطبيب : « يدهشنى انه لم يكشف ما انطوى عليه قرارك يا جين .. فانت لم تتسودى الكذب حتى يتوقع منك أن تكذبى — وانت على عتبة الهيكل — على الرجل الذى احبته بكل قواك ! » . وهنا كسا وجه جين اجهارا قائم ، وقالت : « آواه يا دريك .. لم يكن ما ذكرت كذبا بمعنى الكلمة .. بل انها كانت أكثوبة بغيضة من النوع الذى « بعضه مسدق » ، والذى يصنفه تيفيسون بأنه : مسالة تشق مغالبتها ! » . فأكمل الطبيب الأبيات الشعرية :

« الأكثوبة التى هى كذب محض .. يمكن صدها ومغالبتها مباشرة .

الجزء الثانى

فاسترد الدكتور حديثه — في الحال — وانحنى إلى الامام ، واخذ يديها المغمودتين في يديه ، وقال : « ملاحظتى ، إذا كنت قد أخذت الأمر بشيء من الهزل والخفة .. ان كل ما لدى من فكر واهتمام طوع امرك . ولكن دعيني الآن أوجه إليك بعض الأسئلة : كيف قدر لك أن توفقى إلى إقناع « دالين » بأن امرا كهذا كان مقبلة كؤودا أمام زواجكما ؟ » .

— أنني لم ابد هذا كسبب يبرر وغنى .

— إذن فما هو السبب الذى بنيت عليه رفضك الزواج منه !

— سألته عن عمره !

— جين ! .. وانت واقفة بجواره امل الهيكل ، حيث جاء ليتلقى الرد منك ؟

— نعم . لقد تجلّت بشامة ذلك ، عندما ظلمت الأمر على وجوهه بعد ذلك . ولكنه أجدى !

— لست أشك في أنه قد أجدى .. ويعد ؟

— أخبرنى أن عمره سبعة وعشرون عاما .. فقلت له أنني في الثلاثين من عمري ، وأظهر كما لو كنت في الخامسة والثلاثين ، وأحس في نفسي بأننى في الأربعين .. كما ظلت له بأنه قد يكون في السابعة والعشرين ، ولكنه يظهر كما لو كان في التاسعة

« أيا الأكاذوبة التي بعضها صدق ، فمسألة تشق مغالبتها ! » .

وقالت جين : « نعم .. ولذلك فانه لم يقو على مغالبتها لأن بعضها صدق .. فهو يصغرني بثلاث سنوات ، وهذا الفارق في العمر ، يضاعفه الفارق في الطباع والمزاج .. وكان شبابه المرح النضر ، هو الذي جعلني أخاف نضوجي ورسائتي .. كان بعضها صدقا يا دريك ، ولكن الشطر الأكبر كان كذبا .. وزادها كذبا أن دعوته « مجرد غلام » ، وهو الرجل الذي شمرت برجولته الكاملة ، وانه سيد سيطر على ، في الليلة السابقة .. ولم يقو على مغالبتها كذلك ، لانه أخذ على غرة . فقد كان طيلة الوقت بعيدا عن الشعور بنفسه ، بقدر ما كنت انا اعاني كيدا من الشعور بنفسى .. كان كل تفكيره قاصرا على ، في حين كان تفكيرى منصبا عليه وعلى نفسى ! » .

فقال الطبيب : « لقد استحققت كل غصة مما عانيت منذ تلك اللحظة ! » . فاحت جين رأسها ، وقالت : « أعرف ذلك » .

— لقد خدعت نفسك ، ولم تكونى صادقة مع حبيبك ، فسلبت كلا منكما الآخر وغششته . أو لا ترين الآن خطاك ؟ .. لو أنك أخذت الأمر على أبسط احتمالاته ، لتبينت أن دالين .. وهو العابد للجمال — قد انتخم من جمال الوجوه ، حتى تفرزت نفسه .. كان كسبي صانع الحلوى ، انذى يباح له كل ما يشتهى من الكمك والحلوى — عندما يلتحق

بالحمل — فياكل في الأسبوع الأول كثيرا جدا ، إلى حد أنه يشعر بعد ذلك بالتفرز من كل حلو ، ولا يقبل سوى الخبز والزبد .. لقد كنت لدال الخبز والزبد ، وأرجو أن تسامحين إذا كان هذا التشبيه لا يرضيك !

فاغتسمت جين وقالت : « بل إن التشبيه يعجبني » . بينما استطرد الطبيب قائلا : « بل أنك كنت أكثر من ذلك بكثير يا فتاتي العزيزة .. كنت في نظره مثلا أعلى للمرأة ، وقد آمن إيمانا عميقا بقوة شخصيتك ، وحنانك ، وكياستك ، وظرفك ، وصفتك .. وإذا بك تحطمين هذا المثل الأعلى ، وتهدمين ذلك الإيمان .. إن طبيعته الخيالية ، الفاتنة ، المتوثبة — بكل ما فيها من إمكانيات عاطلة ، ومن إيمان وإخلاص ووله — قد وجدت في حبك مرفا وملذا أمينا ، ماذا بك — في اثنتي عشرة ساعة — تلقين بكل ذلك في قاع اليم .. لقد كان ما نعلته جريمة ، يا جين .. وقد تجلى ما للرجل العزيز من قوة رائعة ، في المسلك الذي سلكه عقب ذلك ، فان نجاحه في منه لم يقف عند حد ، بل انه — على العكس — بلغ حد الإعجاز ، ولم يجرفه اليأس إلى زواج جنونى فاشل ، ليهزأ بذلك من آلامه .. ولا إلى الزواج من أخرى مجردة من الجمال ، إمعانا في الكيد لك ! .. كان في مقدوره أن يفعل الأمرين — أقصد أيا منهما — وعندما أتمثل الشاب المسكين — الذي كنت بجانبه بالأس — يصارع دياجير الظلام في شجاعة نادرة ، ويقلب رأسه على الوسادة ليقول ، وقد أشرق وجهه النحيل بنور الأمل : « وحيث تكون أنت مرثضا فلن يكون ثمة

مرض .. كلما فكرت في أنه قد تعرض لكل ذلك من جرائك أنت يا جين ، تمنيت لو أنك كنت رجلا لألهب ظهرك بالمصياط !.

وبسّطت جين كتفها ، ورفعت رأسها بكثير مما عسرت عنها - من قبل - من شمم ، وقالت : « بل أنك جعلتني فعلا يا لغدائى ، بما لا تقوى سوى الكلمات - الصادرة عن حلق صادق - أن تأتيه ، وها أنذى أحس براحة من جراء هذا الألم .. والآن ، يحسن بى أن أخبرك بأننى - بينما كنت فوق قمة الهرم الأكبر - رايت المسألة فجأة ، من زاوية أخرى . أنك تذكر - ولا ريب - ذلك المنظر الذى تطل عليه من فوق قمة الهرم ، والخط الحاد الذى يقسمه ، فمن ناحية النهر : الخضرة والمشب والشار كأبداع حديقة محدودة .. ومن الناحية الأخرى : ببداء شاسعة لا تدرك العين مداها .. حرية ذهبية طليقة ، ممتدة حتى الأفق ، غلا نبات ، ولا أمل فى خضرة ، وأنا جندب ، وأقنار ، ووحدة ، ووحشة .. لقد شمرت لدى رؤيتها بأن هذه الحال صورة كاملة لحياتى التى أحيها الآن ، فان حب « جارث » - إذ يتدفق فيها كالنهر - يستطيع أن يعلما « نيميا » هنا .. كان كتيلا بأن يحد من حريتى ، ولكنه كان - فى الوقت ذاته - معنى نهاية وحدتى .. لا سيما وأن حرية الفرد فى أن يحيى لنفسه فقط ، تتحول مع الزمن إلى عبودية ملة ! .. وتحققت - عند ذلك - بأننى قضيت عليه - هو الآخر - بهذه الحياة المجسدة القاسية . وهبطت فاستشرت أبا الهول المعجوز . ولاح لى أن تلكا العيينين الساجبتين ، الحكيمتين ، المتطلعتين إلى عالم

الغيب ، قولان : « أنا يعيش حقا ، أولئك الذين يحبون ! » . وفى تلك الليلة مقدت العزم على إلقاء رحلتى إلى أعالي النيل ، وعلى العودة فوراً إلى بلادى . فاستدعى « جارث » وأعترف له بكل شيء ، وأسأله أن يدعنا نبداً - نحن الاثنان - من جديد ، من حيث انتهينا منذ ثلاث سنوات مضت - فى ضوء القمر - فى شرفة قصر (شفتون) .. ولم ينقض على هذا التصيم عشر دقائق ، حتى فوجئت بسباع الخبر المنجع ! .

وعند ذلك ظلل الطبيب عينيهِ بيده ، وقال بصوت منخفض : « ان عجالات الزمن تسير دائماً إلى الأمام ، ولكنها لا تعود مطلقاً إلى الوراء ! » . فصرخت جين : « آواه يا دريك .. أنها تعود فى بعض الحالات ، وأنت وفلور تطلبان ذلك » . فابتسم الطبيب بأسى وقال لها فى رقة وحنان : « أعرف ان هنسك استثناء واحدا لكل قاعدة ! .. ثم أضاف بسرماً : « على أنه مما يساعد على اصلاح الأمر - بلا مرأى - ما كان من اتجاه تفكيرك ، إذ كنت قد اعترفت بخطئك - قبل أن تعلمى بمعنى دالين - وعقدت العزم على أن تركضى إليه ! » .

فأجابته جين : « لست موافقة تماماً من اننى كنت مخطئة ، ولكننى كنت قد اتقنمت تباراً بأننى لم أجد أستطيع العيش بدونه دقيقة واحدة ، ولذلك عولت على المجازفة . أيا الآن ، فان الحادث الذى جرى لغدائى المسكين ، قد محا كل شك أو حاجة إلى تساؤل .. وهذا مما ييسر الأمور نيميا بخص بترك الناحية بالذات ! » . فهدق الطبيب فى حين ورنس حاجبيه نجاة ، وسأله : « ييسر الأمور ! » .

وإذ بدأ على «جين» أنها كانت مرتاحة إلى ذلك التعبير . فلم تحاول أن تزيد أيضا ، نهض الطبيب عن مقعده وأخذ يحرك نار المدفأة . وظل في موقفه لحظات ، مستغرقا في تفكير عميق . حتى إذا عاد إلى مقعده ، كان صوته هادئا جدا ، وإن بدت لهجته متحفزة بدرجة جعلت لها «جين» ، فشمعرت بأن حديثهما قد بلغ مرحلة حاسمة .. وقال لها الطبيب : « والآن يا عزيزتى جئنا ، لعلك تثبطينى بما انتسويت عمله » . فاجابته جين : « عمله ؟ .. وهل هذا موضوع تساؤل ؟ .. سأذهب توا إلى جارث ، وأنها أريد منك أن تبصرنى بخير الوسائل لاتبائه بحضورى ، وبها إذا كان من المأمون أن يتعرض للانفعال الذى يثيره وصولى ! .. ثم اننى لا أريد أن اتعرض لأن يحجزنى الأطباء والمرضات عنه ، فإن مكائى إلى جواره ، ولست أبتغى في الحياة خيرا من أن أكون بجانبه دائما ، ولكن المولكين بغرف المرضى يكونون — عادة — ذوى عقول جامدة ، ولن تكون المصافحة محتملة في مثل هذه الظروف .. أن برقية منك كافية لتهدئ الموقف » .

وقال الطبيب في ثان : « أجل .. حقا ، أن برقية منى تفتح لك طريقا إلى غراش جارث دالين ، ولا شك . ولكن ، ماذا يكون بعد وصولك إلى هناك ؟ » . فارتسمت على شفتى «جين» ابتسامة رقيقة ، حنون ، لمحها الطبيب فأشاح برأسه توا . فيها كان له — ولا لى رجل — أن يرى هذه الابتسامة .. وكانت العينان اللتان يحق لهما رؤيتها قد عقدتا الإبصار إلى الأبد !

— ماذا بعد ذلك يا دريك ؟ .. أن الحب خير من يعرف ماذا يكون بعد ذلك . فسوف تنهار كل الحواجز ، وسابقى وجارث معا !

ولدى سماع ذلك ، التقت أطراف أصابع الطبيب ببعضهما ببعض ، وسكت لحظة .. وحينما تكلم ، كانت لهجته معتدلة ، مترققة . فقال : « آه يا جين ، هذه هى وجهة نظر المرأة .. وهى بلا ريب أبسط وجهات النظر ، وقد تكون أفضلها .. ولكنك ستواجهين عند غراش جارث وجهة نظر الرجل ، ولن أكون أهلا للثقة التى تضعينها في شخصى إذا لم أصارحك بهذه الحقيقة الآن .. فإن تصرفك المخطئ منذ ثلاث سنوات ، يضغط الآن — من وجهة نظر الرجل — في مركز يكاد يكون بمنزلة الصلاخ .. فإذا أنت ذهبت الآن إلى جارث تهيبه حبك — وهو الكثر الثمين الذى سألك إياه منذ ثلاث سنوات ، وغشيل في الظفر به — فمن الطبيعى أنه سيأخذ هذا الحب على أنه في جوهره عطف ، وليس جارث دالين بالرجل الذى يقتبل العطف والشفقة حيث أراد أن يظهر بالحب ففشل ! .. كما أنه لن يسمح لأية امرأة — لا سيما تلك التى كانت مثله الأعلى في المرأة — أن تربط نفسها إلى عماه ، ما لم يستوثق من أن هذا الارتباط مبعث سعادة عريقة .. فكيف تتظن أن يتبل هذا الاعتقاد ، أمام الواقع الذى يتصل في أنك رفضته وأقصيته ، عندما كان أسى ما يشوب قلب المرأة ! .. أما إذا شرحت له سبب الرفض — وهو — لا شك في ذلك تنبؤ عمل — فسيكون رده الوحيد : « إنك ستنتهي من الصلاخ »

عندما كنت مبتعثا بيمرى .. وها انتدى ثاتين وانا اعمى ، ولم اعد املك ان اثبت لك وفائى .. ما من خير فى وضع تلبيه الحاجة والضرورة ، ولن اشعر باننى حائز لثقتك ، لانك لم تات إلا حين اعجزنى حادث عن القدرة على إتيان ما كنت تخشين وقوعه ، او عن إثبات اننى فوق مستوى ارتياك ! .. هذا هو الموقف - يا بنيتى العزيزة - من وجهة نظر الرجل . من وجهة نظر جارث - ولا ريب - أكثر مما هى من وجهة نظرى او نظر أى شخص آخر ، فأننى أوقن ان « جارث » أشد منى اعتزازا برجولته . ولو أننى كنت مكانه فى الكنيسة - يوم رفضت قبوله - وكنت أرغب فيك بقدر ما كان هو راغبا ، لركعت عند قدميك مستعطفا ، وأعدا بان أكون أكبر سنا مما تعتقدين .. اما جارث دالمين فقد أوتى ارادة حديدية مكنته من ان يستدير وينصرف - دون أى احتجاج - حين رأى المرأة التى كانت طوع بنانه فى الليلة السابقة ، ترفضه - فى الصباح التالى - متعللة بعدم لياقته .. إننى أخشى الا يكون ثمة نزاع فى وجهة النظر التى سيقخذها فى الموقف الحالى ! » .

وتفتت قلب الطبيب لما رآه من امتناع وجه جين ، وهى تقول : « ولكن يا دريك .. أنه يجب .. » .

ولجرد انه « يجب » - يا بنيتى العزيزة - فلهن لن يقبل ، فيما يتعلق بك ، ألا الحد الأقصى !

— أواه يا فتى ! .. ساعدنى ! .. افتح لى متفذا ! .. نبئنى بما أستطيع أن أفعل !

وتجلى القنوط فى عينيها ، ثمكث الطبيب يفكر - فى صمت - طويلا ، ثم قال أخيرا : « لست أرى سوى مخرج واحد من هذا المازق .. إذا امكن إقناع جارث بطريقة ما ، بأن وجهة نظرك فى ذلك الوقت كانت مستساغة - دون ان يعرف أنها كانت السبب الفعلى لرفضك - وتسنى له أن يعبر عما يخالج ضميره فى وضوح - لى مثلا - بحيث يصل حسدته إلى مسميك - دون أن يكون مقصودا أن يصل إلى مسميك - فقد يجعلك هذا فى موقف أفضل من ناحيتك . ولكن هذا عسير التنفيذ .. لو أنك استطعت أن تكونى على اتصال مباشر بمقله ، وأن تكونى بجانبه دائما دون أن يراك - آه ، يا صديقى المسكين ، فان هذا ميسور الآن ! - انها أقصد أن تكونى بجانبه دون ان يظن إلى شخصك .. فاذا امكن مثلا أن تتخذى شخصية الممرضة المرافقة التى سأبحث بها إليه ، وتنفذى إلى عقله وتفكيره بهذا الصدد ، وبذلك يحس - عندما يحين الوقت لتكشفى له عن نفسك وتعترفى له - بأنه قد شرح موقفه اياك ، ويكون بذلك قد اخترق دياجير الظلمة التى اكتنفته بهذا الصدد ! » .

وقفزت جين عن مقعدها ثائلة : « لقد وجدتها يا دريك .. ايمت بى فى مكان الممرضة المرافقة التى اخترتها له ، وإن تخطر له شخصيتى ، ولو فى المنام . فلقد انقضت ثلاث سنوات منذ سمع صوتى لآخر مرة ، كما انه يعتقد أننى ما ازال فى مصر ، إذ جاء فى عمود الاجتماعيات - فى كل الصحف - من أسابيع مضت ، أننى سأقضى الشتاء بين مصر وسويسرا ، وأننى سأبقى

خارج الديار حتى شهر مايو ، وليس هناك من يعرف أنني قد عدت . ثم أنك خير من يحكم على ما تلقيت من مران وتجارب في التمريض ، وقد كان عملنا - أثناء الحرب - يتناول العقل والروح ، بقدر ما تناول الجراحة . وعلى أية حال ، فالأمر لا يتطلب كل هذا . . . اواه يا ديكى ، أن بوسمك أن ترشحنى دون ما خسوف ، وما أزال احتفظ بجزى الممرضات لوقت الحاجة ، واستطيع أن أتاهب في أربع وعشرين ساعة . . . وسأذهب إليه على أنني الممرضة « فلانة » . . . ولو أدى بى الأمر إلى تناول طعامى في المطبخ ! » .

فاجابها الطبيب في هدوء : « ولكن يا بنيتى العزيزة ، ليس بوسمك أن تذهبي باسم الممرضة « فلانة » ، مع الأسف . ولن تستطيعي أن تذهبي الا على أنك الممرضة « روزمارى جراى » . إذ أنني اتفقت معها في هذا الصباح ، وأرسلت بالبريد تقريراً مفصلاً واضحاً عنها للدكتور ماكينزى ، الذى سيتلو خطابى لمريضنا العزيز . . . وأنا لم أعتقد أن اسحب حالة من ممرضة لأعطيتها إلى أخرى ، الا إذا ثبت عجزها أو أخطأت في أعمالها . وأيسر على الممرضة « روزمارى جراى » أن تطير في الجو ، من أن تتمهم بتقصير أو خطأ . ثم انها لن تضطر إلى أن تتناول طعامها في المطبخ ، إذ انها من اصل طيب ، وسوف تعامل على هذا المستوى . وكم يسعدنى حقاً لو تيسر لك أن تحلى محلها ، لولا أن شكاً يساورنى في إمكانك القيام بهذا الدور والاستمرار فيه . كما أن لدى أمرا أريد أن أحدثك به . . . لقد سألتنى « دالين » - قبل أن اتركه - عن أخبارك ، وقد تعمد أن يورد

اسمك بين الحقوة وفلاور ، ولكنه لم يقو على كبح الحبرة التى كتبت وجنتيه النحيلتين ، وشدد قبضته على غطاء قرائشه حتى يتمكن من السيطرة على موته لينطلق عادياً ثابتاً . وقد استفسر عن مكان وجودك ، فاجبته بأننى اعتقد أنك في مصر ، في حين أنني كنت اتوقع عودتك إلى الوطن . وذكرت له أنني سمعت بأنك تعزمين العودة إلى القدس لقضاء عيد الفصح ، واقتضت على هذا الأساس أن تمودى إلى الوطن في نهاية شهر أبريل ، أو أوائل مايو . . . ثم استفسر عن صحتك ، فاجبته بأنك لست من المولعات بتحرير الخطابات ، ولكننى فهمت من البرقيات والبطاقات التى أرسلتها - من وقت لآخر - بأنك في خير حال ، وأنت تقضين وقتاً طيباً . ثم تطوعت بذكر أنني أنا الذى دفعتك للسفر إلى الخارج ، لأنك كنت على شفا الانهيار التام ، فبددت من يده حركة سريعة ، وكأنها أراد ان يصفمنى مقابل هذا التعبير . ثم قال : « على شفا الانهيار التام . . . هي ! » في لهجة طائفة بالازدراء لى والارائى ، ثم سارع إلى توجيه أسئلة دقيقة عن « فلاور » ، وكان قد استفسر عن الدعوة بكل الأسئلة التى كان يتصدد توجيهها عنك . ويعد أن استوثق من أن « فلاور » مقيمة في دارنا بلندن ، وأنها في صحة جيدة ، وأبلغته ما حملتنى من ود وعطف ، رجائى أن التى نظرة على الخطابات المكسدة - والتى ظلت مقفلة في انتظار ابلا له ليقوى على الانصات لفحواها - وأن أخبره إذا عثرت بينها على خطاب بخط شخص اعرفه . يا للمسكين ، كأنها كان العالم بأسره قد كتب مبدىا عطفه . وذكرت له حوالى اثنى عشر أسبوعاً مضى بينها خط فلود

من الأسرة المالكة . وهنا سألتني عما إذا كانت ثمة خطابات من الخارج، فإذا هناك خطابان أو ثلاثة، عرفت أصحابها فأخبرته بأسمائهم . ولكنه لم يطق استماع أى منها .. حتى الخطاب الملكي ظل مغلقة ، وأن طلب أن يمسكه بيده ، وراح يتحسس التاج القرمزي الصغير . ثم سألتني عما إذا كان هناك أى خطاب من الدوقة . وكان ثمة خطاب منها ، فرغب في أن يسمعه ، ومن ثم رفضته وتلوثه عليه .. وكان مثالا لما هو معروف عن الدوقة ، بلينا بالمعطف الكريم ، النابع من القلب ، وإن صيغ في لياقة . وفي منتصف الخطاب جاء ما يأتي : « لسوف تستاء جين . وسأكتب لأخبرها ، بمجرد أن ترسل لى عنوانها، فليست أدرى في أى قطر من المعمورة توجد ابنة أختي العزيزة ، في الوقت الحاضر . وقد كانت تبدو — في آخر رسالة تلقيتها منها — أنها تسير قدما نحو الزواج من ياباني صغير الحجم ، والاستقرار في اليابان . وهي فكرة لا بأس بها ، ليست كذلك يا عزيزي دال ؟ . وإن كنت لا أدرى كيف يتسنى العثور في بلاد الالتزام هذه على بيت ، أو زوج ، أو ذلك الشيء الذي يركبونه ، أو أى شيء من المئات بحيث يحتفل عزيزتنا جين ، إذا كانت اليابان كلها على نسق جذرائها الورقية المعروغة ! » .

ولقد سارعت بالفجاءة عن تلاوة كل هذه الفقرات الخاصة بزواجك من الياباني ، حتى إذا أنهيت قراءة خطاب الدوقة ، سألتني جارث في صراحة عما إذا كان هناك خطاب منك ، فأجيبته بالنفي ، وبأن من غير المحتمل أن أخبر قد بلغك إلا لسارعت — بمجرد وصوله إليك . ومن ثم غابنى أمل أن تكتبني إليه

يا عزيزتى .. وسوف تصدر التعليمات إلى المرضة « روزمارى جراى » بأن تقرا عليه الخطابات جميعا ! » .

فأجابته جين بصوت متهدج : « أواه يا دريك ، لست احتل الانتظار .. يجب أن أذهب إليه ! » . وهنا أنبعت جرس « التليفون » فوق مكتب الطبيب ، محدثا رثينا حادا طويلا ، فأسرع الطبيب وتناول المسمار : « آلو .. نعم أنا الدكتور براند ، من المختكم ؟ .. أهذه أنت يا سيدتى الرئيسة ؟ » .

وهنا بدأ على « جين » الأسف لأن الرئيسة لم تلمح الالتسامة الساحرة التي ارتسمت على وجه الطبيب ، بينما استطرده يقول : « نعم ؟ .. أى أسم تذكرين ؟ .. بلا شك . هذا الصباح نهائيا .. حالة هامة جدا . يجب أن تأتي وتقابلنى الليلة .. ماذا ؟ خطأ في السجل ؟ .. آه ، قهمت .. إلى أين ذهبت ؟ .. لست أسمع ، أفكرها حرفا حرفا .. استراليا أوه ، هذا مكان لا سبيل إلى استخدامها منه .. آه ، لقد سمعت بانها تلقت أمرا بالذهاب إلى هناك .. لا بأس يا سيدتى الرئيسة ، لا سبيل إلى لومك أنت .. شكرا ، لا أظن ذلك .. لدى مرشحة أخرى .. نعم . نعم . لا شك في إمكانها القيام بذلك .. وسأخاطرك إذا كنت في حاجة إليها .. استودعك الله ، وأشكرك كثيرا ! » .

وترك الطبيب مسماع التليفون ، والتفت إلى جين — وقد ارتسمت على شفاهه ابتسامة بطيئة، يشوبها شيء من الشك — وقال : « جانيث ، أننى لا أؤمن بالحظ .. غير أننى أؤمن بتدبيرات السماء ، التى تتم خططها أو تنسجها .. مستذهبين إلى جارث ! » .

الفصل السادس عشر

ما أن تمالك جين عواظهما ، حتى مال لها الطبيب
« والآن ، لنبحث الطرق والوسائل .. عليك أن نساهري
بقطار البريد الليلي من (يستون ، بعد باكر ، مهل تستطيعين
التأهب في هذا الميعاد ؟ » . مهمت قائلة : « انني على تمام
الاهبة ، منذ الآن ! » .

يجب ان تدهني على بك الممرضة : رورماري حراى »

وقالت جين : « انا لا احب ذلك ، بل افضل اسمها مستعارا
.. مهل ان « رورماري حراى » الحقيقية ظهرت ، او طير
من يعرفها » .. فرد الطبيب قائلا : « انها الآن في منتصف
طريقها إلى استراليا — يا فتاتى العزيزة — ولن يلتقى اب
هناك صاحب سوى حدام الدار ، والطبيب . على ان اى رائى
بعد على هناك قد نعرفك ، ولا بد لنا من ان نتأهب لمثل هذه
الاحطار . ومع ذلك معمد قدام بعض الصعب ، تستطيعين
ان تقدمي رسالة — سارودك بها — لاتصاح الموقف ، وتبين
بك راعيه في سد الثغرة التى مركها رحيل الممرضة « رورماري
حراى » ، وقد قبلت رحاى بان تتحلى اسم الممرضة ، لنفادى
اية اصحاب للرئيس ، قد سرب عليها صرر في هذه المرحلة
بالدات . وبوسعى ان اقرر هذا صادقا ، فهذه هى الحقيقة .
ومن ثم عليك ان تتحلى هذه الشخصية ما حين ، وان تتحلى
أقصى الجهد في أداء دورك ما استطعت . واسبحي لى ما

أذكرك بأسمى قد وصفتك في خطابى للدكتور ماكبرى . حصله ،
رقتة دقة الحجم ، طريقة مبهمة ، وأكثر مظهره مما يدين ..

— ولكن يا ديكى .. لسوف يتحقق — لأول وهلة — من
انني نسيت الممرضة التى وصفتها له في خطابك ..

— ليس الامر بالدرجه التى تتصورين . عزيزتى .. تذكرى
أنا بعمل مع رجل سكتلندى ، ومد حس الاسكتلندى على
« لا يدرك الأسور » « لأول وهلة » « من عقول « الكلب » —
« هن الشمال — بطيء وإن كتب اسم مدعى وثقة . ولسوف
يقرب — عندها يتأملك برهه — من أبى قليل الدراية بوصف
النساء ، وأن الممرضة حراى امراه ادع مما ذكرت في خطابى
.. ولكنه سيكون قد رسم لدايس صوره لك مستوحاه بها
حاء في رسالتى . وهذا هو المهم في الامر . وعليه ان تلقى
اعبادنا على العناية الإلهية في الأيسارغ « روى الكهل »
— أقصد الدكتور ماكبرى — إلى محاولة تعديل الصورة التى
رسمها لريضه . محاولى ان تصديه عن مثل هذا الحديث
.. وإذا لاح ان الطبيب في ريب من أمرك ، فانتجى به حائنا
وأعلميه على رسالتى ، وأحسبه بالحقيقه كامله ، ولو اسى
أشك في ان الأمر سيمصل إلى هذا الحد . أما مع المريض ،
معليك ان تتذكرى ما للأعنى من سمع مرهف للعناية .. علكر
خطواتك ناعية خفيفة ، ولا تنجى له ممرضة ليحدث منله
طولك . وتفكرى دائما ان ما يعرفه من طولك محمل من المتدبر
عليك الوصول إلى رف الكتب — ان ريت به حراى ثمانى
أقدام — دون الاستعانة سلم إلى بيت ريتشماند المريض

في الميوض والسير ، حاولي ألا تكتنيه من أن يعطس إلى أن ممرضته أطول منه بقليل . ولن يكون ذلك بالأمر المسير ، مان من الأفكار الراسخة في رأسه ، أن أية امرأة لن تمسه في عماء . كما أن خادمه الحاص هو الذي سيقوده دائما . . ولست أتصور يا جين أن أي شخص وضع يده في يدك ، مرة بحظي ، في التعرف عليها بعد ذلك ، ولهذا انصحك — من البداية — بأن تتجنبى مصافحته . على أن هذه الاحتياطات تهون إزاء العقدة الكبرى . . صوتك . فهل تظنين لحظة أنه لن يتعرف عليه ؟ » .

مأجباته جين : « سأقتض على الثور من قرنيه ، في هذه الحال . . وعليك أن تسامدنى . فأشرح الأمر لى منذ الآن . كما لو أنك كنت تخاطب الممرضة « روزمارى حراى » حقا . وكما لو أنها كانت قد أوثيت صوتا يشبه صوتي ! » وأبستم الطبيب قائلا : « يا عزيزتى الممرضة روزمارى . . لا يدهشك النة أن يلاحظ مريضنا شجها كبيرا بين صوتك وصوت صديقة لى وله ، فقد لمست بنفسى هذا التشابه الشديد ! » . وقالت جين تمثل دورها : « أحقا يا سيدى ؟ .. وهل لى أن أعرف الشخص الذى يشابه صوته صوتى إلى هذا الحد ؟ » .

وأجاب الطبيب بالابتسامة العذبة التى اعتاد أن يتحدث بها إلى ممرضاته : « أنها النيلة حين شاببيون . . هل نعرميها ؟ » . مأجباته جين : « قليلا ، وكما أتمل أن أرداد معرفة بها على مر السنين ! » . وضحكا معا ، ثم قالت جين :

« أشرك يا نيكى . اننى أعلم الآن كيف أحدث مريضى . . آه ، ولكن أى شقاء هذا ! . . كيف اقوى على أن أخدع جارث بهذه الصورة ؟ . . جارث صاحب البصيرة الحادة الثاقبة ، التى تلص كل شيء ! . . هل سأجد من الشسحاعة ما يمكننى من الاستمرار في ذلك ؟ » . مرد الطبيب قائلا : « إذا كنت تقدرين قيمة السعادة الدائمة لك وله ، فما من شك في أنك ماعلة ، يا عزيزتى . أما الآن فسأمر بالعربة لتتلك سريعا إلى ميدان (بور تلاند) ، والآن تأخرت عن موعد العشاء ، وهو أمر تستطيع الدوقة أن تعتفره . كما هو معروف — ولو بالنسبة لمسافر عاد ثوا من سباحة طويلة حول العالم . وإذا أحدث بمصيححتى ، فعليك ألا تطلعى ممتلك الكريمة ، المعلقة ، على جليلة الأمر — على أن تحدثنى من القصة البيانات المتعلقة بضوء القمر — واستشيريها في خطتنا هذه . مان رايبا الأريب ، أئمن من أن يقدر ، وستسرين — فبما بعد — بمعونتها ! » .



وتنهضا ، فوقنا متواجهين على بساط المدفأة ، ثم قالت جين ، وقد جاشت عواطمها : « مديع هذا . . لقد كنت كريما ومصادق الود ، يا فقائى ، وسأظل لك شاكرا ، مهما يحدث ! » . مأجبتها الطبيب : « مه ! . . لا داعى إلى الشكر ، فأننى قد سددت ديننا طال أجله . ولن أجسد عدا نقيقة واحدة من الفراغ ، وأخشى أن يكون الأمر كذلك بعد باكر . . ولكن يمكننا أن نتناول طعام العشاء معا بحطة (الستون) في الساعة السابعة مساء ، ثم أودعك عند بابك ، فان تطرك تتحرك في

الساعة الثامنة ، ويصل إلى محطة (اردن) بعد الساعة
 المساعة من الصباح لتألى . ومن هنا ستنتقل العربى نوا إلى
 جليش ، قبله في موعده الفطور . ولمسوف تسرين
 بالوصول في مساء الصباح الباكر ، معانك هواء الجبال ،
 ويبحث فيك شعورا بديها .

« اشرك يا سموات ، دع العربة تنتظر ، مان الآتية
شامبون متاهة .. اهلا يا ملور ..! يطوى إلى فوق
جبر .. ان ملور وديكى وطموسوم بطلون من فوق جاحسر
السلم ، ويبعثون إليك ببيض من القنلات .. أهل ، ان النهر
الذى ذكرته خلقى « حبه » حقيقية ، ملينتم الله عليك بمثلها .
والآن ، احلسى واسدلى النقاب على وجهك .. آه ، تذكرت
أنك لا تصعين بقايا ، ممالك من عاقله ! .. لو امتدت بك كل
الأساء لحط القمر على أطباء الميون .. لماذا ؟! لانك تركيز
بصرك على الأهدام .. ولكن ، اضطحى فى مقعدك إذ محب
الابراك أحد ، إذا شئت ان يعقد الناس أنك ما رلت فى
القاهرة ، فرتقين استغاث رحلتك إلى أعالي النيل .. » ثم
أدخل الطبيب رأسه خلال نافذة العربة ، وقال لها : « تذكرى
الا بأخذى سوى متاع خفيفه ، من التذوق البسيط السدى
منسبه المهرصات : « متدوقى » ، وصمى عليه حرقى
« راج » بوضوح ! »

مهجست حبس فائلة : « أشكرك يا صديقي ، فانت تفكر في كل شيء » . فاجابها الطبيب : « اننى افكر فيك » . . .
وقدر لحين أن تحس براحة مائة - في حلال الأيام المعصية
التي تلب ذلك - كلها ذكرت هذه الكلمات الاخيرة ، الهادئة

الفصل السابع عشر

وصلت الممرضة « روزمارى جرائ » إلى قصر طينيش فما
أُسْمِطَتْ و « صندوقها » على رصيف المحطة الترمية الصغير ،
حتى شعرت كما لو أمها قد هيئت من السحاب ، محلها عالها
وثقفيتهما ، في أحد الكواكب المبعثة في البعد . . . ووجدت
سيارة في انتظارها - خارج المحطة - جالحتها الخوف لحظه
من أن تلقى من السائق نحيباً ندم عن أمه برعها ، ولكنه طُبل
حائدا صارما كأنه قطع من قديم السيارة ، فلم يعرفه من
الانهمام أكثر مما أعار متاعها . فقد كانت هي « الممرضة » ،
رُكَّان متاعها « الصندوق » . . اسمان من الأسماء العامة . .
ومسميان عليه أن ينقلها إلى (جليبيش) طمعا للأوامر التي
صدرت إليه . . وعلى هذا ملل يحدق إلى الأمام ، وقد بدأ
المنظر الحائس لوجهه - تحت حافة قلنسوته - أشبه بأنى
الهلل ، بينما كان الحمال الواحم بسعد « حزين » ومقاعها
على الاستقرار في السيارة . وعمدسا منحفت الجمال ثلاثة
بنسات - حرصا على الظهور بما بلانم متاعها - حرك المسائق
قدمه ويده في دقة صامتة ، وكأنه آلة من الآلات ، ماندعفت
بها السيارة إلى خرج البلاء ، وانطلق في الطريق المؤدى
إلى التلال .

وأخذت السير، فتسلق الصخرة، ليرى فيه ولاعشب إلى به
 المنيحة، وقطعت أملا من أرضه،
 والمساء، والعزلة، مما زاد من

هبطت من عالم إلى آخر .. كما أن اتفه المصادمات كاختفاء
النحبه الحاملة بالاحترام ، المألومة من حادم كسائق السماره
— بعثت في نفسها طمأنينا إلى النجاح والأمان في دورها
الجديد .. وكانت قد سمعت الكثير عن قصر « جارث » القديم
في اسكتلندا ، وهو ميراث انحدر إليه من أسرة امه .. غير
أنها لم تتوقع يوما مثل هذه المناظر الطبيعية الرائعة ، والمخيلة
التي اتسمت بها قواصر القصر وأقواسه ومداخله وعندها
انحرفت السيارة في أعلى السمع ، ولاحت أبراج القصر
الرمادية ، وغابات الصنوبر الممتدة حطمه ، خيل لجين أنها
تسمع صوت جارث العتي حين كانوا نحت شجره الأزرق في
(أوغردين) ، وهو يقول لها في لهجه مرحة طروب : « كم أود
أن تشاهدي قصر (جلينبيرش) ملسوف بروق لك المنظر الذي
تطل عليه الشرفة ، وغابات الصنوبر ، وبرك المياه » .. ثم
لقد أعلن — بعد ذلك — صاحبا عن رغبته في إقامة « حملة
ممتازة » ، تتولى الدوقة رعايتها ، وقد وعدته حين ما الاشتراك
فيها .. وها هو ذا الآن صاحب القصر البديع طريح الفراش ،
أعشى ، لا حول له ولا قوة ، بينما تلج هي خلال الأبواب
الخارجية الفخمة لقصر (جلينبيرش) ، في شخصية لا يعرفها
هو ، ولا يتعرف عليها أحد ، منتحلة صفة ممرضة وسكرتيرة .
كانت جين قد قالت له في (أوغردين) . « أهل ، أدمنا
وسترى ما يحدث ! » . وهذا هو ما حدث الآن ، مما الذي
سيحدث بعد ذلك ؟

وأمام عتبة القصر كان « سمسون » — مندوب جارث —
في انتظارها ، فاحسبت بانها — للمرة الثانية — قد اجتازت

بسلام حظرا كانت تخشاه ، إذ أن سمسون كان قد التحق
بخدمة « جارث » في خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، ومن ثم
مابه لم يعرف حقيقة شخصيتها حين رآها .. وأخذت « حين »
تحيل نظرها في البهو القديم ، في ذلك التراحي المألوف من
اعتادت أن تنزل للمرة الأولى صيفة على دور أصدقائها في
الرب ، ملاحظة المدفأة الكبيرة العجيبة ، وقرون الوعل المعلقة
وظلالها ممددة إلى أعلى الجدران . ثم علت إلى نفسها ،
وهبطت إلى أن « سمسون » — الذي كان قد صعد نصف
درجات السلم العريض المصنوع من خشب البلوط — وقف
في انتظار أن يسرع الممرضة وراءه ، فعملت ، وإدا بها تحد
في انتظارها — في أعلى السلم — العجوز مارجرى ..

وعرمتها جين لأول وهلة ، وما كانت في حاجة إلى أن ترى
المذيل ، والمرولة الحريرية السوداء ، وأشرطة الخزامى .
حتى تدرك أنها مربية « جارث » الاسكتلندية العجوز ، ومديرة
داره وصديقتها .. إذ كانت نظرة واحدة على الوجه الوردى
الحنون ، الرصين ، المفضل — وهي مجموعة جميلة من الظاهر
التي تنم عن الصحة وتقدم العمر — كافية لكي تعرفها جين .
وما كانت لتخطيء العسين الحائتين اللتين تخرقان المحجب
وتنفذان إلى الأعماق .. وقادت المحوز جين إلى الحجرة التي
اعدت لها ، وهي تتكلم طيلة الوقت ، في محاولة رقيقة لتسرية
الارتباك عنها ، وللتعمير عن ترحيبها الحار بمقدما ، في وقار
لطيف ، دون أن تنسى سحابة الكبد التي كانت تخيم على
القصر ، والتي أوجبت حصور « جين » كآسة مدوية بالمرضة .

« حراى » فى آخر كل عبارة من حديثها ، ولكنه استكثرت به ثلوك وتدير حرم « الرأ » ، مما متن جين ، فتأقت إلى أن تقول - « ما لك من عجز عريزه ! - كم أنا سعيدة وسنشعر ستمه الإقامة فى هذه الدار معك - » . ولكنها تذكرت أن أبة ابنه بدل على رفسع الكلمة ، قد قتل من النسلة « جين شاهيون » ولكنها تعد من المهرصة « روربارى » بقصا فى الدوق وعدم مراعاة للأصول ولذا بعيا - فى مصباح - إلى الحجرة الطبيعية التى أعصب لها . وأعصت بالسليمان الموية . وحانت من الأسلة ابى وجهب إليها عن رطلتها بليلة . وأقرت فيها بسر إذ استطاعت تناول أمطارها ، وسر أكثر لو استطاعت أن تحظى بمهام متع ! . حتى إذا انتهت الحمام والمطور ، وقعت محسب باعة جحرنها تتلى مسامع الطمعة ، فى انتظار وصول طبيب القرية ، ليدعوها إلى حجرة جارت .

* * *

وكانت قد ارتدت أحسن ما لديها من ملابس الموضات : ثوبا أرق ، وبانته وكجين من التسل ، ومرولة بيضاء ذات شريطين موق الكتفين وحبيبين واسمين . . كما وضعت موق رأسها قلنسوة متناسبة ، كانت قد حصلت عليها من أحد المعاهد التى تدرب عنها . ولم يكن يعترى أن يستمرى ارتدائها مما سدد ، ولكنها - فى ذلك الصباح بالذات - لم تفعل صغيره ولا كبيره مما سمعت أنها طبا فى نفس الدكتور ماكينزى عن مطهرها المهنى الكهل . واستشعرت واجمه بأن ملابسها

المتأهى فى البساطة - أنها كان يساعد على اظهار طولها ، بالرغم من حدائنها قوى الكعسين القصيرين والتعلين المطاطين اللذين لا يسمح لهما وقع .

ولم يسعها سوى أن تأمل أن يصح رأى دريك عنها سيكون من مملك الدكتور ماكينزى معها !

ولاحت لها عن معد كبير - وعلى شريط الطريق الأيمن الذى كان يصعد بمنعرجا من أنوادى - مركبة جديدة ، « دوكار » ، محب مسرعة ، وكان بها رجل جلس خلفه سائس ، تأيقنت من أن الساعة قد أزممت . . وحنت على ركبتها - أمامها - والامد - وراحت تدعو الله أن يهدى القوة والحكمة والشجاعة . ولم بعد بنين شينا البنة ، فقد أجهدت عقلها فى التمكن الطويل المسمى المسير ، حتى جعلت كل الرؤى العظيمة إلى ماطر مبهرة . فلو سة . . وحنت فى مخيلتها كل المعالم ، حتى وحه حارث المحبوب ، مع ما سلت من جهد حيوانى لسيحصره على لوحه عفلها . . ولم يبق حلا واضحا لها سوى الواقع الذى كان أمامها . وهو أنها لن تلبث - من دقائق معدودة - أن تقاد إلى الحجرة التى يرقط فيها فتها ، تنرى الوجه الذى لم تره منذ أن كان واقفا على عنه البكل . . ذلك الوجه الذى عاصت منه رويدا الثقة المعنطة ، لمحل محلها جرع ، وقنوط بارد . . ومذكرب إذ ذاك الدعاء الجسب . « وأصبح بالرب وجوه ، ليوته و مرها معظمة محك ! ! .

أنها لن تلبث أن ترى ذلك الوجه ! . .

وحدها - إذ فقد بصره - وأبنا بسهل التفكير به فيعتقد بأنها شخص آخر !

ودارت المركبة مع آخر انحناء في الطريق ، ثم احتسب عن صرها في طريقه إلى مدخل القصر . . . وأدّ ذلك نهضت «حبي» ووقفت في الانتظار وقد تكررت مجاه حملتين من حديثها مع دريك إذ قالت له : « هل سيكون لدى الشجاعة الكافية للقيام بذلك ؟ » . فأجابها دريك في لهفة : « إذا كنت تقدرين جيدا سعادته وسعادتك . يجب أن تتدبري بالشجاعة ! » .

وسمعت طرقه على الباب ، متقدّبت إليه ومحتته ، وإذا بسمسور واقف عند المدخل ليقول : « ان الدكتور ماكينزى في المكتبة أيتها الممرضة ، ويود أن يراك » . فأخافته الممرضة رورمارى حراى : « إذن ، متكرم وأرشدنى إلى المكتبة يا سيد سمسون ! » .



الفصل الثامن عشر

موق سحادة من جلد السدب ، وقف الدكتور روبرت ماكينزى وطهره متجه إلى نار المدفأة ، وكان يعرف بين أصدقائه باسم الدكتور « روب » أو « روبى الكهل » ، تمتد لدرجة الود والالفة . وكان أول ما انطبع في ذهن « جين » « صورته شكل رجل قصير القامة ، ضخم الجسم ، يرتدى صدرية من جلد كلب البحر - أكل الزمان عليها وشرب - ومغطى خفيفا نصفاضا . . رجل له حركات باوليونية ، وساقان نحيلتان طويلتان مبرجتان ، وذراعان معقودتان على صدره ، وكتمان معقودتان إلى أعلى ، تفضيان بالنظر إلى أب يتوقع ان يصعد بصره إلى وجه عاجى اللون ، وألف رومانى . وفك ينم عن جلد ، وشفتين رقيقتين مضمويتين في حزم وقوة . ولكن عيني « جين » شهدتا - بدلا من كل ذلك - وجهها احمر قد رر كشمه النمش ، وأنا اثنى معقوما إلى أعلى ، وذقنا احمر مكثزا ، وشاربين بلون الرمال ، مسدلين إلى أسفل . ولم يكن بين قسمات وجهه ما يحدد النظر سوى عينين حادتين ررقاوين ، إذا حدقتا متمرسسين في شخص ، أو شكنا أن تختما تحت ادغال حاجبين من شعر احمر - ملا ببقى منهما سوى نقطتين صغيرتين من نور مبروزى .

ولم يمس على جين في محضره إلا دقيقتان ، حتى أبقت بأنه لا يعود يشعر بجسده إذا ما ثبعا - . . . بها يدفع بالجسم إلى حركات لا إرادية عجيبة ، جعله « ميديا » ينسدور



وقف الدكتور (روبرت ماكبرى) وظهرو متجه إلى بار المدفأة ..

فأقبلت . « أن رومي يصنع عبدا كبيرا من غلام لثامته ، سيما
فكر الدكتور ماكبرى في سجع بومبي ، « .. »
وكانت عباءة منصرفتين — عند دخول « جين » إلى خطاب
بمشور أمامة أتركب لثوه « .. »
اليها فوراً . « حتى إذا التفت أخيراً ، لمحت — بها لا يقبل
الشك — دهشة هزلة ، ودمع مئة ليتكلم ، عن ميثالك حين
أن تذكرت شكل إحدى أسماك الرنجة في ممردي ، « .. »
كانت تصعد إلى سطح ماء كليسا ألقا الرب الدوقة عباء
الحر . « ثم أطلق مئة ثانية ، وعاد إلى دلاء خطاب دوك ،
وإذ ذاك شعرت « حسن » كماله أم كيف مضى بل جهلا
بما في الطبيب الأمرين لأزدراده !

وانتظرت في صمت وأحترم ، سيما كانت كلمات ترك
بم مذهبا لموحى أحسن ، « .. »
الاستكسدي يعمل ويبدأ ، ولكن حصونه أكده . ولديك يوقن
الدكتور ماكبرى من أمي لا أحمد ودف الد . « وأخيراً ،
أدبت اليها الرجز لقصر « .. »
وعاد يحدق في « حسن » . « ووا أله »
أن يرمع عييه عالماً لطولها ، ثم قال « أميرة .. ؟ »
مداً متسائلاً ، سيما حضر لحسن أن عصب
ألمه شصايا من الخرف الأزرق . « .. »
وبادرت فائلة في استجداء أحسن « .. »
« حسن إليها أن الدوقة كانت « .. »
« لو أنهما كانا يقومان بتجربة تمثيله .. »
« وأن تستجئها على أن يسرعاً في الكلام .. »

وقال الدكتور روبرت ماكينزى : « آه ، قهقت ! » .. ثم خدق في جانب من البساط ، في ركن قصي من الحجرة .. وما لبث أن سار إلى ذلك الركن ، والتقط قشة من مكنسة ، وجاء بها إلى موقعه أمام الدفء ، فأخذ يحمصها بدقة وعناية ، ثم وضع جزءا منها بين أسنانه ، وراح يقصمها .. وسألت حين ممسها عما ينبغي أن يفعله إراء اجمع كهدا ، وإزاء طيب لا يجلس ولا يدعو الممرضة إلى أن تقطس .. وقهقت لو أنها كانت قد اهتمت برأى دربك في ذلك الأمر ، ولكنه ما كان بهلك أن يشير عليها برأى ، لأنه اعتاد أن يكون أول ما يفعله مع أمه ممرصه ، هو أن يقول : « يا عزيزتى الممرضة فلانة .. تفضلى بالحلوس ، فإن من كان عليهم يستلزم منهم الوقوف ، يجب أن يفتهزوا كل الفرص للجلوس والراحة ! » ..

غير أن الرجل البدن القصير - الواقف على بساط الدماء - لم يكن دربك ، ولذا ظلت « حين » واقعة ماتفاه ، ونظرها متجه إلى القشة وهى تهير وتتكسر وينقص طولها بموصة فموصة ، حتى إذا تلاشت ، عاد الطبيب إلى الحديث ، قائلا « إذن فقد جئت ، أنتها الممرضة حراى ؟! » .. فقالت حين لنفسها - « إن عقل الاسكتلندى يعمل وثيدا ، حقا ! » .. ولكن سرها أن اشتبهت من لهجته أنه رضى عنها .. لمعد صدق دربك ! .. قد ارتاحت « حين » لأنها لم تضطر إلى مكاشفها هذا الرجل الصامت بأمر الحدة التى يمارسها مع حارث .. ثم أجابته : « نعم يا سيدى ، لقد وصلت » .. وأعقب ذلك صهت آخر ، ظهرت خلاله قطعه أخرى من قش المكسنة ثم

احمست ، قبل أن يعود الدكتور ماكينزى إلى الكلام قائلا : « اننى مسرور لوصولك يا ممرصه حراى ! » .. فأحبلته حين برصانة : « وأنا مسرورة لأننى قد وصلت يا سيدى » .. وحيل لها بأنها تستمع صوت الدوقة وهى تصيح مازحه : « ها .. ها ! » من جانب المسرح ، لأن التمثيلية الهزله كانت تسمى بنجاح !



ومجاء ، طمنت إلى أن عقل الدكتور ماكينزى قد انصرف - في الدقائق الأخيرة - إلى شيء آخر ، وكأنها لم تكن كاميه لأن تملأ تفكيره .. وفى اللحظة التالية ، تحول إليها ، ماد ، حذقتن من الفيروز تومضان تحت حجابيين كثيفين ، وستعرضاها بسرعة وتائق الأنوار الكاشفة .. ثم بدا الدكتور ماكينزى يتكلم بسرعة مذهشه ، وهو يلوك حرف الراء ويديره على لسانه : « مهم يا آنسة حراى أنك قادمة لعمالحي عقل المريض قبل جسمه ، ولست يحاحه إلى أى اصباح ، فقد تلقيت الايصاح من السد « دربك مراد » ، الذى أوجى بممرضة للاربة المرمى ، ونعاقد معك .. ولقد واقبت تمام الموامقه على توصيته ، واسمحي لى من أقول بأنى شديد الإعجاب بجوهرها ! » ..

وأومات حين برأسها ، وهى تصور لنفسها ما كان حينها بأن يقتاب الدوقة من قهقهة .. ياله من شخص لا يطلق ..! لقد وجدت حين فرصة كي يعكر في ذلك ، يمدد سائر الطبيب إلى غطاء المائدة وانحنى فوقه فأحدا يده غايبة عن الحصر ..

— في هذه الحال يا سيدى العريضة ، أبرك لك و...
 لا تعنى قليلا ، ولا تعرق قليلا للسيد دالمس . . .
 المحصرين لا نكاد نطبق ما نعرضه علينا « الدس بخدوش »
 قلنا « من عزمهم . وما يمننا على الاحتمال إلا أنت »
 نبلغت حولت ، وان تمكر في أمور أخرى . . .
 بملك روحا فنية مرهقة ، فان هذه التجربة قد تسبى به إلى
 النقص . منحب الا نحارب . . .
 بهذا المظهر الجاف ، غير أن صالح المرمى يجب أن يكون وهذا
 على كل اعتبار آخر .

وانقسمت جين ، وقد بدأت تشعر بميل إلى الدكتور . . .
 ومالت : « سأكون شديدة الحرص على سبب ذلك . . .
 اعرف ولن أعنى للسيد دالمس ! » . مقال الدكتور ماكبرى
 والآن ، لأبين لك ما يحق لك بالاكيد أن تفعله بدرج . . .
 مودته إلى الببانو ، واحطيه ههناك على مقعد يشعر فيه نهار
 وطهائنة ، وليس من مقاعد المعارف الصغيرة المقارحة .
 وصعى علامة على المفاتيح التى يستطيع أن يوقع بها طيفه
 دو « الوسطى » ثم دعيه يمرح عن روحه الحبيسة . ورسوم
 صورا بالصوت . وليسوف ترين أن هذا سرعان ما سيسعد
 لساعات طويلة . . . وإذا كان موسيقيا مارعا ، كما يتبين من هذا
 الببانو الكبير ، فانه سيبدأ هذه الهواة لقوره ، قبل أن يضطر
 إلى أن يحيل هم تعلم طريقه « رايال » او غيرها من أساليب
 تعليم العيار . . . ولكن عليك أن تستطوى طريقه سهلة لإرشاده
 . . . حمرة صغيرة في لاطار الحشبي الذى يقع تحت الماسح .

يمكن بها من العزف مباشرة — دون تردد أو مصايقة — على
 طبقة « دو » الوسطى . . . ولا داعى — بعد ذلك — لبقاى
 السمات ، مهدا عنه ما سيتطلبه من إصاار ، إذا ما جلس إلى
 البيانو ! . . . ها ، ها ! هذا درس لا بأس به من اسكتلندي . .
 ليس كذلك يا ممرضة جراى ! » .

لم تقو جين على الضحك ، وأن خيل اليها — على هاش
 ذهبا — انها تسبع صحكات وتصفيقا من « الدوقة » . . .
 كان الأمر دعابه بالقسمة لجين ، إذ تصورت « جراث »
 الدس الاعمى ، حالها إلى الببانو ، ورأسه الغالى الصبل
 يحن على معاصيح الببانو ، وامامه تتحسس ناحية عن تلك
 الحمرة الصغيرة التى ستحدثها له تحت « دو » الوسطى . . .
 واشهارت من ذلك المرء الذى يتفكه بعمى حارث . . .
 على هامش ذهبا موت « تومى » — البغاء — وهو يلاحق
 الدوقة مصمعا بصاحبه ، متراقصا فوق أرجوحته ، صارخا ،
 « أركله بعيدا ! اقلعه ! » .

وعلى عرة ، قال لها الدكتور ماكبرى : « اما ما يتلو ذلك
 اهميه — ما ممرضة جراى — فهو أن أقدمك إلى المرمى ! » .
 وبعد ذلك أحست « جين » بالدم ينصب تدريجا من وجهها .
 ليجمع في قلبها محدثا وجيدا عيفا . ولكنها تماكنت جائشا ،
 انتظرت في صمت . بينما دق الدكتور ماكبرى الحسرس ،
 حتى إذا حضر « سيمسون » ، قال له : « أحضر قتيبنة من
 « الثمري » ، وقنحا ، وقطعتين من السبب . . . »
 سيمسون ليلى طلبه ، منها قالت دس في نفسها : « ب له من

حيوان صغير ! .. ألم تتذكر هذا إلا في الساعة الحادية عشرة ؟ »

وقف الدكتور « روب » في انتظار مودة سيمسون ، وهو يشدد شاربويه الأجرين ويقضيهما - في غيظ - وهو يمدد صدره خلال البامدة ، إلى الخارج . وبالمثل أن - : سيمسون مومض صغفه على المائدة ، ثم خرج في هدوء ، وأعلى الباب خلفه . مبلأ الدكتور « روب » القدح بالشمرين ، وسحب مضغ إلى حوار المصدة ، قائلا : « وآل انتي ، المبرصة . أحسني واشربي هذه الكأس ، وتناولى معها فلعلم من الدسكوت ! » . عقالف جين معتدرة : « ولكني في الواقع .. يا دكتور .. » فحباها الدكتور روب : « لا شسك ممدو انك . لا سيما في الساعة الحادية عشره صمباحا واكنيت ستمعليك ذلك اليوم ، ملا تصعى الوقت في الحذل .. لقد مضيت في السمر ليلة طويته ، وسيمسعدين الآن إلى الطابق الثاني لي ششهدي مطير ، من أقصى المناظر على الأعصاب والحواس .

وقد قضيت معي وقتا طويلا في حديث مرهق ، تحديق السماء لاثنتائه . ولكنك ستحمدينها في حرارة أشد ، حين يسري من مدح الشيري ، مقد مضى عليك ثلاث وعشرون دقيقة ونصف الدفيمه وأنت واقعه أمامي . إذ أن من عادتي أن أنكم

واقف . وأفضل دانيما أن يطل السامعون وعوما ، ولا يتعلم أن أحدث الناس وهم يصطحفون حولي . على أنك ستسعدني في خطي أكثر ثباتا - أيتها المبرضة روزماري جراي - د جلست إلى هذه المنضدة خمس دقائق ! » .

واطاعت جين ، متأثرة ، وهي في خجل من نفسها ، فكتشبت أخيرا أن حدث هذه الصدرية العجيمه - المصنوعة من حديد كلب البحر - قلبا رفينا مدرك للأمور ، ودكا ، وبمهيأ الناس ، يرسم الظاهر المشي للأعصاب ، الداعي للاستعجاب . بينما كانت شارب - الشيري - وكل الدسكوت ، سلام الدكتور « روب » على عظمة حديدية - في البامدة الأخرى الحجرة - هي تلمع رجاح البامدة يمدله الحريري ، نعيمهم طول الوقت بصوت عربت ششبه ملنس النجمله مع الرجاج . وبدأ كما لو كان قد سى وجودها . ولكنها لم تزد تصع القدح على المنضدة ، حتى استدار ثباتا ، واحداً الحجرة حتى وصل إليها . ووضع يده فوق خنمها قائلا : « وآل أنتي المبرصة ، اسعيني إلى عوفي .. وأخرصى في البداهة - علم أن يكونى ظلمه الكلام قدر المستطاع . وادكرى أن كل صوت حديد يسلل إلى الأعياق الساكنة في ذلك الظلام الدامس . يسبب المريض عذابا من جراء الأخيرة ظليلا ، وأخفى صوتك .. والله القدر .

وقد بدا على الرجل - ذى القوائم الصئيل العجيب - اعباء
بمعرفته وقوته ، وهو يتقدم « حين » صاعدا درحات السلام .
ومهما كانت تتسع ، اتقنت تهايا من أن روحها تستند إلى
روحه ، وأحسست بقوة ترمعها وتعينها . ومع أن الحيلة التي
احتتم بها حديثه كانت من التعصبات القديمة ، إلا أنها - كما
انعشت بمسها .. « والله القدير يهلك حصافة وحكمة » ..
هكذا قال ، وهو لا يدرك مدى حاجتها الشديدة إلى هذه
الكلمات ! .. ورن في مسمعها - في تلك اللحظة - صوت آخر -
يردد بين سراديب الذاكرة مع نعم الارغن ، محمف غنى
اصطراها : « وحيث تكون مرشدنا .. ملن يكون ثمة
مرص » ! .. ويخطى ثامنة - ولكنها غير مسموعة الوقم -
سارت جين خلف الدكتور ماكبنزى إلى الحجرة التي كان يرتد
فيها جارث . « امسى ، مشوها ، لا حول له ولا قوة !

الفصل التاسع عشر

رأس أسود الشعر ، فوق الوسادة ! .. هذا كل ما رآته
جين - في بادئ الأمر - تحت ضوء الشمس الساطع ..
ولسب ما كانت حين تتوقع أن ترى المريض في حجرة مطلية ،
معلقة النوافذ . وملتها أن الظلمة والضياء كانا سواء لدى
المريض المسكين فلم تكن ثمة حاجة إلى حجب نور الشمس عن
عينيه بما فيه من شقاء ، ونظهير ، وتقويه . وكان قد طلب
نقل سريريه إلى ركن من الحجرة بعيد عن الباب والمذبح
والنوافذ . - ويلاصق حائطه الأسير الحدار ، حتى يسهل عليه
أن يتلمس الحائط بيده ، وأن يلود به ، ويطنش إلى أنه ينأى
عن الأعين المتطلعة التي لم يكن يراها ! .. وعلى هذا الوسع
كان راقدا . فلم يلتفت نحو حين والدكتور ماكبنزى حين دخل .

لا شيء سوى الرأس الأسود العزيز ، فوق الوسادة ! ..
عدا كل ما رآته « حين » ، في بادئ الأمر .. ثم تحركت دراعه
اليسرى في كم ثوب اللثوم من الحرير الأرق ، وامتدت حلمه قليلا
وهو راقدا على حائطه الأيسر ، واستلقت اليد العجيلة النعساء
فوق غطاء الفراش في عجز واسترخاء .. فمعدت حين يدها
حلمها ، وقد خالحتها حامر قوى كان يدمعها إلى أن تسقط على
ركبتنها بجوار فراشه وتتناول يده الضعيفة الهزيلة بين يديها .
وتغمرها بالقبلات . « آه ، من المؤكد - والمؤكد جدا - أن
يتحرك الرأس الأسود - إذ ذاك . ندمها . وبلا من أن
يلوذ الوجه - الذى فقد بإبصاره - بالحداد الأسير ، عانى

الممرضة حراى . . أريد أن أريك مقعدا خاصا ، حصلنا عليه للسيد دالين ، وسيحظى فيه براحة تامة ، حين يشمر برعدة في الجلوس . . انظري ، هذا مسند متحرك لإراحة الراس عند اللزوم . - وهذه السنادات العديدة يمكن إدارتها في أى وضع بمجرد اللمس . اننى أراه مديها ، وقد وافق عليه السيد دريك . . هل رأيت مثله من قبل يا آنسة حراى ؟ . - معاناه حين : « عندنا مثله في المستشفى ، ولكنه لم يسبكه كل هذه المعدات » .

وفي سكون الحجرة المليئة بأشعة الشمس ، سمعت من المراس صوت مناجيء حلقها بخفلات . . صوت أنثى مصرحه مائه في هاوية من الظلام ، ولكنه كان ينطوى على رخاء يتهلّل « من هنا في الحجرة ؟ . . وكان وجه حارث دالين لا يزال متحيا إلى الحائط ، ولكنه رفع حسبه منكثا على مرغته الأيسر . في حركة من يرهف السمع . فأجابه الدكتور ما كينزى : « ما من أحد بالحجرة . - يا سيد دالين . - سوى أنا والممرضة حراى . - فأجابه حارث بحدّة : « مل أن هناك شخصا آخر في الحجرة . كيف تجرؤ على أن تكذب على ؟ . . من كان يتكلم ؟ » . - وإذ ذاك اقتربت « جين » من فراشه بسرعة ، وبداها مرتعشة ، وقالت له بصوت سيطرت عليه نياها : « لقد كنت أنا المنكلمة يا سيدى . . أنا الممرضة روزمارى جراى . . وأعتقد أننى أعرف السبع الذى من أحله أدهشك صوتى ، فقد أنذرنى الدكتور براند بذلك ، وقال أن لى لى أن أدهش إذا أنت شعرت بشيء عجب بين صوتى وصوت صديق لك وله . . وقال أنه كثيرا ما لاحظ ذلك ! » .

وفى حارث جامدا في عباه ، صمى ويفكر . وأخيرا سألها متوقدة : « أقال لك موت من ؟ » . فأجابت : « نعم يا سيدى . لقد سألته فأجابنى بأنه صوت الآنسة شامبيور ! » . وسقط رأس « حارث » على الوسادة - ثم قال - دون أن يدير وجهه ، بصوت كانت جين تدرك أنه بمثابة ابنسامة أوششت على الوجه الحبيب المتوارى : « يجب أن تصفحى عنى يا آنسة حراى ، لما انتابنى من دهشة ، ولانعمالى السحيف الذى لا يعتمر . . ولكنك . - ولا بد تعلمين - بأن العمى تحبته لا تزال جديدة على ، وكل صوت جديد ينفذ خلال الستار الأسود لهذا الليل الدائم يؤدى إلى تأثير يفوق كل ما يتصوره المتكلم . ان الشبه بين صوتك وصوت السيدة التى ذكرها المسر دريك شديد جدا ، حتى اسى لا أكاد أصدق أنها لست بالحجرة ، برعم علمى بأنها - في هذه اللحظة - في (مصر) . فضلا عن أن وجودها في هذه الحجرة ، من أبعاد الأمور في الدنيا احتمالا . ومن ثم فاننى مدين لك وللدكتور ماكينزى ماعتذار متواضع لانعمالى وعدم تصديقى ! » . . ثم مد يده اليمنى إلى « جين » وأنهاه إلى أعلى . فعمقت « جين » يديها المرتعشتين خلفها . وسمعت صوت الدكتور ماكينزى الخشخشة ، وهو ما يراد في العودة . « والآن أنتها المعرضة ، تفضلى بأن لدى بعض التفصيلات التى أود أن أشرحها لك هنا ! »

وأخذا يتحدثان برهة دون أن يجدا بقاطعة من حارث ، وأخيرا ، أدهف الدكتور « روب » قائلا : « أعتقد أنه قد حال

الوقت لذهابى » ، فأجابته جارت : « أريد أن أهدئك على
انفراد ليضع دقائق » يا دكتور » . وقالت جين : « سأنتظرك
في الطابق الأسفل يا دكتور ماكينزى » . وتحركت متجبهة إلى
الباب ، وإذا بنظرة امرأة من الدكتور « رومب » ، غفوقتها ،
ثم تحولت إلى سبب إلى الخفاء . ولم يكن ليذكر في هذه
اللحظة دماغها ، لتدرك ، من أنه أعصها . ولكن سليل
ينطقه لم يسمعها ، ذا أحسن الصئيل ، والوجه المكسو
بالنمش . لم يرد ، والحق لدى سهل عصبه . . وسار هو
بحو السابعة ، ثم علقته ، وعند إلى جانب الفراش مسند
مقعدا ، وجلس وهو يقول : « وبعد ، يا سيد الدمين ؟ » .
ماعترا في عيشة ، وواحدة في لهمة . . وإذاك
رأيت جين ، وجهه لأول ، سبب سر دكتور « حذشى من
هذه المبرضة يا دكتور . . صفها لي ! » .

وكان التور في صوته وحركته بالغا ، وقد عقد يديه أمامه ،
وكانت عيناه مملوءة دموعا ، من شخص آخر وصبر وجهه
الشخص الآخر ، لا يملك له ، وعليه أكرام اللهمة والحمد
وقال : « صفها لي - يا دكتور - هذه المرضة روزماری
جراي ، التي سمعنا عنها في الدكتور » ، وب في حرم
« ولكنه ليس المرءة ، بل هي بنت من بنتي العزيز . .
إنه اسم الثمينة ، وبها لاسم واسع . . روزماری رهمه
الذكريات . . أليس هذا من أقوال شككبير ؟ » - فأنق عليه
عليه جارث - للمرة الثالثة - قائلا : « صفها لي ! » -

ويعظم الدعوى ، ياخذى بي يديه ، وليكنها كتاب قد أدركت طيورها
لحصى الدبوع ، التي مبهمة على وجهه ! . أواد ، باجارت ! .

ما حارث الخيل د العيين الراعين ... وأخرج الدكتور
ماكيزي خطاب الدكتور ديك من حبه وتأمله ، ثم قال في
بطء : « حسنا ، إنها حسناء وقيمة ، صغيرة الحجم ، وهي
من النساء الرشقات اللاتي سب دأب وجودهن بحوارك ، لو
قدر لك أن تراها » - فسأله جارث : « أهى قهجة اللون ،
أم شقراء ؟ » - فنظر الطبيب إلى ما كان يوسع بصره أن
يخص إليه من وحيات خبر ، وإلى البدن السمراوس المستكين
برف المدعاة ، وقال في غير تردد : « شقراء ! » . وحملت
« حين » ، ونظرت حولها ، وهي تعجب مما دفع هذا الرجل
الصغير إلى الكذب ، من تلقاء نفسه !

وهنا عاد الصوت الخافت ، المقتل بالتعب ، سائلا :
 وشعرها ؟ . فأجابه الدكتور « روي » في كذب يتعمد :
 « أما شعرها فهو مبدس كله تحت قلبها صلبة الصغيرة » واولا
 ذلك لمسى أن أحرم في وصفه شيء من ذلك النوع المهمل
 الهش السري المنسج ، الذي بكل آخر معالم الجمال للمرأة
 الرفيعة الحياء . فاستلقى جارت علم وسادته لاهنا ومفط
 ينده على عيبه عمر المصنوعين ، ثم قال : « انى أعلم قدر
 ما كنت اناه من متاعب يا دكتور ، ولا مد أنك ترانى الموم
 أحق .. ولكن ، إذا كنت لا تريد أن أفتد عقلى مع مصرى ،
 فاصرب هذه الفتاة من هنا .. لا تدعها تلج حجرتى مرة
 أخرى ! » .

وإذ ذاك أحاطه الدكتور ماكسزى في مؤدة وصبر : « والآن
ما سيددالين ، دعنا نفكر في الأمر »

وجلست إلى جانبك ، وتحدثت إليك ، لمن يعود صوت الممرضة يزعجك ! » . واستوى جارت جالسا — من جديد — وعلى وجهه إمارات الاعتراض الشديد . . . ولتعت إليه حين — من مكانها على بساط المدماة — وراحت ترقبه .

وقال جارت : « كلا يا دكتور . . يا إلهي ، كلا ! . . انهب آخر شخص — في العالم بأسره — أقبل دخوله إلى هذه الحجرة ! » . فانحنى الدكتور ماكينزي ليمحس بعناية بقعه دقيقة على غطاء الفراش ، ثم سأل بصوت منخفض : « ولماذا ؟ » . « لأجله جارت » . « لأن بك السيدة المزعومة —

كما تدعوها بحق — لها قلب سهل ، كريم ، قد يمسس أشمالها لعمري ، ولست أقتل الاشماع معها ، لأنه سيكون آخر قضية فوق صليبي الثقيل . في استطاعتي يا دكتور أن أحمل صليبي ، وأب أن استطيع — على مر الزمن — أن أحمي في حالي . حتى تمرى حامي من البرية عن كاهلي . . أما هذه القشة الإحمر — أعني إشفاعتها — فانه كمثل أن يحسم ظهري . عردي في لظلام ، ولا يقوم لي بعد ذلك — عاقبة ! » . فقال الدكتور روب ملطف : « آه ، مهيب يا معاني المسكين . . من عتلك السيدة المزعومة حب إلا تحضر إلى هنا ؟ » . « ولاد بالصمت يصنع دقايق ، ثم دفع مقعده إلى الورا . . ووقف قائلا : « وعلى كل حال ، فسوف أركن إليك — يا سيد دالين — في أن يكون بين الممرضة مع الممرضة « روزمري حراي » ، ولا يجعل ميمتها شائعة جدا . فليست أحرر على أعادتها من حيث أنت ، إذ احتارها لك الدكتور براند . . ثم صور لاسر ، سلسا ، التي نصبها في ميمتها . . فكر : « يا الرجل . . كيف

لا يملك أي اعتراض على هذه الشاة ، سوى بشاة عارص من صوتها وصوت إحدى صديقاتك ، التي توجد في بلاد سبيه . . ألم تكن تلك السيدة شخصا مرغوبا فيه ؟ » . « مارسل جارت محبة صديقه مريرة ، كاذب ، يكون ممره منتحبة ، وقال : « آواه . . بل كانت شخصا مرغوبا فيه جدا » . فاعاد الدكتور روب برده الشطره الشمره .

« روزمري رهرة الذكريات ! » . ثم أردف : « إذن فلماذا لا يقوم الممرضة روزمري حراي بأسروا الذكريات المعشه . . ثم أن صوتها يبدو لي نسويا ، عذبا ، رقيقا . وهو شيء يحمد في هذه الأيام التي يتكلم فيها كثير من النساء بأصوات مرهف الفربان ، أو كما أحجار بطرق أنا ، من المصير . »

وقال جارت في اعناء : « ولكن ، ألا يهيم يا دكتور أن مجرد الذكرى والنشاة هما اللذان لا أقوى على احتمالهما وأنا أعني ؟ . . ليس لدى أي اعتراض على صوتها ، والله أعلم . . . ولكني أؤكد لك أنني حين سمعت صوتها لأول وهلة ، اعتقدت أنها . . أنها كانت هي . . الأخرى . . وقد جاءت لي . . هنا . . و . . » . « وسكت فجأة ، فأخذ الدكتور « روب » يجادله قائلا : « السيدة المرغوبة ؟ . . آه ، حسنا يا سيد دالين . . أن السر دريك يقول أن خبر ما يحدث الآن ، هو . . أن تسدو منك رعبه إلى استقبال الزائرين . . ويحل إلى أن كثيرا من أصدقائك على استعداد ، بل يتلهم لهقة بالغة ، للحضور من أقصى جهة كانت ، لكي يمدوا لك يد المعونة أو يبعثوا منك الانتهاج . فلم لا تسمح لي باستدعاء تلك السيدة ؟ أنني لا أشك مطلقا في أنها ستحضر ، حتى إذا حانت بنفسها .

بوسعنا أن ندير هذا .. فان هؤلاء الممرضات يعلمن أن لا بد من ادخال السرور على مريضهن . فلتدع الشاب الممرضة إلى هنا ، ولتأمرها بأن تجثو بجوار مراكبك .. باركك الله ! .. انها لن تتردد - من اجلى - في أن تقوم بأى دور ! ولك ان سر بيدك على وجهها وشعرها ، وحول خصها النجيل ، لتتأكد باللمس أية فتاة صغيرة القد ، رشيقه هي .. في رداها الأرق ومرولتها البيضاء ! »

فانفجر جارت ضاحكا ، وقد رس في صوته نغم لم يصدر عنه من أمد طويل . وقال : « انه أبعد الإقتراحات عن العقل .. ما للسهاء ! ما لي قد جعلت من ممسى جمارا ! .. نفذ بدأت أعكر في ملى قد أسربت في الانهم بالشباب ، ولز البث ان أساء بعد يوم أو يومين ، والآن ، اسمح يا دكتور ! .. إذا كانت قد أصبحت حما تلك اللوحة .. ولكن ، إلى أين أنت ذاهب ! .. دحانه الدكتور روب : « اما كنت أجرك معدا إلى جور المداه ، واستمحت لنفسى جرعة ماء ، ان سمحك يزداد ارهاق بدرجة غير عادية ، في الواقع ! .. ها انذا مسح إليك . مهذا كنت تقول عن اللوحة ! »

— أردت أن أقول ان الممرضة .. إذا كانت تهتم حقبا بصورة التي رسمتها لليدى مراند ، على في الرسم لوحا فد بهما ان تراها . ولو انها أحضرتها إلى هنا ، ووضعتها لي ، لاستطعت أن أشرح لها كل لوحة .. ولكن يا دكتور .. اسي لا استطيع أن تروح الشبابات الأبيقات وسعدون إلى حجرتى وأما راند في فراش ، فلماذا لا أنهض وأحتر تلك المقعد الذي أحضرته لي .. اطلب من مسمون أن يعد لي مشرة حصرية

النوم البنية اللون ، وربطه العنق البرتغاليه اللون .. ما للسهاء ! .. ما أعظمها من معمة ان يحيط بذكرى الألسر وتنامقها ! .. تصور حال أولئك الذين ولدوا مكفوفى الصبر ! .. تكرم مثل الآتية حراى ان تخرج للتريض في عمة الصنوبر ، أو برك المياه .. أو ان تستخدم السيارة ، أو ان تخلد إلى الراحة ، أو ان يعمل أى شىء بروق لها .. ألمعنا من نسير بنفسها في دارها ، ولكنها حب الا تحصر إلى هب .. به حال من الأحوال — قبل أن يعلن مسمون أنني متاهب لمقابلها ! .. مرد الدكتور « روب » ، وقد صار صوته أحش مدة : « يمكنك ان تطمن إلى ان الممرضة جراى تكتم كل سر . أب عن مباحك المرائش يا ملى ، يجب الا تتعجل كثيرا من حد كثير قوة ، ولو أنه من واجبي أن أبلغك أنه لم يعد هناك ما يستدعى مضاك في الفراش ، إذا كانت لديك رغبة في النهوض ! »

واختمت حارث الحديث قائلا ، وهو يتحسس يد الطبيب « مع السلامة يا دكتور ! » . ثم أردف قائلا : « لكم يؤلمنى أننى لى أقوى على ان أقدم لرسم السيدة ماكنزى ! » . فأجابه الدكتور « روب » بكل رقة : « لو أمكنك ذلك ، لرسمها مشعر أشعث ، وأربعة مخالب ، والطف عشرين كيرمانتش في العالم . وخلال هاتين العنيتين بطل أوفى القلوب — التي خلفها الله — وأشدها حيا وأمانة . مهى لم تتخل يوما — طلة السيس لى عائش عبا كل مه صاحبه — عن استمالي بترحاب ، ولم يمارسنى قط ، ولا عملت على .. » . فالتفتة إلى حرة . لا أرعثنى بطلب ثمن قبة ! .. بالاعادة رقة ! .. حسنا ..

استودعك الله يا بني ، وليباركك الاله القدير ! .. أوصيك
بأن تحترس لنفسك جيدا ، ولا يدهشك أن أعود إليك في
رجوعي من جولتي ، لاستوفى من رأيتك عن هذا المقعد ! ..

ومنح الدكتور ماكفرى الباب ، مسبلب « حسن » إلى
الحارج فطه ، ثم تبعها وهو يشير لها بأن يسبقه إلى الطابق
الأسفل . وفي المكنه تحولت حين ووقفت أمامه ، فأحطسها في
منعد بكل هدوء ، ووقف أمامها والدمع ينزرق في عيسه
البرقاوس اللامعين تحت حاضيه الكثيف . ثم قال لها : « بك
أشعر .. يا عزيزتي » فأثنى على شيء من الشفاء والخيل ،
ماغفرى لى . ما كان في حسابنى أن أضحك في مثل هذا المزمز .

وقد أدركت تهايا بأنك كنت تشعرين — أثناء برده — بأن
سيفلك في مهنتك معلق في كمة القدر .. انى أرى في عيسك
أثر النكاه ، ولكن لا تدعى الاله بملك من تلك ، لأن مريض
قد ناز كل هد من احب مشايه صوتك بصوف الاسه شامبون
.. فستبقى الأمر كله بعد يوم أو يومين ، وستصحين في بطره
أعظم قيمة من عشر أنسيت شامبون . بأبلى ما أحدثته به من
تعبير في هذه المبرة القصيرة ، فها هو ذا مرعب في اليومين من
فراشه ليشرح لك صورته ! .. لا تخشى شيئا ، فلسوف
ترخص حولتك ، وسكون في مقدورى أن أبعث لسر ديك
تشرير وام أبين عنه النحاح العظيم الذى يتم على يدك ..
أما الآن ، فلا بد لى من أن أتعد بوصفه لأعطيه كل التعليات
.. وأنصحك أن تذهبي لستروحي النسيم عند البركة ، حتى
تستردى شهنتك للعداء ، على أن ترتدى ملابس أثقل مما عليك

الآن ، فليست لديك الآن أية مهمة من أعمال التمريض .. أما
وقد أشعرتنى بكفاءتك في النظافة والعناية ، معلك في الوقت
داته أن ترتدى ملابس مريحة دائمة ، لمحبتك من لسعات
أصقاعها الشمالية .. هن أحصرت معك ملابس أثقل من هذه ..

محابته حين .. أن مواس بدنا بحم لبنا أن يرتدى هذا
الرى ، ولكن معى معطف من الصوف الرمادى .

— حسنا .. ارتدى المعطف الصوفى الرمادى ، وسأعود
بعد ساعتين لأرتقب ما أحدثه به نهوضه من غراشه ، وما أداه
من حركة .. ولن استيقظ أكثر مما استيقظك !

وقالت حين بكل هدوء : « هل لى أن أسالك — يا دكتور
ماكفرى — عما دعاك إلى أن تسفنى له بأبنى شقراء ، كب
وصفت شعرى الثبل المجد بأنه شعر هشر متهدل حيرى
المهيس ؟ » . وكان الدكتور « روب » قد هم بدق الحرس ،
فلما سمع سؤالها رد يده ، ثم دار نحوها ، والتفت عينا
حسن الثامتن بعيسه المروزين المععبين بالدكاء ، ثم قال :
« لك كل الحق في هذا لسؤال أمي المبرصة رورمارى حراى ،
وأن أدهشنى أن ترى ذلك ضروريا .. فقد اتضح لى تهايا بأن
ثمة أسبابا خاصة قد دفعت السر ديك لأن يرسم صورة
خالبه عنك للمريض ، وأكبر الظن أن صورة لى أعلى بهم
المريض .. ولما كان الوصف يختلف عن الواقع ، لذلك
استنتجت أنه لا بد — لكى تكتمل الصورة — من أن تكون
النقطتان اللتان قد تركتا حتى أرسجهما — مع الأسف — مغايرتين
لما رامته أمامى ، شائما شأن بقه السر .. » .

الفصل العشرون

خطاب من النبيلة حين شامبون إلى السير دريك براند .

« قصر جلينيش — شمال بريطانيا .. »

« ميررى دريك : ان برقدانى وبطفانى لم يكن لثمنك ماكتر من وصولى .. وارى — بعد انقضاء أسبوعين هنا — أن الوقت قد حان لأن أرفع اليك تقريرا . على أنك حذير بأن تدكر اثنتى كاتبة ضعيفة . فقد اعتدت — منذ الطفولة — أن أجد من العسير أن اكتب شيئا بعد العسر المألوم : « أمل أن تكون فى أحسن صحة » . وها انذى أحاول كتابته خطاب تقريرى ، بعد حصار ، ومع كل ، فكم أتمنى لو تسنى لى أن أستعير — ولو لمرة واحدة — قلم كاتب مدرب ، لأثنى لا أمك سوى أن أدرك اننى اختار بحارب ليست مما يكثر حدوثها لكثير من النساء !

« ان المبرضة « رورمارى جراى » تسير فى عملها منجاح ماهر ، وقد أوشكت أن تجعل مريضها غير قادر على أن يستعنى عنها ، فهو تحت إيلها بثقه كميله ، تملاً قلدها برهو بهنى ! .. اما « جين » المسكينه فلم تعمل أكثر من أن سمعت مأذنيها من شمتيه ، انها آخر مخلوق — فى الدنيا بأسرها — برحو أن يقرب منه وهو امضى .. وحسب قبل له أن من 'المحمل أن تاتى لزيارته ، فأحاط الذى . كلا ! .. وبحول وجهه إلى حبه بالحر ..

تسبحين .. ! » . ثم دق الجرس بشدة . فالتحت عليه جين قائلة : « ولكن ، لماذا خاطرت باقتراح أن يحبس وحى ؟ » . مصاح الدكتور روب عاضبا : « لاسى أعلم انه رحل ذو اخلاق عالية .. آواه ! تعال يا سمسون ! .. ادخل يا صاح ، واعلى الباب . واحد الله معى لأنه قد جعل منك وبنى رجلا ولما نساء ! » .



وبعد ربع ساعة ، شاهدته « جين » وهو يسرع بعزمته الخفيفة (الدوكار) ، مقالب لمعها : « لقد كان دريك على دواب ، ولكن .. باله من مريع عجيب من الذكاء والحمود ، وما أعجب أثر هذا المزيج فى تدعيم خطتنا ! » .

وسببا كانت ترقب العربة الجميلة ، وهى تتطلى عبر المستنقع باقصى سرعه ، لم ينس لها أن تسمع ما كان الدكتور روب « يذم به لنفسه — وهو يشد العنان ويهله لمجره القوى — وألا لولاهما العجب .. فقد كان من حصاله أن يحدث بعسه ويناقش ما مر به من احداث ، بصوت نهدع بسموغ ، وهو يسرع — فى عزمته — بتقليل مريض وآخر . كان حاسبا طبعته المردوحة بتطارحان ما جرى ، سببا سببا . وقد بدأ حديثهما — فى هذه المرة — كما تلى . قال الدكتور « روب » مخاطبا الدكتور ماكينزى : « والآن ، ما الذى لن بالنسبة حين إلى هيا ؟ » . فأصابه الدكتور ماكبرى : « ليسحقنى الله إذا كنت أكرى ! » . ورد الدكتور روب : « يجب ألا تحلف أو تلعن يا بنى .. فلقد كانت أمك أمراه تقية ! » .

الجامع . ومن ثم غاب جيب تنطقي - يا فتى - نصيبها من ضرب السياط . . وكها يحدث حين يصدر قاض حريص بفكر حكمه بالخلد ثلاثين جلدة على ثلاث مرات ، في كل مرة عشر لسمعات ، أصبحت حين تنطق عقابها على دفعات ، لا يتجاوز كل منها ما يقوى هي على احتماله ، وإن كان هذا كاميا لأن سمر قلبها بأفسي الآلام ، وبقي روميا في رعب مستمر . وقد ثبت أنك - يا طيبى العريز الماهر - كنت على صواب في تشخيصك كنه الحالة وأحسب من المرحس . . فهو يقول إن اسماعيا هو الفتنة الأخيرة من سلسلة الشر . وهذا بعد صحيح ، لأن اسماعيا عليه من قش فعلا . . أنها اسماعيا الوحيد هو الاسماع على نفسها وقد وقعت في حبال هودنة هي . . ولكن كيف المسبل إلى اقناعه بـ نفس هذا ؟ . هذه هي المعضلة !

" هل تذكر كيف كان بنو إسرائيل محصورين من المحدر والبحر الأحمر ؟ . لقد كنت أعلم أن (المجدل) تعني الارح " ، ولكنني لم افقه العبرة فقد ، حتى وقعت بسبي عند ذلك الأسيس الصبي من الصحر ، . . البحر الأحمر أمامي وإلى يسارى . وسلسلة " حين عاتقة " الصحرة إلى يسارى . تتعالى نحو السماء ، كأنها طبقات حصن منيع . . وإذا المخرج والمداخل الوحيد - خلفها - هو الطريق الذى سلكه بنو إسرائيل من مصر ، والذى كانت عربات وفرسان عربون يحلحل دونه . وهى تتبعهم في مطاردة حامية . هكذا - يا فتى - ما تزال حين المسكنة تطأ بقدميها رقعة الصحراء التى نصلى يوما

من استيعاب ياسها . . أما المجدل ، فهو اليقين الثابت في دهنه ، بأن حيا لن يكون سوى اشعياق . . وأما البحر الأحمر فهو الإعراء . الذى يحسم عليها أن يحوسسه ، حتى تتجنب تسلق المجدل . . وقد يشرق حبه في المياه الباردة ، وعلى بحر حطها ، لأن أمواج الشك وعدم الاطمئنان تدمع فوق عامه . . أمواج الشك الذى عقد المذرة على أراحته عنه . . وعدم الاطمئنان الذى لا يؤمل يوما في أن ساكنه من انه كان خط وربما . . وفي أعقاب كل ذلك تدمع حوافل مرعور في سرعة فائقة . . انها الأقدار تجرى بسرعة على عجالات الطروب ! وبين أية لحظة وأخرى ، قد يقع حادث مستمر عن كشف وإلهام . . وإذ ذاك ، سيصعد هو متسلقا صعود المجدل ، سيدس مرمس ، ودهس داهيس . أما هي - حين المسكنة - فسيتقى تحيط في أعناق البحر الأحمر . .

أواه ، من لها يومى مبعوث رساله من السماء ، عيود لها عصاه السحرية . عصا الحب الذى يستشفي بواطن الأمور ، ويشفي طرقتا وسط لاهوان ، حتى يقدر لهما أن يلعا معا أرض المعاد ! هنا صدى العبر الحكيم ، هل حشرؤ على القيام بدور موسى ؟

" ولكن ، كائى بنفسى أكتب صفحة من دليل « بيدكر » (١) ، غير مستطبعة أن أسجل الحقائق الواقعية !

" أن لك أن تتصور حين وقد أصبحت نحيلة شاحبة بالرغم

عما تقدمه لها العجوز مارجرى من أطباق الثريد ، التي تعد يومياً - بعد العداء - بدمع مع عطور الصباح - السالى - وعلى كل من يمر بالاناء ان يحرك ما به قليلاً . . . امكنت تعلم - قبل ذلك - بان هذه هى لطيفه الصحيفة لطيف الثريد بانديك؟ . . . لقد كنت اظن دائماً بأنه طبق يتم عداؤه في خمس دقائق ، حسب الطلب . . . واد ، صح ما تقوله « مارجرى » ، عان الثريد الذي كنت اعرفه ليس سوى نوع إنجليزى يحصل هذا الاسم تجاوزاً !

ولكن اى حديث اصطلعه تهرباً من لواعح ؟! . . . ما إلهى ان لجرح الذى في قلبى عميق العور ، ومقروح ، حتى اسى احشى الكثيف عنه ، ولو ببدك الرقيقة ! . . . نرى ابن بلعت في حديثي؟ . . . لقد اتاح « الثريد » مهرباً . . . لا بأس ، لقد كنت افول ان حسن مرداد صعباً وبحولاً ، بالرغم من أطباق الثريد التي يمدحها بها مارجرى العجوز ، أما المرحه « روزمارى جراى » ، ما بها برد د اردهره و بهاء ، وهى دائماً البتة الصغيرة ، الجبيلة ، الرقيقة ، التي يزيد بها غلظة شعر اشقر خفيف متهدل حيرى الملبس . . . هذه هى اللبسة التي اصفاها الدكتور « روب » على انصورة الساحرة . . . وما كنت - بهذه المناسبة - لانتوقع ان اجده كما هو . . . اننى اتعلم كثيراً من الدكتور ماكينزى ، في حين اننى مشغوفة بالدكتور « روب » ، اللهم الا في تلك الحالات التي ابوق عيب إلى ان ارضعه من باقه مطلقه ، وألقى به من النافذة ! . . . أما عن شكل المرحه روزمارى ، فغصبت رأت من الأفضل ان اصارح الخدم بحلية الامر تماماً ، فليس

في وسعك ان تتصور كم من مارق خطير نعرضنا له . . . فقد حدث عندما وفد « جارت » على حجرة المكتبة - لأول مرة - ان امر « سيمون » بأن يحضر لها للأنسة جراى . . . وهم « سيمون » نال مفتح عمة لندكر ان المرحه جراى تستطيع بلوغ الرتب الاعلى ، على اطراف اصابع يسهوله ثامه ، وأنه رآها بعمل ذلك من قبل . . . ولكن البتة الكاملة التي مشيت عليها الخدم الإنجليز ، انفتحت الموفف ، علم بقى سيمون سوى : « سيمعا ، يا سيد ! . . . أجل يا سيدى ! . . . » ثم انفتحت بحوى وهو صاحب نحاس ، كمن ملاه السرور لانه كان سبب لى رسلها لا موجب له . . . ولو كان الامر مع العجوز مارجرى المررد ، ولسانها الإسكتلندى الذي يبدأ متباطئاً ، ثم تزداد سرعته باطراد كلما تحرك حتى يصعب ادقاعه ما لم يسك المحتر من أمكاره ، عليكم كيف توف - في مثل هذه الحالات - إلى ان احملها بين سراعى البهلين ، وألقى بها خارج الحجرة ! . . . لهذه الاسباب استدعيت « سيمون » و « مارجرى » إلى قاعة الطعام ، في إحدى الأمسيات ، بعد ان بات السيد بعيندا عن سماع حديثنا ، وأبلغتهما ان اسباباً لا يسعنى إيضاحها ، استدعت إزجاء اوصاف لا تطابق مظهرى . فهو يعتقد اننى قصيرة ، نحيلة ، سقر . . . جبيلة جداً . . . وأنه من الاهمية بمكان ان نرفض هذا العتب . لكن بتعالى بتسحاب صوتيه ، قد سدت له صطرات ذهنية . . . وبعدهم مظهر سيمون المطبوع على لادب والاسناد ، وأجاب بقوله : « ما . . . » أما من الجهة الأخرى ، فقد ذكر . . . العجوز مارجرى . . .

أثناء حديثي - بسحب حمضه ثم عن أرامها - ولكن هذه الأثر ،
تبلورت عند نهاية الحديث ، إلى بسمة قبول ومواقفة ..
بل إنها أصابت إلى ذلك معلقا خاصا ، بقولها : إنه لا يمر
حسن جدا ، كما أعتقد .. فإن السيد جارت - ويا للفتى
المسكين ! - كان يحرس دائما على أن يحيط نفسه بالجمال
.. وكثيرا ما كنت أقول له ، حين يدمو أصدقائه لزيارته ..
« ما به سحره بكل تمكيره عند بحث شؤون المأدبة - إلى لعابه
سطاحة وبعال الأدواب العسبة واعداد الكؤوس النبلورية
المصنوعة في البندقية والأواني الصينية الفاخرة » -
" ب سيد حراي " هذا ما كنت أقول له ، ثم أردف ، إذا شعر
من المناسبة بدعو إلى الاقتناس من الموراء " أن هنالك
بدو لي متحها بكليته إلى ما هو خارج الكس والإضلال ،
فلاست بهم بها في لدحس .. ولذلك من الصواب أن ينفه
محدودا ب نفسه حراي " . ثم أضافت ، إذ سعل بسعال
بها صلع عليه من أدب وكياسة - ووكرها بمرمحه - " ذلك
لأنه بالرغم من أن لوحه بسيط قد يحذ من جمال السمع
المرتبعة عليه ما يعوضه عن جمال القسمات ، إلا أنه من
المتعذر علي أن نصف التعبيرات الرقيقة له .. وهكذا
ترى يا دريك أن هذه العجوز الذكية - التي عرفت حقيقة
جارت منذ مولده - قد اتفقت معي - تمام الاتفاق - في قراري
الذي اتخذته منذ ثلاث سنوات مضت ! ..

" والآن لأكمل تقريرى .. لقد سبب لنا الصوت بعض
المتاعب ، كما بدا الأمر لك - وكانت خطتنا كلها معلقة في

عيران القدر لضع لحظات رهبة . ذلك لأنه وإن تقبل
مسهولة التفسير الذى دبرناه ، إلا أنه أرسلنى إلى خارح
الحجرة ، ليحضر الدكتور ماكينزى بأن صوتى فى الحجرة كفى
بأن مشر حنونه . وكان الدكتور « روى » سيد الموقف فى ذلك
اليوم ، وقد كسب الجولة - إذ أن جارت لم يكذب يقتل نفسه ،
حتى كف عن العودة إلى ذكر الموضوع .. غير أنني أراه
- أحيانا - يصيح السمع - وكأنه يستحث ذاكرته ! .. على
أن الممرضة « روزمارى حراي » تنعم بساعات سعيدة ، فى
حين أن حين المسكنة تظل بمعدة . ذلك لأن مريضها يتجه
إليها ومعتمد عليها ويتحدث إليها ويبدل الجهد ليصل إلى عقلها
وليكشف لها عقله .. وأنه لشخص رائع لمن يقيم معه ويعرفه
حبب المعرمة .. كل ذلك وحين تنمشى فى الخارج ، فى البرد
القارس ، منمجة إليهما وهما يتحدثان منها تتلوى هى عذاما ،
مقد تحققت من مسألة تقدرها للنمية الحيلة التى طرحت يوما
نحت تقديمها ، واستوثقت من طبيعة وعقل الرحيل البدي
صدته عنها بحجة أنه مجرد غلام - وعقله ! .. أن الممرضة
« روزمارى حراي » تحلس بجواره ، ساعات طويلة من
الانسان العذب ، فاستطاعت أن تعرف كل هذا . بينما تضرب
حين فى طريقها الصحراوي الضيق - صمودا وهبوطا - وهى
تعاين ربح الجنوب المحلة بالياس !

" والآن ، انتقل إلى أهم نقطة فى هذا الخطاب . ومع أنني
امراة ، فليس أعمد إلى الإيجاز . لكننى « سمعك يادريك أن
تحضر قريبا لزيارته ، ولنتحدث فى الأمر .. لقد طمخ الكيل ،

ولم أعد أحتفل أكثر من ذلك دون معونة .. أما هو فسوف يمتط بحصورك ، ليطلمك على ما وصل إليه من نخس - وليرك كل الأشياء التي تعلم أن يعملها .. كما أنك قد تستطيع أن تذكر له كلمة عن « حن » أو أن تهيب عتله لهذا الموضوع ، على الأقل !.. أواه ما مقاي ! لبتك تستطيع أن سرل عن ثمان وأربعين ساعة ، وستعشك سمات الشرك والحفول .. ثم أن لدى حطه صغيرة خاصة ، بتوقم تبعدها على حضورك .. أواه يا فتاي .. ألا احضر !

صديقك المحتاجة إليك « جانيت »

من السير دربك مراد إلى المهرضة رورمارى حراى بقصر جليينيش شمال انجلترا شارع ويبمول .

« عزيزتي جانيت ، سأحضر دون ريب ، وسأخرج محطة ايستون ، في مساء الجمعة ، وبذلك أقضى معكم في خلييش طوال يوم السبت ، وحرءا كبيرا من يوم الأحد ، على أن أعود إلى على صباح الاثنين . ولسوف أعدل كل ما أمك من حبد . ولكننى - مع الأسف - لمست موسى ، ولا أملك عصاه السحريه . مصلا عن أن الأبحاث الحديثة دلت على أن بنى إسرائيل ما كانوا يستطيعوا أن ينحدروا المكان الذى مدكرسه . وإنما كان عبورهم خلال البحيرات المرة . إنه مجرد تفصيل ، لا بهس نأى حال صحة إيصاحتك ، وإنما هو إشاعة لها ، لأننى أحشى ما نبتى العريزه أن تكون في طرفك مياه مرة ، ومع ذلك غتنى أمل .. كلا ، بل اننى أكثر من أمل ، اننى على

بالثقة . كثيرا ما أحبه دعنى - وأنا أذكر منك ، في المبرد الأخير - إلى الوعد الإلهى بأن كل الأمور تعمل معا للخير .. مكل امرئ يستطيع أن يجعل الأمور الطيبة تتعامل معا في سبيل الخير .. ولكن « أنا الذى في السماء » هو وحده الذى يستطيع أن يمنع من الشر حسرا ، وأن يأخذ كل أخطائنا وهوأنا وجهالتنا ، ويوجهها بحيث تعمل حبيما لتحقيق الخير العقيم لحياتنا .. وكلها ازدادت معصلة كياسا البشرى تمقدا وارتباكنا ، ازدادت حاجتنا إلى التمسك في الحياة بالصسكه لخطله الواضحة : « اعتمد على الله بكل قلبك ، ولا تعتمد على مهبك .. وفي كل طرقتك اعتمد عليه ، هو الذى يقوم بسلكك » .. أنها أوامر قديمة وبسيطة للمسير ، ولكنها صادقة ، ومن ثم فهى أزيلى !

« برسى أن أنست المهرضة رورمارى كماءة ممتاره ، غير أننى أهل الأواحه - بعد الآن - اضطرابات حسيديدة في معصلتنا .. هى أن مريضنا وقع في عزام المهرضة الرتيقه ، الصعرة « روزمارى » - ماذا يكون مصير حين ؟ .. أحشى في هذه الحالة أن تفتح الصحراء فيها - إذ داك - وتنتقمها . معلسا أن نحاشى مثل هذه النكة ! اللس في التوسع اعراء « روزمارى » على أن تقلت حرف « ه » - من تطلقها - أو ن نس أنت قد مالت إلى سهسوس ؟ .. أواه ما نبتى العريزه المسكنة : ما كان لى أن اداعك ، لو لم أكن قدما - عبا قرب - لمعاونتك - بالله من محب - الله - مالك - ن غالية ، ولكن معظم الرجال حمق أو شيطان - بل أن رجلا

منهم جمع بين الأمرين ! .. ثقى من أنفى سئلت له ذلك ،
أرصاد لتعسى وله .. إذا وانسى العرصة !

المخلص لك دائما : دريك براند »

من السير دريك براند إلى الدكتور روبرت ماكينزى
« عزيزى ماكينزى : هل ترى من الصواب أن أحضر قريبا
بزيارة مريضا فى حلبندش ، ولأدلى برأى فى تقديمه ؟ أرى أن
من الممكن أن أحضر فى عطلة آخر الأسبوع .

أرجو أن تكون راضيا عن المرسلة التى أرسلتها .

صديقك المخلص جدا : دريك براند »

من الدكتور روبرت ماكينزى إلى السير دريك براند
« عزيزى السير دريك : أن السبده القديره التى أرسلتها
لتكون ممرضة لمريضا تؤدى كل حاجة بعن له ، وحتى لم تعد
سأدري من حاجة إلى ، ولا إليك أنت .. غير أنى أرى من الخير
العظيم أن تحضر قريبا لزيارة الممرضة نفسها ، إذ أنها بعد
من لحما وشحبها أكثر مما تحبيل أنه سبده فى مثل عودها .
أن هما خفيا ، يعمل إلى جانب القلق الطبيعى — الناجم عن
مسئولياتها فى هذه الحالة — على النبل من صحتها . وقد تمضى
إليك مدحيلة نفسها . فى حين لا تقوى على أن تضع ثقتها فى
شخصى .

خاتمتك المطيع : روبرت ماكينزى »

الفصل الحادى والعشرون

حسبت الممرضة « روزمارى » مع مريضها فى حجره المكتمه
تتصر حليشى ، وببعضها مفضدة صغيرة حلت أكاداسا من
« الحطانات » ، وأماها بها يريد الصباح . وكان عليها أن تمسحها ،
ونقرا عليه فحواها ، وتقدم له ما يرغب فى تلبسه أو فى
الاحتفاظ به فى حبه .. وكانا يطلسان محوار الباعده الفرنسية
المؤدية إلى الشرفة ، تهب عليها ثيابات معطره بعبير زهور
الربيع ، وقد نعدت أشعه شمس الصباح داخل حجرة المكتمه
.. وكان « جارت » فى ملابس من « الفايلا » البيضاء ، وربطه
عقب خضراء ، وفى مروة سفرته بعض زهور الربيع .. وقد
جلس مصححا فى رضى ، يستهتما بحواشيه التى كانت تفرع
من استرداد استعاشها ، وعبير الزهور ، ولباسات أشعه
الشمس .

ومرغب الممرضة « روزمارى » من تلوه حطاب حاض بها ،
مطونه ووصعته فى حبيبها شعور كله أرنواح وشكر . فقد كان
دريك قادما . ولم يخب ظنهما أنه . وسألها جارت على غرة
بمها « أهو حطاب رحل ما أنسه حراى ؟ » فأجابته الممرضة
روزمارى : « تباها .. وكف عرمت ذلك ؟ » . وكان حواها .
« لأنه محرر على ورقة واحدة .. ذلك لأن حطاب المرأة —
إذا كان لأمر هام — يستغرق ورقتين أو ثلاث .. وهذا الخطاب
كان لأمر هام ! » . فهتكت الممرضة روزمارى . « لقد صحح
استفتاحك للمرة الثانية .. وللمره الثالثة .. فكيف عرفت

ذلك ؟ » . فقال : « لأنك تنهدت في ارتياح تام ، عندما أكلت
السطر الأول . وتنهدت - للمرة الثانية - عندما طويت
الخطاب وأعدته إلى غلافه ! »

وسحكت الممرضة روريمارى وقالت : « انك تتقدم بسرعة
يا سيد دالين ، ويخيل لى أننا لن نستطيع - بعد قليل - أن
نحمض مائى سر لنا .. لقد كان خطاسى بن .. » . ولكنه صاح
بقاطعاً بسرعة ، وقد مد يده محتجاً : « لا ، لا تضرينى ! ..
مليس من ميل أو عصول نحو مراسلاتك الخاصة يا أستاذة
جراى .. ولكن من أكثر دواعى سرورى أن امين لك التقدم
الذى ملعته في السمرب على الأشياء دون الاسترشاد بأحد ! » .
مقاتل الممرضة : « إما أردت أن أشعك أن الخطاب من السر
دريك ، وقد جاءه صدى ما حوى أنه تام إلى هنا لراك في يوم
السبت القادم » . فقال حارث : « جيل جداً .. ما أعظم
التحسس الذى سيلمسه في حالى .. وسيسعدنى أن أقدم
له تقريراً عن الممرضة ، كاتبه السر ، وفارئة خطاباتى .
« المرشدة الصبور في عمر بريرة . مل الرديعة الملامرة الفنى
انتقاها لى » .

ثم أردف في حرج ولهمه « ارجو ألا يكون حضوره لكى
ياخذك من هنا .. أصدقئى .. ماجانته الممرضة روريمارى .
« كلا ، ماال الوقت لم يحسن بعدد لذلك .. ولكنى أردت
- يا سيد دالين - أن أسألك أن تسمح لى بالعبث عنك لما
لا نحاوّر ثمانى وأربعين ساعة ، وستكون ربة الدكتور براند
فرصة مناسبة لهذا الغياب ، لعلنى بأنك تأتمن إليه . فإذا

سحب لى بعتلة نهاية الأسوع . سأرحل في مساء الجمعة .
وأعود في ساعة مبكرة من صباح الاثنين ، في موعد مناسب
لعض برند الصباح .. وسبقاً عليك الدكتور براند خطابات
المست والاحد .. آه . نسيت أن لا برند هناك في يوم الأحد
مكسى لى موت غير برند يوم واحد .. كما أن الدكتور براند
سكون أكفأ منى في مهام أخرى ! » . ماهاها حارث وه .
يواصل لأخفاء ما ألم به من أسياء : « حسناً .. لقد كنت أود
كثيراً لو بقينا ثلاثتنا لنحدث معاً ، ولكن لا عرامة في أن تكوى
نحاحه إلى اجاره صبر .. مهل تقصدين جهة بعيدة ؟ »

- كلا ، نال لى أصدقاء في جهة قريبة من هنا . والآن من
تريد أن نقررغ للبريد ؟

مد حارث يده قائلاً « نعم ، انتظرى دقيقة واحدة ..
هناك صحيفه بين الرسائل ، مائى أشم رائحة مذاق المطبعة
.. لا أريدها ، متكرى ماعطائى بقية الرسائل ! » . فأنعذب
الممرضة « روريمارى » الصحيفه ، ودمعت إليه بالرسائل حتى
لمست بدنه . وإذ تناولها ، ارتسمت على شففته سمة سرور
بها هو مرتقب ، وقال : « بالها من كمية كبيرة ! وعلى ذكر
ذلك - يا أستاذة جراى - لو أنك كتبت تنقاصين أحراً متناسب
مع ما تقومين به من تلاوة هذه الرسائل الكثيرة المصروء
بأساليب سهلة وغير سهلة ، لاستطعت أن تقومى بمشروع
شامل سميته « الكتاب القارى » . أتذكر من براند
المبيدة باركر مانحس ؟ .. اعتدت أنها كانت أول من تمحك
فيها معاً . بالها من عجوز كريمة ! »

أن تذكر قصة مرثيماوس الأعمى » ، الذى عطس سبع مرات
فى بركة (سلوام) . . من الحسرة دائما تجب التشبهات
العتيقة ، لا سيما إذا كانت من الكتب المقدسة ، إلا إذا كان
المرء يعيها بدقة . . والآن . . » ثم صبت جارث . . وكان
فى تلك الأثناء يتحسس الرسائل واحدة فواحدة ، وهو يفحصها
بأصابعه بعناية ، قبل أن يضعها على المصدة بخواره ، حتى
وصل إلى رسالة كانت على ورق أخضر ، ويخوبه بالشمع
نقطع الحديث فى حدة . . وأمسك بالرسالة دقيقة وهو
صامت ، ثم مر بأصابعه على الختم .

وكانت المهرصة رورمارى تراقبه فى لهما ، فلم تصدر عنه أنه
إشاره ، غير أنه لم يلبث أن وضع الرسالة على المصدة ، وأخذ
بها بعدها . . حتى إذا ما أعاد إلى المهرصة الرسائل ، حمل
الرسالة المحتوية فى آخرها ، حتى تقرأها عليه بعد مراعاة
من جميع الرسائل . . ثم بدأت الإحراء المعتادة ، ماثمل
حارث سيحارته . . وهو أول عمل أحاده بنفسه . . وأخذ
يدخلها متلذذا . . وقد استوثق من موقع مصفحة الرمال ، ور . .
بده على إلقاء الرمال داخلها بكل دقة . . سيما تناول المهرصة
" روزمارى " الرسالة الأولى ، فقرأت حاتم الجهة التى وردت
منها ، وقدمت إليه وصفا كاملا للخط الذى كتب به العلاف .
ماستطاع " حارث " أن يتعرف على اسم صاحب الرسالة .
وكان يسر غاية السرور حين يتبين بعد مضي العلاف صحة
تعيينه ، فى كل مرة . . وكانت الرسائل . . فى هذا اليوم . .

تسما ، من جهات مختلفة ، بمعصها من أصدقائه من الرجال ،
ورسلاته أو اثنين من حسناوين سطقا استعدادهما للحضور
لرؤيته ، حالما بدى رغبته فى قبول الراشرين . . ورسالة من
ملك الصمىار يطلب بمساعدة مالية . . وبطاقة صميره من
الدكتور براند تعلن منها اعتزاه الحضور . . ثم قائله حساب
- بنى رملات للعق - من محل تجارى بشارع (بوند) بلدى
.. وارتعشت اصابع المهرصة " روزمارى " وهى تعيد
الخطاب الثامن إلى علامه - ولم يبق على المصدة سوى
الرسالة الأخيرة - فلما التقطتها بيدها ، نادر حارث بالقاء
لعمه البيع من البامدة ، فى حركة عصبه . ثم استلقى فى
معهده وقد على وجهه سديه . وقال : " هل أحدث إلقاء
اللفافة أيتها المهرصة ؟ " .

ومالت إلى الأمام ، مشاهدت دحان اللامعة متصاعدا من
عوى الحصى ، فقالت له : " تها يا سيد دالمين . . هذه
الرسالة تحمل طابعا مصرى ، وعليها خاتم برند القاهرة كما
إنها محبوبه بالشمع الأحمر . . بخاتم يحمل شعارا به حوزة
عليها ريشة وقناع محكم " . مسالها حارث فى هدوء ثم :
" والخط الذى كتبت به ؟ " . وأجابت : " ان الخط الذى
كتبت به يتسم بالجرأ والوضوح الكامل . . وليس به دوران
ولا تميق ، وقد كتب بريشة عريضة " .

— هل لك أن تتصلى أيتها المهرصة بمصر العلاف ، وقراءه
التوقيع قبل تلاوة ما بالرسالة . .

وعند ذلك أخذت المهرصة " روزمارى " تسمل لتحمي
خنجرتها التى أوشكت أن تسد أنفها صوتها . . ثم صمت

لرساله ، وبطرت إلى صمحتها الآخره ، وعراب التوقيع .
وقالت له : « ان التوقيع يا سيد دالين هو .. جين
شامبيون » - غفلا لها جارث في هدوء : « أرجو ان تقرئ لي
الرساله » - وشرعت المبرضة روزماري في تلاوتها :

« عزيزي دال .. ما عساي ان اكتب لك ؟! .. لو انني كتبت
بحوارك لتدقق معي حديث طويل . اما الكتابة مع الصمونه
و لا سمحاله يمكن .. امسى أعلم ان الامر شق عليك مما لو
كان على اى فرد منا .. ولكذك ستكون أكثر منا جميعا
شجاعة في اسعاب علمه . ولستوف تخرج من 'الحبه على احسن
حسن ، ونسهر على ايمانك بحبل الحياه ، واطهارها كذلك
بالحرس . امسى ما كنت لاتصورها كذلك ، حشر كان ذلك
لحسب الذي صمما في اومردين و شيسبون ، علميتني
كيف اسعطي الحمال . وبعد ذلك اليوم واما اذكرث في غروب
شمس كل يوم ، وفي شرومها . على صمحه المصط الاطلسي
للاره ربه - وفعوى مهم الحبل الأرحوميه ، وفي رشاش
- ملائك سحر ، وفي رهور الرشح في النيس ، وفي صمغرا ،
بصر الذهبه .. فلفد سموعيت كل هذه وادركت حياها
بجملك . اواد دال ، لكم امسى الحضور لاسك بكل شي .
حتى يتسنى لك ان تراها خلال عيني ، وإذ ذاك مائك ستزهد
مهي اياها افساعا ، وتبصرني بها في مزيد من الجمال ..
ولكنني علمت بانك لا تقبل زائرين .. افلا ترتضى استثناء
واحدا ، فقمصح لي بالحضور إليك ؟

« لقد كتبت عبد الهم الاكبر عذرا .. امسى حشر . كتب
استلقية في استرخاء ، في شرقة اد .. امسى حشر ..



وفرد التوقيع فل باردلي ما بالرساله

وقد أثار نور القمر أشجائي ، وأهاج ذكرياتي .. وكنت سدد صميت ساعتئذ على أن أعدل عن السياحه في جوض النيل . لأعود إلى الوطن ، وأعيرمت أن أكتب إليك لتحضر للقائى .. وفى تلك اللحظة ، وصل الجرال « لورين » ومعه صحبه وخطاب من « ميرا » .. وبذلك علمت بالماخضة .. ترى أكتب تقبل دعوتى وتحضر لمقابلتى يا حارث ؟ .. والآن يا صدى - وأنت لا تقوى على الحضور إلى - أيمكننى أن أحضر إليك ؟ .. كلمة واحدة تصدر من فمك : « احضرى ! » كاسه لأن أظير إليك من أمد بقعة في الأرض أكون منها لدى نسلوى رسالتك .. لا نعماً بالمعنواى الذى في حطاسى هذا في مصر ، على أكون هنأ لدى إطلاعك عليه ، وإثما أكتب لى بعنوان عمى في دارها بالمدينه ، فكل رسائلنى ترسل إلى هناك ثم تحول إلى - معلقة - حيث أكون .

« دعنى أحضر ، وثق أننى أقدر مدى قسوة الأمر عليك . ولكن الله خير معين .. وتأكد دائماً أنتى :
الوفية فوق ما تقوى القلم على وصفه » حين شامبيون »

ورمع جارث يده التى كانت تعطى وجهه ، ومال « إذا لم تكونى متعمة بما أسمة جراى ، بعد تلاوة كل هذه الرسائل ، مانى مشوق إلى أن أله عليك ردى على هذا الخطاب مورا ، وهو ما يرال حاصرا في ذهنى .. هل لديك أدوات الكتابة .. شكرا لك ، هل تبدأ ؟ » .. وشرع يلى :

« عزيزتى الأنيسة شامبيون : لقد تأثرت أعيق التأثر لخطابك الرقيق الذى يعض عطفنا ، مكان له في نمى وقسم

حسن . وانه لجبل منك أن يكتنى لى من البلاد النائية ، ومن بين أسماء كانت حليقة بأن تشمل بالك عن اصداقائك في الوطن .. »

ثم سادها صميت طويل .. وانظرت المهرصة « رورمارى » والقلم في يدها ، مؤلمة أن يقتصر تردد صبرات قلبها على لادنها وجدها ، فلا ينراى عبر المنصدة .. ثم استلف حارث إلهاء خطائه : « سرى أنك لم بعدلى عن رحلتك في النيل ، ولكن ... »

وعند ذلك سمع طنين نحلة جاءت من شجرة الخرامى ، وحطت على رجاء البامذه . وميها عدا ذلك ، عم السكون الحجره . ثم استطرذ جارث : « ولكن .. لو ألك كتبت إلى ، لكنت قد حثت طبعها .. »

وراحت النحلة تماضل ضد النامذه في حنق ، مساعده وهابطه ، مرة تلو أخرى ، لمدة دقائق ، ثم اهتدت إلى مصراع راحى مفتوح ، مانطلقت منه مرحلة إلى اشعة الشمس . ثم ساد الحره صميت تام .. اخترقه صوت حارث - بعد حين - وهو يلى في هدوء : « وأكرم من ذلك أن تقترحي رعبتك في الحضور لرؤيتى ولكن ... »

وهنا استقطت المهرصة رورمارى القلم من يدها ، وقالت له : « أواه يا سيد دالين .. دعها تحضر ! » . فأتجه إليها حارث بوجه كله دهشة بالفة ، وقال لها : ألمحة حاسمة « لا أريد ذلك » . ولكنها عادت بول : « ولكن بصور مدى القسوة على أى امرى يود كثيرا ر سوت قريبا .. أن يكون

صديقا في الحنة ، ثم يرفض سؤاله ! » فقال : « ما دفعها إلى اقتراح المجيء سوى ما لها من قلب مغمم بالرحمة ، ما آسفة جرائى .. نهى صديقة وزميلة منذ أمد بعيد ، ولهذا غسوت تحزن كل الحزن إذا رأتنى في هذه الحالة ! »

ولكن الممرضة عادت ترجو ملحفة : « هذا لا يبين من خطاياها .. لا يمكنك أن تقر ما بين السطور ؟ .. أم أن قلب المرأة وحده هو الذى مغمم قلب المرأة ؟ .. أم برائى لم احسن قراءته لك ؟ .. هل لى أن أعيد قراءته ؟ » - فاعتقدت على وجه جارت امارات عيط حقيقى ، ثم نظم سحر ورصانه ، بعد غضب حاجبيه الأسفدين المستقرين . « بل أنك قد احببت قراءته اتم إحادة ، ولكن ليس من المستعاض أن ساقشسى .. » « اود أن اكوي درا في اهلاء رسائلنى إلى كتابته سدى ، دون أن اطلب تفسير ! » - فاحبته الممرضة « روزمارى » فى دلة « أرجو منك الصفح يا سيدى .. لقد أخطأت ! »

وسيط جارت يده عبر المنتفذة ، وقرعها لحظة ، وأن لم يحد بدا بسحب ومقلها . ثم مال لها باسسامته الحلاية « لا بأس يا مرشدتى ودليلى الصغيرة الرحيمة .. لك ان يوحهى فى أكثر شئوى . ولكن ليس فى هذا .. والآن دعينا نختم الرسالة . إلى اى كلمة انتهيذا ؟ .. آه ! .. » « عليك ان لحيصور لرؤيتى ، ولكن » ... هل أضفت لذلك أنه لطف منك .. أو أنه أكثر من اللطف ؟ » - فاجابته الممرضة روزمارى بصوت متهدج : « واكرم من ذلك » . مقال : « لا بأس .. انه - فى الواقع - أكثر من الكرم . وليس سواها وسواى من

يستطيع أن يديرك مدى هذا .. والآن دعينا نكمل .. » غير انى لا استقبل زائرين ، ولا رغبة لى فى استقبال احد ، إلى ان اعوى على السطوة الكاملة على الطسروب التى تنطق بعمرى ، ملا تكون اليهة او ملحولة لدى العير . ولسوب اعلم - خلال الصب - شب اعيش فى هذه الحياه الجديدة . حطبة - حلوه ، فى عزلة ناهة فى حطيش . وأنا اشعر بيقين من ان امداقنى سحرمون رعيتى فى ذلك . ومعنى الآن شخص عموم سماعتنى على أتم سبل وى طول اياه .. ولسكن انتظرى ! » .. قال جارت فى صيحة مفاجئة ، ثم أرفف : لا اريد ان أذكر ذلك ، فقد ساورها بعض الشكوك ، وقد سىء العهم .. هل بدات كتابته تلك الحله ؟ كلا .. ماذا كانت آخر كلمة ؟ .. « ذلك » ؟ .. آه ، نعم ، هذا صحيح .. ضمى نقطة بعد كلمة « ذلك » .. والآن دعيبى أفكر ! » - وأخفى وجهه فى راحتيه ، وحلس طويلا مستغرقا فى التفكير .

وانظرت الممرضة « روزمارى » ، وقد ابقت يدها اليمنى - الممسكة بالعلم - على الورق . أما يدها اليسرى فغطت ساعطة على صدرها ، وقد شبت بصرها على ذلك الرأس الأسود المنحنى ، فى نظرة كلها حنين وحنان مشبوب : ..

ورفع جارت رأسه - أخيرا - واختتم الامسلاء ، قائلا : « صديقك المخلص : جارت دالين » . وفى صمت تام ، كتبت الممرضة روزمارى العبارة .

الفصل الثاني والعشرون

في ذلك الصمت الممض ، الذي اعتب الأملاء واعلاق
الرساله ، سمعت صوت الدكتور روب . . الباعث على الاستعاج
« ترى من مريض اليوم ؟ » أهى السيدة أم السيد ؟ . . ارى انه
لا هذا ولا تلك ، مكللكما بشع سريق الصحة الكامله ، وما
يجعل الطبيب يخجل . . انه ربيع في الظاهر ولكنه صيف في
الداخل ! » . واقبل عليهما الدكتور روب وهو في دهشه من
بدا على وجهيهما من شحوب وابتقاع ، ولما خسل إليه انه
سيتشقق في الهواء من دحل قلوب بحرق . . عاد يقول :
« كائى بالملاس البهيماء تعمرى بالنزعة في القارب وتناول
الوجبات في الخلاء . . واني لأراك - اسها المرمصة حراى -
قد طرحت عنك المعطف الصوفى ، وعدت إلى الثياب الرقا
الحبلة . . انها تناسك حدا ولا ريب ، ولكن حذار من البرد
واحرصى على التدفئة الطيبة ، لأن مثل هذا الجو يستلزم
الاكثار من الغذاء ، لا سيما بعد أن فقدت احيرا حرا ملحوظا
من وزنك . . فنحن لا نريد مريضات قصيرات ، نصيفات ! » .

وهنا سألها حارث بلهجة يسودها الكدر : « لماذا تعير
الآنسة حراى دائما بأنها ضئيلة الجسم ما دكتور روب ؟ ان
موقن من أن قصر قامتها لا يعيبها ولا يلحق بها ضررا ما ! » .
مقال الطبيب : « سأعيرها بأنها طويلة ، إذا راق لك ذلك » .
ويظهر إليها ، ثم عمز بعينه في حيث ، سمها كانت واقعة لدى
النافذة بقوامها المشقوق ، وقد وجهت إليه نظرة امتعاض .

فقال حارث في شيء من الصراحة : « بل فعصل الا أسبع
تعليقا ما عن مطهرها الشخصى ! » . . ثم أردف بلهجة اخف
وقعا : « انك تدرك انها مجرد صوت بالنسبة لى . . صوت
رقيق مقودى ومهدبنى . . لقد تشغل بالى في اول الأمر
أن انبثل لها صورة دهشة غامضة غير واضحة . . أما الآن ،
ماتى فعصل أن اقيس كل شيء اعلمه عنها ، سيقاس ما تقدمه
لى من عون ، وانرك ما لا اعلمه دون ما تصور . . هل خطر
لك مرة انها الشخص الوحيد - واسقط من الحساب ذلك
الغنى حونسون ، لانه يذكرنى بسيد الكوايس الذى أعمل علمى
نسيانه بسرعة مائقة ! - أريد أن اقول انها الشخص الوحيد
الذى يلامنى وأنا ماقد البصر ، دون أن اكوى قد رأيته ؟ . .
وان صوتها هو لصوت الوحيد الذى أسمعه ولا أقوى على أن
أمثل له جسما ووجها . . ومع الوقت طمعا ، سيكون حولى
كثيرون . . أما الآن مانها الوحيدة التى تلامنى ! » .

ودارت عينا الدكتور روب الناظران ترمضان كل شيء ،
وتنقار في كل ركن . أثناء حديث حارث . . عسى أن يهتديا
إلى شيء ، تنصرمان إلى محصه - ومجأة ، وقعت عيناها على
المنضدة . فقال : « عجبا ، الأهرام ؟ ! » . . طابع البريد
المصرى ؟ . . أنه طريف . . هل لك اصدقاء هناك ؟ . . فأجابته
حارث . « لقد وصل هذا الخطاب من القاهرة ، ولكنى اعمد
أن الآنسة شامبيون قد ذهبت إلى سوريا » .

وراح الدكتور « روب » يبعث بشأربه ، وهو بحيلة
مكرا . . « شامبيون » ؟ . . م اودع ، . . شامبون ؟ . .

اسم عبر شائع .. برى ، انكون كاتبة هذا الخطاب ، هي السيلة حين ؟ . - ماحاب « حارث » في دهشة وقد ارتجعت مبرات صوته : « هذا الخطاب منها حقاً .. هل تمرمها ؟ » .
 فأحياه الدكتور « روب » في تفكير وروية . « أجل .. اعرف وجهها ، واعرف صوتها ، واعرف تكوينها ، واعرف الكثير عن شخصيتها .. اعرفها في داخل الديار ، واعرفها في الممره .. لقد رايتها تحت سيران لا يحتملها اكثر معارفها من الرجال .. ولكن شيئاً واحداً لم اعرفه حتى اليوم ، وهو حطها .. مهل لى أن القى نظرة على العلاف ؟ » . ثم دار نحو البامدة ..
 لقد أراد الطبيب الاسكتلدى الشهم أن يستشف رأى الممره " رورمارى حراى " ، ولكنه لم يجد أمامه سوى طهر عريض في ثوب أزرق .. من الممره رورمارى كانت مستغرقة في تأمل الطبيعة ، خلال البامدة . وارتد الطبيب إلى حارث الذى أوما بالمواظفة على أن يتناول الرسالة ، وعلى وجهه رعدة مشوقة إلى سماع المرد . وإعراض طاع عن أن يطلب ذلك . فأخذ الدكتور ماكينزى العلاف - ماعه السطر ميه ، وقال أخيراً :

— نعم ، أنه صورة منها .. واضح ثابت . غير مبدب ، وكأنها تعيم حداً ما تريد إيصاله ، فهي تعصى به . وسدد الكلمات إلى معانيها فقتلها .. أحل ما سى ، أنها امرأه عظيمة .. ولو أنك ظفرت بصداقة السيلة حين لاستعيب عن كثير من الأشياء ..

وتصرجت وحننا « جارث » الساحلطان وقبى عليه

الشوى . ملقد كان . في الظلمه البى أحاطت به . يعانى حوعاً شديداً ، لعوط حاجته إلى سماع كل ما يقال عنها من العالم المصمى الذى تعيش وتضرك مبه .. إذ كان الباس قد داخله من سماع صوتها .. وما يرى - طيلة هذه الأثناء - أن « روبى » الكهل كان يستطلع أن يحدثه عنها .. وكان كل ما سمعه هو الاستفسار عنها من الدكتور براند في حيطه شديدة ، حتى لا يكتشف سره وسرها .. أما مع الدكتور « روب » والممره « حراى » ، فلم تكن به حاجة إلى هذه الحيله ، بل كل موسم الاحتياط سره ، والاصغاء إلى حديثهما . والحدث إليهما . لذلك لم ينث أن ساء قائلاً : « أين .. ومتى ؟ » .. فأجابه الدكتور روب : « سأخبرك متى . - إذا كنت تميل إلى سماع قصة من قصص الحرب ، في صباح مزدهر بيباهج الربيع » .

واشتد أوار الشوق مجارث ، فقال : « اجلس يا دكتور ، وعسى أن يكون الآسفة حراى خالسه ؟ » . فأجابه الدكتور روب : « لا أريد مقعداً ماسدى ، لأنى حين اعترم الاستعراق في الاستمناح بمصحبى ، أؤثر أن أظل واقف .. أما الممره حراى لميبت بها حاجه إلى مقعد لأنها تقف في المسامدة سابعه في جمال الطبيعة . ومن الواضح أنها كفت عن الاهتمام بك ، أو بى - ونادراً ما نجد امرأة تبدي اهتماماً بها يروى عن امرأه أخرى .. أما بت يا سى . ملك أن تضطجع في مقعدك ، وتشعل لقامة ، وتدفن . إذ يحذر من روبرث شهم ذلك . فهو خير من أن تدق الحائط سديك .. أم .. أنه قد مضى » .

سما مديان به إلى السيدة التي تفس الطرف عما . وبمصل
علينا جمال الطبيعة . وعلما الله انني لست بالمدى تلك
رؤيته ، في حين أنك أمامها ، هي تراك طوال اليوم . . . يا له
من صعب غلظ هذا الذي تخفنه ! أي نوع هو ؟ . .
" ربيبت " ؟ . . آه ، صنف ماركوفيتش ؟ . . انه نوع لا بمصه
أي نوع للتدخين في حجرات الاستقبال وقى الحدائق ، حيث
يحتلظ غير اللعامة بالرهور . . استلق في مقعدك ، وتلد
بندحبها ، أما أنا فعسى استنشيق دخان البارود . . وأصع إلى
مستقص عليك ابن رايت النبيلة حين لأول مرة . . في جنوب
إمريقي . في حضم معارك البوير ، وكنت قد تطوعت لاكتسب
مرايا في الحراجه . أما هي ، فكانت تعمل في التبريص . وإذا
فتت التبريص ، مثق بأدنى اعنى المعنى الصحيح لذلك العمل
. . لم يكن به شيء من إغراق المساديل الحريرة الرفيقة
بماء الكولونيا ، وعسل اللوحه بها ، بعد أن يكون الخدم قد
عملوها من قبل . . والتلطف في الحديث إلى الناقمين ، والعرار
في هلع من الموتى أو من المحصرين . . ثق انه لم يكن هناك
شيء من هذا ، وما كانت تسمح به في مستشعها ، إذ أن
الآنسة شامبيون كانت صاحبة الأمر هناك ، وأؤكد لك أن
المبرصات كن يوقرنها أي توقير . وكانت تقوم بعمل عشرة
أشخاص ، وتريد من سواها أن يحتو حذوها . وكان الأطباء
والمرصون يمدونها . . وكانت تنادى دائما باسم « النبيلة
حين » . . وكذلك الجنود الحرحى ! كم من عتي هناك ، كان
دنيا عن الديار والأصدقاء ، حتى إذا وأتاه الموت ، مات وعلى

سعيه استقامة ، وشعور بأن امه وداره قريبان . لأن ذراع
« النبيلة حين » ذات جوده . . ولأن رسة المحصر كان ملقى
على صدرها الحنون . . ويا لصوبها وهي تحدثهم . . كلا ،
اننى لن اسماء ابدا . . لقد كانت تلم النساء بصوت حاد ،
وبصبر أوامرهما إلى الرجال ، ثم تقودوا ليكنهم إلى جسد
مريض وكانت أمه أو حبيبته ، مكان هذا . . السريع درسا
بأنزل أميد منه حتى الآن . . أما طلبها لكم المحب ، ملائد
أن الألم كان يعممه كثير ، ولكنني شئت ما مضيه .
ومشرقة ، فلم يخفها حذوها سوى مرة واحدة . . وكان ذلك
من أهل فتي . . شطب حدث ، حاولت جهدها أن تنقذه ،
ووفيت بحوارها أثناء امسية لرحلة التي كانت الأمل الأخير
لحبه . ملها تمن عدم حذوها ، وسلمني لمعى على صدرها
عائد الصواب ، نداعت منها لكة وهي تقول : « آواه يا دكتور
. . انه مجرد غلام . كيف تتعذب إلى هذا الحد ؟ ثم يوب
هكذا ؟ ! » . . وضفته بين فراعيها . وراحت تبكيه كما لو
كانت أما نكلى . لقد ذكر لي الحراج ذلك بنفسه . وقال أن
أنتى قلب في الحبه — تأثر ولا . . وبكتها كانت المرة
الوحيدة التي خارت فيها قوى النبيلة جين ! »

ومض حارث يده على وجهه ، وقد أملت السبحارة من يده
نصف محبرة ، مسقت لبى الأرض . سها شملت يده .
التي كانت بها السبحارة — علو ربيد . . محال عصبي .
بالنقط الدكتور " روت " اللعامة . . .

لى حديثي في السجدة ، ثم التفت إلى المامدة ، حيث كانت المبرصة « رورماري » قد أتحفت اليهما ، وهي مسندة إلى حامي المامدة ، غير أن نظرها لم تنح إلى الدكتور « روب » ، وإنما استقر على « حارث » في مطلع المهبوب ، واستأنف الدكتور روب حديثه قائلاً : « لقد التقيت بها عدة مرات ، في مرات أخرى ، ولو أنها لم تكن في قسم واحد ، ومحدثت إلى مرة واحدة ، وكنت قد سأرت من مركز الأساقف المؤقت — الذي كان مكتظاً بالوامدين ، وكما يعالج منه أسوأ الجالاب الوامدة من المذار — إلى المستشفي الرنسي في المدينة ، لأحضر كيسة حديد من « الكلورومورم » .. وسما كانوا سعدون لى طلنى ، مررت بماعة المرضى ، وإذا بالأسسة شامسور حائنه في ركن من أركانها — بجوار رجل حانت سامته الأخيرة ، وهي تكلمه في هدوء ، وتعمل — في ذات الوقت — على تحميم آلامه .. وفجأة أتبعته دوى يصم الآذان ، وتلاه دوى آخر ، وإذا بالسلسلة حين ومريضها قد عطينها الأماقص والآلربة ، إذ سقطت تنبله من البوير موى البقطة التى كانا يحبس بهاها من ليست مانتصب المريض خالسا وهو يصرح مرعاً .. وما كان المسكين ليلام وهو في النزاع الأخير ، نصف محذر الحواس .. أما السلسلة حين ، فلم تتحرك شعرة من جسدها ، بل قالت له : « أرتد يا رجل ! » .. فأجابها بانكيا : « ليس هنا » .. فأجابته النبيلة جين : « حسنا ، سننقلك من هنا حالا ! » .. ثم أدارت وجهها لى راتنى ، وكنت مرديا ثابا رثه من « الحاكى » .. البطنها دور وعى من الخيبة عند حضوري للهيئة .. كما كنت يغفرا من

خراء رحلى الممحلة . وقالت لى : « أسمع أيها الحلويش .. ماعدنى على نقل هذا المسكين ، ملست أرتضى له الإزعاج في هذه الفترة بالذات ! » .. كان هذا كل ما صدر من جين سمب سقوط قفله على يصح ياردات من رأسها ، مهل مدتهك أن يعيدها الرجل ؟ وبعد ذلك وضعت يديها تحت كتفيه ، به اشارت لى بان أرمعه من تحت ركبته ، وحيلاه مينا سندا عبر ردهه قصير في ميايتها سنار مؤدى إلى حجره هادئة صعية ، لم أكن أتوقع أن أراها ، وسما فراش مريح ، وبعض الصور والكتب المنسقة على منضدة الزينة . ثم قالت لى : « انصع هنا أيها الحلويش ، إذا سمحت ! » .. غوضفناه موى المرائش . وسألها عن صاحب الحجر ، مايدت دهشتنا من سؤالى ، حتى إذا رأت اتنى غريب عن مبطقتها ، أحاب نادب « أنها حبرى ! » .. ثم التفت إليه ، ووجدت أنه قد دخل في دور العيوبة ، فأصامت قائلة : « وسننتهى حاجه لمسكن إلى المرائش ، مثل أن أحتاج إليه ! » .. فتأمل هذه الأعصاب العجيبة ! .. هذه هي المرة الوحيدة التى تحدثت مينا إلى النبيلة جين .. وما لبثت مدة تطوعى أن انتهت . وعدت إلى الوطن .

ورمع جارت رأسه وسأله : « ألم مرها بعد ذلك في ملاديا ؟ » .. فأجابه الدكتور روب : « نعم رأيتها ، غير أنها لم تذكرنى .. ولم نند عليها بادرة محرمه . وكنت كلنى يمكنى أن أنتظر ذلك منها ؟ .. لقد كنت — يوم راتنى في المذار — ذا لحنة ، إذ لم يكن إزاله اللحمه مسبوره هناك ، لمصين بوقت .. وكاتب

سترتي حينذاك تدل على أنني جاؤيتي ، ولست جراحا . فلا
لوم عليها إذ لم يحضر سالها أن تلتني في حي بيكاديللي رملا في
الحرب ! » . - ويتر روي حديثه ، ثم قال : « أما الآن وقد
تهبت ما سحبه من حديث طويل ، فعلي أن أسارع إلى كوخ
المستشفى في عاتك ، لأعود روحته الطيبة ، التي تعانني مايسسه
هو « بحسب عفة » ، وعندي أن « بقص » هو النعم الذي يمشي
مع خصم كوخه . . . على مني أريد . - قتل تلك - أن يحدث
إلى السيد مارجرى في حجرة الطعام . - فهي قلعة لأنها لا تقوى
على أكل لحم الضروس ، راعية أنه يلد من كلبها . - وهو
شدود عقيب . - من لحم الضروس . - عن الضرب الطيسر .
ويحتاج إلى فحص دقيق . . فإذا سمحت لي استعديت
السيدة الطيبة ! » .

وهنا ترمى إليه صوت هادي بن ناحية النافذة : « لم يحضر
الوقت بعد ما دكتور . - هادي أريد أن أخلو إليك في حجرة
سيدة ، وسأدعك إلى هناك حالا . - وبعد أن أحدثك ، ستظهر
فرصة لفحصك « مارجرى » لأرتدي قممتي وأسير معك في
العانة . هذا إذا لم يمانع السيد دالين في البقاء وحده لمدة
ساعة ! » .

و عندما وصلت « جين » إلى حجرة المائدة : كان الدكتور
روبرت ماكسوي واقفا على « حدة المدفأة » ، وعنه بولونيه
.. ثيابها كلها استقبلها يوم وصلوها . - وعند دخولها ، التي
عليها نظرة متشككة ، ثم قال « حسنا . . هل أدمع الآخر
للزمار ؟ » . فحدثت منه حين ويداها مبسوطتان ، وهي تقول :

« آواه ايها الحاقوش . - ايها الدورس لكبر لتعير ليوني .
أرايت ما سررت على ارتداء ثياب شخص آخر ؟ أي مشكلتي
قد نجيت عن ابتحال اسم أمراه أخرى . . ولئن فقدت عرفتني
طوال هذه المدة ، بعد أول لحظة يمشي فيها إلى حجرة
المكتب ؟ » - « حيا لا تكرر روي » . « منذ أول لحظة خطوتني
عنها إلى الحجرة . » . - مسألته حين . « ولم لم تبين لي ذلك ؟ » .

— لقد استخلصت من انتحالك اسم الممرضة روزماري
جراي ، أن لديك أسد قويه يدافع عنك ، ولم يكن من
اختصاصي أن أسدلم عن حقيقة شخصيتك . .

و هالك ايها العريس . . عل وش يمشي مثل هذا الذكاء ،
ومثل هذه الحكمة ، ومثل هذا النظر السد لدى بدهل
العمل ، مسرعة على سانس موق سخارة المدفأة ؟ ! وعندما
أذكر كيف فاستني بموئك . « إني فقد وصلت يا ممرضة
جراي » ، أتصور أنك كنت ترددي بمسك . « كيف حالك
ما أنته شيمبون ؟ . . يا أي ب دك أي حيا منتظرة اسم
شخص آخر » .

مأحابها الدكتور روي . - هو سام . « لقد كان ذلك محتملا
جدا ، ولكنني لم أظنني شيء من ذلك » . والحمد لله ! » .
مسألته حين . « ولكن برك سنري . - ما الذي دعاك لأن تسرح
بالأمر الآن ؟ » . - فوضع الدكتور روي يده على ذراعها ،
وقال . . « أسي رحل عشتة بديور ب عريس . - وكل يديني
طيلة حياتي أن أفهم الأشياء في . - قبي . . بعد مر
بك أيام مضنية أنهكت قواك . . » .

يشند حيناً ويهون حيناً ، دون راحة أو ترمه .. إرهاق لا تطيقه سوى قلة قليلة من النساء . لا يسبه هو وحده .
وأما لأنك كنت مضطرة إلى الترام الحذر معاً حيناً .. ولقد أدركت منذ اللحظة الأولى ، أنه لا بد لك . إذا أردت الاستمرار - من شخص تعين إليه بهذا السر .. شخص سبكت أن تكتمى له جلبيه نفسك من أن إلى آخر .. ولما اكتشفت أنك كتبت له هنا ، وأرسلت الخطاب للقي في برد القاهرة - وهو إجراء لا تقوى عليه سوى المرأة التي تبادر بعوضة بعد أن ابتلعت حيلاً .. وأنت لست أياها طويلة متوالية مترقمين وهول الخطاب ، حتى إذا وصل اضطربت لأن تفرغ عليه رسالتك معسك ، وتكتفى الرد الذي أملاه عليك ، والذي قرأت سطره على وجهك عند دخولي الحجرة ، وأدركت أنه رمى حصورك إليه .. عند ذلك أيقنت أن الساعة قد أرمت ، لنحدي جوارك صديقاً يشترك معك في سر ، ونودح له يكون تلك .. وذلك الصديق الكهل مثل عمه ممن التقوا مك في جنوب إفريقيا ، يستشعر أكثر سعادة إذ يبدده البيئي إلى النبيلة جين ! »

فظنرت إليه جين ، وعيناهما تنطقان معرفان الحمل ، إذ اعتقد لسبائهما ، وأخيراً قال لها الدكتور روب : « ولكنك أخبرتني يا عزيزتي ، إذا استطعت .. ما السبب الذي يدفع مندا المحبوب ، لأن يمسد عنه في عماد وبصيص .. ذلك الذي هو حليق بأن يكون عظيم القيمة ، رائع الأثر ، تقديره على إدخال العراء والخبر على نفسه ، إذا كان من جملة من

يتشده ؟ » . فأجابته جين : « أواه يا دكتور .. إن للأسير قصة ملينة بدم الإطهائس والأخطاء المحزنة .. وواحد .. لقد كان عدم الإطهائس والأخطاء من حاسي ! .. وإلى أن تعحص « مارجرى » تكون قد سببت للفرص ، منسج معاً لجلال العناية . وسأبدل ما يوسمى لأسرد لك الأمر بمصلاً ، وأمين لك المشكلة المحررة التي قامت بسى وسبه . ومعللت حياتنا بهذا السبب الشاسع .. ولنسب أسعد العون من نصحك الغالى الحكيم ، وسيفيدنى مكرك الناقب ومعلوماتك الثمينة بطرائع الرحيل ، وبالقلوب البشرية ، إلى مفيد للخروج .. لأننا ولا ريب محصوران بين الجدل والبحر ! »



ويجب كانت حين نختار المهو ، وبهم يصعد السلم ، ألفت نظرة على باب حجرة المكتبة المعلق . وتولاهما جرغ محاسن ، حشيه أن يكون الانصات إلى قصة الدكتور « روب » قد أمهك أعصاب « حارث » . مما كان لسواها أن يدرك الذكريات التي توقظها رواية قصص الحمود الذين كانوا بهوتون وقد وسدوا صدرها رؤوسهم ، والمصادمة العجيبة التي جعلت الدكتور روب يذكر في قصته تلك العمارة « أنه مجرد علام كعب يتعبد إلى هذا الحد ؟ ! » .. ورايت أنها لا تقوى على الخروج قبل أن تستوثق من سلاطنه . ولكن حوفاً غريباً جعلها تخشى أن تتطفل عليه ، وهو يعتقد أنه سيبتك وحدا لمدة ساعة ! وإذا لم عليها القلق ، سارت إلى ما له ساقه من قبل ، متحت الباب الخارجى بكرة مسجور ، ثم بدت حول

الدار إلى لشرمه ، ولما دبت من المدة اطلت على حجره مكتبه ، خطت موى الحشائش اللينة حتى ملعب السامه منكمه خطاها ما استطاعت ا ادا لم يخلص عليه من قبل ، إذ كنت تعلم انه بكره - من يفت - بحرر البكر في التطفل المسحوق على وحده ، ولكن .. لتكن هذه المرة محسب .
وأطلت خلال النافذة .

كان جارث حليبا ، موليا النمدح حسه ، ودر اعاه مظلوم على المتعده المحاوره له ، وقد دمر وجهه عنهما .. وكان بجهش متعجا ، كما سمعت - من قبل - بعض الرجال يحشون عقب العلبات الخراجيه اموله .. بكاء صاهت يسمر إلى أن مضضوا اوجاعهم .. وكانت زمرات حارث الموحمة ، متعلق بهذه الكلمات « آواه يا روحتي .. يا زوجتي .. يا زوجتي ! » .

وأسرعت حين بالاعتماد و حذر ، دون أن تارى غير امكبه ذلك . ولكن عريرة في اعماها ، تأبى حليقه بان تعبد كل شيء ، إذا هي كشفت عن نفسها - إذ ذاك - ومادانه في حال لا تليق به ، وقد حركت قلبه الدكتور « روم » شجونه وامتنته صلاسه الروحله . وراح صوت ذلك ندوى في رأسها . « إذا كنت تقدرين قيمة سعاده وسعادتك الدائيه .. ! » . ثم ان الارحاء كان قصر الأمد ، ولن تلبث أن تفكر في هدوء وسكنة - بعد هذه العاصفة - متعلت عليه الشعور محاحته إليها .. ومن الممكن منقح الخطاب - الذي لم يرسل بعد إلى البرد -

ليذكر فيه كلمة واحدة : « احضري » .. غان هي إلا دقيقة حتى يكون في أحضاتها !

وهكذا أبعدت عنه ، دون أن تحدث صوتا !

وعانت بعد ساعة من تزهتها مع الدكتور روم - وقلها لملى بالأمل والاستبشار - فوجدت « حارث » واقفا في النافذة ، منصتا إلى الأصوات العديدة ، ليتررب اذنيه على التنبير منها ..

وبدا مرهف العود ، طويلا ، في ملابس الصومية البيماء ، وقد دس يديه داخل حبي سترته ، حتى إذا أصبحت على مقربة منه ، استدار إليها . وحبل إليها أن عسيه الراقنتين ما ترالا موجودين ! .. وسالها : « هل الحو سديع في الغابات ؟ .. سأخذني سمسون هناك بعد العشاء . وحتى ذلك الوقت ، هل لديك وقت لكي سم عمل الصبح ، إذا كنت لا تشعرين بتعب يا أنسة جرای ؟ »

ولملى عليها حسة حطانات ، كما حررت محولا مصرمها . واستلمت نظر حين عدم وجود الخطاب الذي وجهته إليه ، من الحطانات الأخرى . أما حطانه الذي املاه عليها ، مكن موق المنضدة معدا للريد . مترددت وقالت : « ومادا تدوى العمل بالخطاب المكتوب لأنسة شامبيو ! .. هل تنفى إرساله كما هو يا سيد دالمين ؟ » . غاجبها : « طبعاً .. أما انتهيته منه ؟ » .

« ظننت أن .. » . نطقت جين بالكلمتين في لهجة عصبية ،
وهي تشيع بعيدا عن وجهه الصامت ، ثم أضافت : « ظننت
أن .. بعد قصة الدكتور روب .. أن .. ! » . فقاطعتها
حارث قائلا : « ليس لقصة الدكتور روب أن تحدث أى تعبير
أو تعديل بصدد قبولي حضورها إلى هنا أو عدم قبولي ! »
.. نطق حارث بهذه الجملة وهو يصعط على كل كلمة ، ثم
أضاف في لهجة أكثر رقة : « إنها مقط دكرتفى .. مسائلته
حين ويدها نضمطان مدرها : « دكرتك سادا ؟ » . مقال
« جارث » وهو ينفث ممسا طويلا من الدخان ، في هواء
الصيف : « ببدى عظمة هذه المرأة وجلالها ! » .

الفصل الثالث والعشرون

عندما هبط الدكتور فريك براند على رصيف المحطة
الشمالية الصغيرة ، التي ينطهره على الرصيف المرسوب
بالحمى ، وهو شبه موقن بأنه سرى حن .. وكانت الساعة
مكرة ، ولكنها أعادت أن تقول عن أى مشروع يستندعى
البفطه : « هذا امصل كثيرا ! » . ولم يكن المصير يقع على شيء
اللهم إلا حقيقة ملابسه على مسافه منه ، وكأنها احتلت ...
حيث أودعها حارس القطار - مكانا منعزلا ، ذاتها .. وفيه
عد الحقيقة ، لم يكن هناك سوى جمال بطيء ، كان يسير
بمهادبا وقد عاطفه ان كان الوحيد المكلف باستقبال القطار .
كذلك لم يصادر القطار راكب سوى الطبيب ، فلم يكن أمام
الجمال ماع سوى حقيقه .. وتعلق حارس القطار بعرفته ،
عندما تحرك المطار ، موقف الجمال مشاهده ، وقد سطر راحته
موق عينه ، اتقاء لاشعة شمس البكور ، حتى احتفى القطار
عن بصره . وإذ ذاك ، تحول الجمال وتبدأ إلى الناحية
الأخرى ، ليتأكد من عدم وجود مسافرين آخرين .. ثم انح
حفسه الملائس ، مسار مشككا نحوها ، وانحى فاحصا
إنها وهو مكر ، ثم دار حولها ليقرا أسماء وطاقات المعادى
المحطفه التي تنقلت الحقيقه سها مع صاحبها في أنحاء
القرارة .

ولم يكن من عادة الدكتور « براند » أن يدخل الناس ، من
كان يقول : « أن تركهم يستغفرون الزمان الذي يلائهم » . ثم

دبر النتائج ، على مر الزمن . . ان الدقيقة او الدقيقة اللبس
تكتسبان بتمجدهن ، تروجان سدى في التناضح الزهانة ! . .
غير ان هذه السطوة قد تصح مع المرمى في حبرات المحض ،
او تلبس الطب المبحس في المستشفيات ، او المرحاض اللاني
يشدد بهن الارتباك عتدها ينتهين . في بداية عهدهن - إلى انه
كال يوجه الحديث إليهن . ومد ادب به عادة إهمال اللبس
- حتى في لحظات استطراره إلى العجلة - إلى أن فقد معظمه
مرة . . كما كاد يخلط عن اللحن بقلار ، في مرة أخرى ، بيد
أيها المبحس اعرف سي ، كان سببه في الحياة . . ولكن لمبدأ
قصة أخرى .

وكان مشوقا إلى تناول الفطور في ذلك الصباح الربيعي
اسهج ، كما كان يمسو إلى أن يرى « جين » ، فلما لم يقرب
منه الجمال والجمعة ، مدح اللبس رسميت المحلة بدلواب
واسعة ، وقال : « وبعد ، أيها الرجل ؟ ! » - فأجابه الجمال
الاسكتلندي : « ماذا تريد يا سيدي ؟ » - فقال : « أريد
حقيبة ثيابي » . . وسأله الجمال مستقربا : « أتكون هذه
حقيقتك ؟ » - وكان جواب الطبيب : « أجل . . ولا بد لها ولي
من ان يسلق إلى قمر (حلينش) ، إذا تكرمت بحملها إلى
السيارة التي أراها في الانتظار ، خارج المحطة » . . فمررد
الجمال : « سأحضر عربة أنقل الحقيبة عليها » . ولكنه عند
عودته - وهو يجر العربة خلفه بكل حرص - وجد ان اللبس
وحقيقته والسيارة قد اختفوا . . فتلألأ الجمال حينئذ بيده ،
نظر إلى الطريق قائلا : « لست أملك سوى أن أمل أن تكون
الحقيبة حقيقتي ! » . ثم عاد إلى فطره لا

وفي انهاء ذلك ، كانت السيارة تصعد الملل بسرعة الطبيب ،
وذهنه متحفز شوقا ولهفة إلى لقاء « جين » ، حتى يعلم منها
التطورات التي تمت في الايام الأخيرة . . وقد ملا قلبه القلق
لعدم حضورها لاستقباله بالمحطة . فقد كان خليقا بها أن
تسارع إلى لقاءه ، منتبهة الفرصة لتبادل معه الحديث على
انفراد ، قبل بلوغها القصر . . وكان قد تمثلا - قسلا
وصوله - في صورتها الحية ، وهي تنتظره على الرصيف ،
بشرقة الوجه ، شبيطة الحركة ، ثابتة الخطوات ، قوية
. . تلك القوة التي تفيض صحة وروء ، والتي تنع عن
استحمام ونوم عميق في الليل ، ومقطة سهجة منكرة وحمام بارد
بتمش . . وبمض الانسي لعنم التقائه بها ، نذيرا غريبا في
اعياقه . ترى هل خارت أعصابها تحت ضغط الارهاق
المضني ؟

وعرجت السيارة حول منحى في الطريق ، غادا أبراج جلينيش
لمسراء تنسدي لمينيه ، على قمة الجانب الآخر من الوادي ، كما
ظهرت منطقة المستنقعات ممتدة أمام السيارة وظلمها .
واستطاع الطبيب أن يرى في سوء الصباح - عندما اجتسرات
السيارة الوادي ، وصعدت في طريق المستنقعات - حديثه
(جلينيش) الكثرة ، وشرمته وما كان يحيط بها من أحواض
الهور الزاهية ، والطرق المرسوفة بالحصي الدقيق ،
والسياج الحصري العريض ، الذي يكاد يكون في وضع رأسي
بالنسبة للوادي السحيق . . فلما ولجل ، استقبله بسمعيون
عند مدخل القصر . وكاد الطبيب أن يصرخ : « عرفتكم ، سيور .

ولكنه سارع إلى ضبط نفسه ، وقد ذكره هذا الدور الذي كان يمشى إلى رلة شنيعة ، إلى ما كان مروضاً عليه من حرص في انتقاء الكلمات التي يتعوه بها والتصرّفات التي ياتينا في هذه الدار ، حيث محنت « جبن » في أن تسدد حطواتها بهيأة مائتة ، في طريق شاق ، وعمر .. وما كان ليصنع عن نفسه ، لو أنه زل !

وقال سيمسون : « ان السيد دالمين في المكتبة في انتظارك ، يا سير دريك » . مسار الطبيب مخطوات نشيطة ، وذهن صاح ، في أثر الرجل ، علفاً البهو .



بمس جارث من متعده ، وتقدم ليلقاه باسطة يده اليمنى ، وقد ارتسمت على وجهه بسمة الترحيب ، ولازمه في كل حركة ثبات وثقة وعدم تردد ، مما دعا الطبيب إلى أن يصوب نظره نحو الرجل الضرب ، المستوفى من أن صاحب هذا القوام المجل الممشوق ، السريع الحركة ، هو ذاته المريض الأعلى الذي جاء لزيارته . واستطلعت نظره شريط حريرى من اللور . مبتد من دراع مقعد حارث إلى الباب ، لتظلمه الشاب بسده السرى مهتدياً به في سده .. وومع الدكتور بده في البدن التي امتدت نحوه ، وشد عليها في حرارة مائلا : « أى تحول طراً عليك يا صديقى العريب ! » . فأحاله حارث بمنحها : « اليس كذلك ؟ » . كل هذا قد تم بمصلها هي .. المرأة الكاملة الصميرة التي أرسلتها إلى .. دعنى أخبرك بأنها أعظم من أن يوصف بأناس من الطرار الأول ! .. وكان .. في تلك الأثناء — مد عاد إلى

معمده . ثم عثر على المقعد الثاى الذى كانت حين تجلس عليه . مقدمه إلى الطبيب . وأشار إلى الشريط الحريرى مائلا : « هذا من ابتكارها ! » .

ثم فك الشريط وتركه يترلق إلى الأرض . فلم يبق فيه إلا خيط رفيع معلق بيد المقعد ، يسهل به أن يستعيد الشريط كلما أراد الاستعانة به . ثم هال : « وهناك شريط آخر غيره يتصل بالياتو . وثالث يتصل بالافادة . . والآن قل لى كيف يميز بين الأشرطة ؟ » . فأجابه الدكتور : « ان أحدها بنى ، والثانى ارحواى . والثالث يرتعالى » . . منب حارث : « أجل ، أنك بمرمى من الوى بها .. أما أنا فهذى إليى بمارق بسطى سبك كل نبط وموع بسحه . لا تكاد تنبيه عينك ، ولكنى أمره باللمس . وما يسرنى أيضاً التفكير فى ألوانها .. وكثيراً ما أرتدى أربطة العنق وغيرها ، بحيث تتناسق مع ألوان الأشرطة . أرايت كيف أعرمها ، وما كان هذا الابتكار ليصدر عن غير هذه السيدة ، مهذا هو خالصها ، إذ هى تذكر كل شيء .. ان أنه مبرمه عاديه قد يصع أشرطة حمراء وخضراء وزرقاء ، مكب — إذ داك — أحلس وأنا كاره مجرد التفكير فى ألوانها ، مدرك بدى بشاعة ما بين ألوانها الصارخة مع سجادنى العجيه . أما هى ، متعلم حدداً ما للألوان من أهمية لدى ، ولو لم يكن فى استطاعتى الفخر إليها ! » . فأجابه الدكتور قائلاً : « يمكنى أن أهم أنك تقصد بذلك المبرمة رورمارى .. كم أنا سعيد برصاك عنها وبناحها فى مهنتها ! »

صاح حارث قائلاً : « نجاح ! » . لقد أعادت لى الحياء .

نزمها مائها ، وحسى أرمع عنك كل عيبه قد يثقلك إذا شمرت
لنك مريضى الوحيد !

فأجابته بشارت : « شكرا لك .. أن هذا يخفف من وحزات
ضيمى ، ولكنه لا يفيق من عرامى بالحصيل لك .. والآن ،
لا بد أنت بحاجة إلى إزالة وعناء السفر ، وتناول الفطور ، وقد
احتجزتك عن الأمرين بأنائى .. قل لى يباراند .. » ثم
مورس وحسنا جارث كأنه علام عيرى ، وأتم قوله بعد تردد -
« لشد ما يؤسفنى - إلا نحد رملا مشاطرك الوحسات ، لعباب
الأمسه جرای .. ولست أحب أن امكر فى أنك ستتناول طعامك
وحدا . أما أنا ، ماسى أنتناول طعامى دائما مفردى ..
وسموسى بتولى مساعدتى فى ذلك .. » ولم يقدر له أن يرى
مسحة الأسى الريمه ، التى غابت على وجه الطبيب ، ولكن
المطرب والادراك اللذين تمثلا فى لهفته - وهو يقول : « أه ،
أهل .. حقا ، طعما » شععا حارث على أن يمضى قائلا : « انسى
لم أستطع أن اشرك الأسه جرای فى مائدتى ، مكل مما يتناول
طعامه مفردا .. ليس موسك أن تتصور بشساعة مظهر من
يتصيد طعامه من كل جوانب الخلق ، وهو غير آمن من أن يقلب
الطعام على عطاء المائدة ، أو ربطة عمقه ، فى سعيه لتصيد
صنفا آخر ! »

فأجابه الطبيب قائلا : « ليس موسع إنسان أن يتنق الأمر
بدون بران . ولكن ، كيف تكون أكثر احتياالا فى الموت مع
سمسور ، منك مع المرمسة « رورمارى » .. أنبا مرمسة ما
عدد الأمور - كما تعلم ! » - وأحمر وجهه ..

وانى لميمص بى الخجل كلها ذكرت ما انحدرت إليه وما مدر
عسى ، فى .. آخر مرة زرثنى ميبها يباراند ! .. لم أكن أمكك سوى
أن أدق الحائط مبدى .. كما يقول رومى الكهل .. لا بد أنك قد
خلقتى أحق مخبولا ! » . « مقال الطبيب : « ما مكرك
فى شيء من ذلك ما صدقنى العزيز .. فلقد كب تعوس
معركة قاسية ، لم يسبق لأحدنا أن كاند مثلها ، والحمد للخالق
إد قدر لك أن تنتصر ! » . وقال « حارث » حرارة : « اننى
مدين بالكثير إليك يباراند ، وماكتر منه للأنسة جرای ! .. كم
كنت أود لو أنها كانت هنا لتقاتلك . ولكنها رحلت فى عطلة مهابه
الأسوع ! » . فصاح الطبيب : « رحلت .. عند حصورى ؟ » .
وكاد يفلق مرة أخرى ، فيذكر اسمها !

- نعم لقد سامرت مساء أمس ، لتقضى عطلة الأسوع فى
بلد محاورة .. المقتنى أنها لن تكون بعيدة عن هنا ، وإنها
ستعود لتكون معى فى ساعة مبكرة من صباح الاثنين .. وبخيل
إلى أنها فى حاجة إلى تبدل المناظر ، وقد رأت فى حضورك
مرصة سانحة ، إذ ساستعك معى أكثر الوقت .. وانى لأعتقد
حقا يباراند أنه كرم يموق كل حد ، أن تقطع كل هذه
المسافة لمراتى . أنه لصيغ موق كل تقدير ، من رحل منك ! » .

- بحب إلا تنالغ فى تقدير ذلك يا عزيزى . وإذا كنت فى
الواقع قد حضرت لأراك ، فإنها قصدت - فى ذات الوقت -
أن أرى أحد أصدقائى القدامى ، وهو مقيم قريبا من هنا ، لانتى
سهم بامره . وأنه يهمنى جدا .. ولست أذكرك ذلك ، إلا لاكون

وقال : « ولكن لا يغيب عنك أن سمعون هو الشخص الذي يريل لي شعر لحيتي ، ويلبسني ثيابي ، ويصطحبني في سحراتي .. ومع ما في ذلك من محبة للنفس ، إلا أنها محسنة أو شكت أن أعودها . وموسك أن تصورها على هذا النحو أن سمعون هو العبدان لحسبي ، والآسة حراى هي المصيرة لعقلي .. وسمعون هو الوحيد الذي يلمسني في الظلام . اتصور أن الآسة جراى لم تلمسني قط . بل إنها لم تصلمحني ؟! وأنى لمصط لذلك ، وسبب لك السبب حالا . ان ذلك يحمل منها مجرد عمل وضوب لي ، لا أكثر . ولكنه صوت رديم ، معين بدرجة عجبية ، حتى لأحس أنني لن أتوى على الحياة بدونها ! » .

ثم دق جارت الجرس ، فلما أقبل سمعون قال له : « رامؤ السير دريك إلى حجرته ، وسحرك من ميماد مطبوره وعندما نمرع من كل ذلك ما سمعون ، أحب أن أخرج : رياضة قصيرة .. وسأكون - بعد ذلك - حرايا براند ولكن ، لا تمنحنى مزيدا من الوقت - في هذا الصباح - إذ أردت أن تسفرح ، أو أن تخرج للرياضة من شرك المائنه لننعم بعطلة ، بعيدا عن الأفكار والناس ! » .

وبعد أن اغتسل الطبيب ، وارتدى سروالا (منطلون) ، النوع الذي يسهى تحت الركبتين بانتاء . وسيرد قديمة - طرار (نورفولك) ، ذهب إلى قاعة الطعام ، واستقطب انطود الرائع .. وكان ما يزال يفكر في مشكلة « حس »

بينما انشغل حراى آخر من عقله بالتفكير في نوع الآلة التي ستعس بها مارجرى لمحوز في عمل شهوتها العاهرة .. وإذا بالسيدة المحوز تفعل محوطة بجو من الغموض ، مسسارع الطيب إلى مواحبها بالسؤال .. وأحامت مارجرى المحوز : « انها قدر خاصة .. ولكن ، هل لك ياسير دريك في أن تأتى

معى في هدوء ودون حيلة .. حالما تنتهى من طعامك ؟ » وعادت تكرر : « نى هدوء ، ودون حيلة » ، وهما يعبران البهوى والطبيب يسير في أعقابها مقامته الفارعة . وبعد أن صعدا بضلع درجات ، التفتت إليه وهي تمس في جرد : « لمس الامر هر الإماء الذى تصنع القهوة فيه ، وأنها هو في كيفية عملها .. بعد أن صعدت بسبع درجات أخرى ، قالت له : « الأمر كله

متوقف على كلية طارح » .. ثم استمر في صعود السلم . « طارح في تحبصه ، وطارح في طلحه .. والماء طارح في غليانه » .. وبلغت مارجرى المحوز آخر درجات السلم وقد تقطعت أنفاسها ، ثم انخرمت مسئلة في ممر معتم معطى سداد كثف ، وعلى حائسه خزانة قديمة وبعض الصور .

وسألها الطبيب وهو يواظم بين خطواته وخطواتها .. خطوة منه في مقابل أنسى منها : « إلى أين نذهب يا سيدة مارجرى ؟ » فأجابته : « سترى عندما نصل للمكان ياسير دريك .. ويجب ألا تلمسها ندى معد ، بل ادع بها في قدر من المخار ، وأصم الماء الأعلى عليها حالا ، ثم قلها بلعنه حنسية ، وصعها فوق نار الموقد لمعشر دقائق ، حتى يتم نقضها .. وسيرسب نضج لبن المجروش في قاع القدر ، ولو أنك .. لا مصلح إلى ذلك .

ثم تصيب القهوة صائفة ، قوية ، ذات نكهة .. ولكن السر كله في أن كل شيء طازج ، طازج ، طازج .. ويجب ألا تقتصد في كمية البن ! »

ثم توقفت مارجرى المحور أمام باب في نهاية الردهة . وطرقتة طرقة خفياً ، ثم نظرت إلى الطيب وبداها على مقص الباب ، وقد غاضت عينها الاسكتلنديتان الوفتان بأهيمام وحساسية ورجاء . وقالت : « وبحب الانسى الملعقة الحسنة . لسير دريك » . متألم الطيب الوجه المكتهل الرحيم ، الذي كان ينطلق إليه في النور الخافت ، وقال لها في جد ورسائه « لن انسى الملعقة الخسنة ماسدة مارجرى » .. عادت مارجرى المحور مقص الباب ، وهي تهمس بهووس شديد « ها هو ذا السر دريك بأ أنسة جرائ ! » .. ثم أشارت إلى الدكتور بالدخول إلى حجرة استئصال صغيره مريحة .. وكانت النار تنقد في المدفأة ، وقد جلست حين في مقعد كبير - ذى ظهر مرتفع - أمام النار ، وقدمها فوق حاجز المدفأة . ولم ير سوى قمة رأسها وركبتها الطويلتين اللتين لا يملك أن يخطيء معرفتهما . ولكنه سمعها تقول ، وفي صوتها رنة الشكر العميق : « أواه يا ديكى ! أهذا انت ؟ .. ادخل يا صديقى . وأغلق الباب خلفك ! .. هل نحن على أفراد ؟ .. تصال سريعاً - من هنا - لفتصافح ، حتى لا اتعثر في البحث عنك ! » .

وفي لحظة ، بلغ الدكتور بساط المدفأة ، مجثاً على ركبته واحدة أمام المقعد الكبير ، وأمسك باليدتين الممدودتين إليه .. وهتف : « حانيت .. حانيت » . ثم عقدت الدهشة واللبهه



بلغ الدكتور بساط المدفأة ، هجت على ركبته ، حدة آدم بعدد الكبير ، وأمسك باليدين الممدودتين إليه .

وساعرف مالمأ كيف أساعده وكيف ابتكر له وسائل يتمكن بها
مع الوقت - من تناول طعامه دون مشقة .. آه ..
بديكى ! كل لا بد أن أعمل ذلك ، إذ لم يبق لي وسيلة
أخرى ! » ورد الطبيب في هدوء : « أجل .. لم يكن شيء بد
من أن تفعل ذلك » . ولم تتبين حينئذ ماها - حلجات
وجهه عندها أضاف قائلا : « وما كنت شيء وسيلة أخرى ،
السببه لك أنت بالذات ! » . تهتف : « ما أذا ضرورى
يا دريك إذ أراك أدركت الحاجة الماسة إلى ما أعمل .. فلو قد
أوحشت من أن تجعل عملى على محمل لعمى أو لعمى ..
وبعد اقتضى الأمر أن أوم بذلك الآن .. » .
لأنى أثق تمامأ بأنه إذا أصبح عى ، سيكون هذه أحر عظه
أسبوعية أقضيها بعيدة عنه .. أتعهد ما منأ أنه سيعطي
عنى ؟ » .

ومن حسن حظ جين أنها لم تكن ترى ذلك اللطمه ، إذ
ابتلع الدكتور كلمة على طرف لسانه ، وقال : « ما عومسى .
أنك تبغين في نفسى الحسرة لغياب معاء الدوقة . ولى بجدى
حضورى إلى هنا ، إذا لم أفرغ بالصبر مع الدمين .. والآن
حريسى ، أحقا لن تخلصي هذه المصانهة آ » . فأحاطه حين
قائله : « لى أخلصها إلا لأغسل وجهى ، وسأكون مطمئنه إلى
أبنى لن أمتح عينى لمدة دقيقتين . لقد شعرت ليلة أمس براسى
بالتعب ، حتى أننى لم أتمكن من النوم ، فأزحتها عى لمدة ساعه
أو ساعتين . ولكنى استيقظت قبل المجر وأعدتها إلى
مكأها ! » . تهتف مسائلا : « .. أنك سيعسا مكأا
إلى صباح مكر ؟ » . وابشمت حين في عزم وحرارة ، مقد

أدركت ما انطوى عليه سؤاله ، وأجابته في رقه : « مل إلى
مساء ياكز ! » .

وإذ ذاك صاح الطبيب فى استنكار واحتجاج : « ولكن
يا جانيت .. لا ريب أنك فودين أن نلتقى قبل سفرى ، يا نيتى
العزيرة .. ألا ترين فى أطالتك التجربة معالة لا ضرورة لها ! » .
فأجابته جين وهى تبيل نحوه ، وهيناها المعصومتان تثيران
الاشفاق : « مطلقا .. ألا ترى ما عريزى أنك قد اتحت لى
الفرصة التى تمكننى من أن أختار تحربه - سيكون عسده
تحين - من أقسى صنوف التخارب التى يمر بها « هو » ..
حين سأل إليه اسدقؤه ، وبدهمون ، ملا يكون له سوى مجرد
أصوات ولمسات .. إذ أنه لا يرى وحوهم ، ولا يذكر سوى
صور باهتة لها .. أن مجرد سماع صوتك دون رؤيتك
.. ما دريك - أمر قاس ، حتى أننى لأشعر بما فى عملى هذا
من اكتساب ميزة تكتفى من أن أشاركه ما هو غيه .. يجب
الإصطر إلى أن يقول : « آه ، ولكنك رأيته قبل أن يرحل ..
أود أن يكون توسعى أن أحبه : « لقد جاء وذهب يا صديقى
الحميم ، دون أن تراه عيناى البقة ! » .

وسار الطبيب إلى النافذة فوق مجوارها ، وهو يردد
صغيرا خافتا . وأدركت جين أنه يقالب استيائه ، فانشطرت
متجلدة .. وبعد حين ، كف عن الصغير ، وسمعته يضحك .
ثم عاد فجلس إلى حوارها ، وقال : « لقد كنت دائما عريبه
بشخص الكمال الشامل ، ولا ترتضن أنصاف الطول ، لذلك
سلدت لى من أن أوافق » . فهدت حين يده بحث عن يده
قائلة : « آه يا غناى ! .. الآن يضحك أن ساعدى ، و

الفصل الرابع والعشرون

ساد حجرة المكينة مقمر ، طينش ، سكوت عيشق ، وقد
جلس حبارث وفريك معا ، يدخنان في اثنتي عشرة كابل .
ويتنقلان الشعور بالارتياح والهدوء اللذين يتولدان في اعقاب
عشاء مالح وبصاء النهار في استنشاق هواء المروج . . وكاتب
حسن بحس في الحجرة التي احتستت مسجعا بها . . بالطابق
لاعلى . . معسومة العيشق ، وقد استسلمت إلى ظلمة اختياره
لا تلك سها سوى الانصات . . وحبل لها أنها تسع دهمه
جاءته في الحجرة الواقعة تحت حرتها ، ثم عن حديث
طويل مستمر . . كان من المؤسف حقا ، أنها لم تكن تستطيع
أن تراهيا وهما جالسان معا ، وقد بدا كل منهما في خير حال
.. كان حارث في سفرة العشاء التي تداست مع قسرايه
المهشوق ، سيما أرندى الطيب ملاس السهرة الانتهى على
أكمل طرار ، وقد تكند مشقة اجسارها ، لعلها بأن جبين
نصب من اصدقائها الحرام على ارتداء ملاس السهرة في
أوقات . . وما كان ليحطم بأنها لم تؤث عمين لترياه !

وكان الطيب محضولا على الاقامة الدفينة في ملبسه . وكان
حربها على أن نمشي ملاسه مع أحدث ما معرف في عالم
'الاناقة' ، ما عدا السفرة الرياضية المصنوعة من صيوف
بورمولاك ، والتي كان يصر على الاحتفاظ بها . للرياضات
التي يريد أن يشعر فيها براحه حسنية . . ورغم ما بذلته
الليدي براند من محاولات رقيقة لتكررها في كل ملبسه .

يهتدك من قبل مالا إلى الأتانية قدر ما كمت في هذه
واجاسها الطيب : « أن الرجل الآخر ، هو « المشكله داتها » .
معي طينغنا . . نحن الذكور الموحشين . . ما دهمنا . .
المكينة الاولى لدى نساننا . . ليس لدى امرأة واحدة محصب .
وإنما لدى كل النساء اللاتي يصرن أحيانا . . في غرور صفت .
أن لنا عليهن حقوقا . . انك تجدير ذلك في كل مكان . . الإماء
مع ساهم ، والأخوة مع اخوانهم . . والأصدقاء . .
ماذا جاء « الرجل الآخر » ، كان بمثابة حبة من دواء . لا بد من
تبلاعها . . وإذا لم يحب على الآخر طينغنا . . و إذا لم يسمع
أهله للتداعي ، ولذلك يحب معالستها . ولكن دعيني اذهب الآن
لأبحث عن قيصتك ومعطيك ثم أصبحك في نزهه إلى الغاية . .
كلا . . . ولم ألقى تعودت البحث عن حواش ملاور . ولذا على
رأيه بالأمس التي توصف بها . لا . . . لا . . .
مارجري . . ولكن لا تظني ، ولا تخافي أن سمعنا « دالين »
لأنني قد رأيته . منذ لحظة . . سير دهايا وإياها . .

وهو يلبس الحذار بمصاه لمسا حمضا ، من حين وآخر
على أي حد قد بلغ بك المطاف حتى الآن
في بحرية ، ونحن سير في القاية
بهكتنا أن يهتدى إلى الحلول التي نسمعك بعددنا نحن الوقت
للتودى بنفسك « الرجل الآخر » . . فقط أرحو أن تكوني
خريصة في هبوطك درجات السلم مع العجور مارجري . .
تصورى ما يحدث لو أنك سقطت موقها يا حين
مائها تجيد عمل القهوة الفاخرة ! » .

حتى يقطع عن ارتداء هذه السفرة . وكانت تقول له : « لو قدر للحائك المسكين - الذى صنع لك هذه السفرة - ان يبهض من قبره ويراك مرتديا اياها الآن ، ماتى اعتمد انه سيثبت إلى قبره ، يجدوه الخجل إذ يرى لباسا عتيقا مثل هذه السفرة يحمل اسمه ، وما يزال معلقا على كتفى احد عملائه » . فكان الدكتور يتقارعها بالحجة قائلا : « يا حسنى ، لا بد من عدد الاموات حائكي المدع ، الواقع انه ما يزال مائة هو واما وهذه السرير المرمجة - سنوات عديدة من العمل والجد ! » .

وفي مناسبة أخرى ارسلت ملاور زمرة عتيقة ، وهى على مائدة الامطار - بعد ان اطلت من النافذة على مظاهره سار فيها حشد من العاطلين - مسألها الدكتور عما فيها سمح تنهدها ، وهى ظاهرة لا تفوته : « يا خطيبك يا حبيبى ؟ » . فقلت له : « كنت امنى النفس يا دريك بان يسدو هؤلاء العاطلون أكثر رثاءة - في المظهر - مما هم ، مكتب اعطى سترتك « النورمولك » العتيقة لواحد منهم - اما وهم كما رايتهم ، ماتنى احمل من ان اقدمها لاحدهم ! » . مقال الطبيب مدبا الحرم ، فيما كانت عيابه تطلعمان الى اوجه الحمل الذى امامه مظرة حنو ورقة : « امل الاتعملى ، ما عزيتى ! » . - ولكن ، ثق يا دريك اننى سأعطيها لاي شيخ مقير مهلهل الثياب يمر ببنا !

مقال الطبيب : « حسنا يا حسنى » . وبذلك حتم الحديث ، وجمع رسائله ، والقى نظرة على ساعته ، وهو يقول لها ولكن - تاكدي من اننى سوفد توا من يقتنى اثر العتيق

الكهل ، ويشترى منه سترتى بثمان باهظ ، على أن تنكلى است - يا فلور - يدمع الثمن . ولذا ارى من الحكمة أن تمنى الفقير شلنا ولا تتدخلى في امر سترتى ! » . مدهمت فلور قائلة : « ان الفقير المسكين سيعتقل بلا شك إذا مر مشارع (ويمول) مرتديا هذه السفرة » . فواقها الطبيب قائلا : « أجل ، فان أشد رجال البوليس غباء سيدرك انها - ولا بد - بسرقة . . بنينا تجو السارقة الحقيقية التى ساضطر إلى ان اتقدم لدمع الكفاله عنها ، لو اهتم قصوا عليها ! » . ثم وقف بحوار مقمدها ، ولف الوجه الجميل براحتيه النحيلتين السراوس ، وقال لها في رقة : « ومذلك لن تكون سترتى العتيقة أول ما سرقتة منى ! » . وكان رد فلور كاميا لأن جعله ينطلق إلى عمله راضيا كل الرضى !

وكانت السفرة « النورمولك » الرصاصية قد اشتركت في مره - في ذلك الصباح - مع حين ، وقد عرفتها « جين » بالملمس عندهم بأبط الدكتور خراعا ، فنادا الضحكات عنها . اما في المساء ، فقد طواها سيمون ووضعها في حقيبة ثياب الطبيب ، الذى طهر في اروع اناقة . وجلس في مقعد دى دراعين امام مدفاة المكتبة ، وقدماه الطويلتان معقودتان احدهما فوق الأخرى ، وكتفاه العريضان عارقتان في المقعد ! . اما حارث فكان يجلس في مقعد يشعر فيه بدماء الدماء ، مما كان يبعث فيه انتهاج في تلك الأمتة الساردة التى أعادت دماء ذلك النهار من أيام الربيع . وكان مقعد مواربا في

وصعه ، بحيث يستطيع « جارت » أن يخفى وجهه منه عن رارده إذا هو شاء .

وما لبث الدكتور براند أن بدأ الحديث ، وهو يجهد ذهنه في التفكير : « أحل .. موسمى أن أدرك سبيله .. » قال لأشياء - التي تصل إليك في هذه الظلمة - بناوت نفسها ، وبكتسب فيها عالية ، مغالى فيها .. بعد أمي أعتمد .. » ثلث .. م . مضي الزمن ومع تدرجك في الاحتلاط بالناس .. عددا لكم . بعيد الأمور إلى نصايها - فتصبح أقل حساسية الأصوات واللمسات لتي يوانيسك من العمر .. أما الآن ، فإن مهادك العصبي بأسره ، شديد التوتر ، فهو يتجاوب - باهتزازات مغالى منها - مع كل مؤثر يقع عليك . ذلك لأن الحبار العدمي لشديد التوتر ، مغالى في تصوير المؤثرات وفي حاله فقدان وسيله الإحصار ، تجمع فيه وسائل الاتصال العدم الخارجي - مثل السمع واللمس - حول نفسها مركز من موه أعصاب . وبصبح مرهفه الحس إلى درجه مؤله . ثم لا لبث الأمور أن تقوم نفسها ، فتصبح هذه الحواس البامه حاده ودميقه بالغدر البامع ، محسب . والآى ، ما الذى كتب مرند أن يقوله بصدد عدم مصالحة الممرضة روزمارى إليك ؟ » .

وقال جارت : « آه ، حقا .. ولكننى أريد - قبل ذلك - أن سمعك عما إذا كان لبسها أو لبقاسها أو لمعدها أو لانه حبه يصل بها ، ما يوس مع المهرصاب من مصاحبة مرصام .. ما حابه الطبيب : « لم أسمع شىء من تلك » . فاستأنف حديثه قائلا : « إنى غلا بد أن ما دعا إلى ذلك ، هو

تقدير الأنسه جرتى الصليم لما احتساج إليه وما لا احتساج إليه . متى - منذ اللحظة الأولى - لم تسمح لمعها بمصافحتى ، بل ولم تمننى أية وسيلة أو علة .. حتى أننى لم أشعر بمصاحبة تمننى مره واحدة ، وهى تدفع إلى الرسائل والأشياء . الأمر الذى يحدث عشرات المرات يوميا ! » . متسائل الطبيب وهو سمع دخان لعائنه في حلقات متصاعده في الهواء ، وبريق وجه الرجل الأعلى بدقة بالغة : « وهل يسرك هذا ؟ » .

فأجابته جارت في حباسة : « آه ، أننى لشديد الإفتقان بعملها هذا .. تعلم ما مراند من شهوراً راولي - عندما اقترحت أن نودع لى امرأة تعمل ممرضة وكنايه سر - ما ننى لى أطبق وحود امرأة نحاسى ولبن أحمل ملبسها ؟! » . مععب الطبيب عليه في هدوء : « هكذا قلت لى ؟ » مهتف جارت : « لا .. هل طلب .. لا بد أنك ظننتنى فطاً ! » . فأجابته الطبيب : « أبدا .. ولكنك مريض في ظروف غير عادية .. وعادة .. » . فقاطعه جارت بشىء من الضجر : « أننى لأجرؤ على القول بأننى صادقت مره في حياتى ، كنت أبوق عييب إلى أن تكون ثمة يد ناعمة صغيرة حولى .. وأقول الآن ولا احتسب شئنا إننى كثيرا ما كنت خليفا بأن أمسك بترك اليد . ولعلنى كنت أمسها . من يدرى ؟ .. لقد أعدت أن أهمل أموراً كهذه ، محفة لا بأس بها .. ولكن ، عندما يتمود الرجل - ما مراند تأمل ما أقول .. عندما مره الرجل - لمسر امرأة معينة ، ثم لا يبقى من هذه اللمسة دكى ، وبعد مسه

يلقى في غياهب الظلام .. فان تلك الذكرى تصح من الأمور
القلائل التي تبقى له ، وفي مقائنها عزاء له لا سبيل إلى وصفه
.. فهل يدعئك إذا أوجس الرجل جوما من لمسة أخرى ،
قد تعكر أو تطمس به لاي سبب — تلك الذكرى وسجل مظهرها .
أو تترع منها قداستها المطلقة ! » . ماحانه الطيب في من :
« اسي أهم حيدا ما قصد .. صحيح ان هذا لم يدخل في نطاق
بحاربي ، ولكني ابيهه حيدا .. غير ان هذا - يا سيدي
العزيز - لا يتم إلا إذا كانت تلي « المرأة الوحيدة » موجوده .
وهو ما يجور لنا — في حالك هذه — أن نرأب فيه ، فقد
كانت في حياتك نساء كثيرات .. ولو انها كانت موجوده ، فمن
المؤكد أن مكانها يجب أن يكون بجانبك ، وأن لمستها يصح
من أهم ما بقي لك ! » .

وقال جارت ، وهو يشعل لمامه أخرى : « آه قل لي هذا
الرأي ، فاني أحب أن أسمع منك ، ولو انه اسمه بقولك :
ما دام المنظر الذي تطل عليه الشرفة باقيا ، ما نوسمي أن
أراه ! .. ذلك لأن المنظر ما يزال باقيا ، ولكن عجزى عن الإنصاف
بحول دون أن أراه ! » . ماحانه الطيب وهو يميل قليلا ،
ليلتقط عود القباب الذي لم يلقه جارت في المدة تماما سقط
بعيدا عنها ' » وسعير آخر : انك لم تكن « الرجل الأوحده »
لها ، بالرغم من أنها « المرأة الوحيدة » لديك ؟ » . ماحانه
جارت في مدارة ، ويكلمات خافته : « نعم .. لقد كنت مجرد
علام .. في نظرها ! » . ولكن الطيب استطرد . وكأنه لم يسمع
العصارة : « أو لعلك ظننت انك لم تكن « الرجل الأوحده » . في
حين أنك — في الواقع — « الرجل الأوحده » لتلك المرة الوحيدة ،

ما لم تكن قد سبقت في الميدان شخص آخر .. ولا يتطلب
الأمر سوى صبر ووقت لاقتناعها ! » .

واعتدل جارت في جلسته . والتفت نحو الطيب . وحبه
الذي ارتسخت عليه الدهشة ، وقال . « بالله من منطق عريب ..
هل تعني ما تقول ؟ » ماحانه الطيب لاقتناع بالغ : « نعم ..
فإذا ست استعبد كل الاعيانات الأخرى ، كالمال ، والأراضي ،
والألقاب ، ورميات الأصدقاء ، والشواغل الظاهرية .. أعني
إذا استعبد إعجاب كل منهما بالجمال الذي الآخر محب
— لأن هذا لا يعلو أن يكون مصلا قائما على أسس تشريحه —
وإذا نحن تحررنا من كل تلك الواجبات الاجتماعية المعتادة ،
امكنك أن تصنع الرجل والمرأة ؟ » حنه عدن عقلية ، « وان
تدع كلا منهما بواجه الآخر وقد تحررا من كل طلاء مصطنع
ومظهر متعارف عليه ، ويصعحان مجرد روح تطل على روح ،
استطاعت « هي » — تحت هذه الظروف — أن تكون الالفة
ونفس تنظر إلى نفس في تحد ، وفي غير حيل .. فإذا
استطاعت « هي » — تحت هذه الظروف — أن تكون الالفة
الحقة له ، إلى الدرجة التي تجعل أنبل ما في الرجل يصيح
« هذه هي المراد الوحيدة ! » ، وسي أقول انه كذلك يكون
اليفها ، ولا يمكن أن يخفق في أن يكون « الرجل الأوحده » لها .
وكل ما يسعى عليه هو أن يثق بسمه (فه نمكة مر أضاء
اليفته بأنه كذلك . وهذه الحقيقة تنفجر في أعماقه في قوة
كاشفة . لها بالنسبة للمرأة ، فإنها تتكشف لها في بطة
وتؤده ! » .

وعمم حارث في تحاذل « يا الهى .. بعد كان الأمر كذلك
سأبأ .. حنة هدى .. روح تطل على روح ، دون أى تحفظ .
ولا وجل ، ولا مواراة .. لقد عرفت فيها روجتى ، ودعوتها
مذلك . وفي اليوم التالي دعيت « بحرد علام » لا تستنصع
أن تمكر لحظة في الزواج منه . مما مصر نظريتك الحسرة
إزاء ذلك ، يا براند ؟ » . فأجابته الطبيب في هدوء : « إن
ما تقوله يدعمها ، فإن حواء تهرب من آدم ، وتختبئ بين أشجار
الجنة . في عمره التوحش من الهاء الهائل ، والشك في النفس .
والخوف من عزها عن تحقيق ما يتصوره منها من مثل
أعلى . فلا تتكلم عن النظريات الخرقاء يا بنى ، وإنما تكلم عن
الواقع الأخرق الذى يتمثل في آدم إذا لم يسارع إلى مطاردته
وامتلاكها ! » . فاعتدل جاث في مقعده ويداه تشدان على
دراعى المقعد ، إذ أن صوت الطبيب بدأ يوقظ فيه الشكوك
إزاء رأيه في الموقف ، لأول مرة منذ اللحظة التى استدار فيها
وأدبر حارحا من كنيسة قرية (شستون) ، من ثلاثة سنوات
مضت .

وكان وجهه شاحبا ، واستبان الطبيب — على وهج نار
المدفأة ، الذى كان يعكس عليه — أن العرق كان ينصب على
حيثيه . وما لبث حارث أن قطع السكون قائلا : « أواه يا
براند ، اننى أعنى ! .. مرجباك وترفق منى . أن الأمور تتحد
في الطلام معانى أقسى وأمر ! » . فتروى الطبيب مفكرا ..
ولو بسى لمصراته وطلبه أن يشاهدوا منظره ونظراته في تلك
اللحظة . فاحسبوا أنه كان يجرى عملية جراحية دقيقة وخطيرة

إلى أبعد حد ، بحيث أن أنفه رلة من المنصع نكمى لأن يهوت
المرضى .. وما كان حديهم مجانباً للصواب ، فقد كان مستقمل
شخصين معلقا بأكمله في الميزان ، متوقفا — في هذه الألفة —
على رباطة حاش الحراج وشاته ، وعلى حمة لمسانه بوجه خاص .
ولم يكن الطبيب قد حسب حسابا لهذا الوجه المرهق المتقع —
تحت وهج نار المدفأة — وحيات العرق المتفصدة عن مذاب
النفس . وهنائه : « أنا أعنى ! » .. تلك كانت صورة « للرحل
الأخر » لا يحسر على ما لها دون تأثر وألم . غير أن أفكاره ذلك
الشخص الصبور المصوب العيين — الذى كان يطلس في
الحرارة العليا ، ينتظر في قلق ، وقد سقط يديه الحسيتين في
عمر نام . ردت إلى أعصاب الطبيب هدوءها ، فآخذ يحدق
في النار ، ثم قال في هدوء : « قد تكون أعنى يا دالمين ، ولكنى
لا أحب أن تكون أخرق ! » .

وسأله حارث : « هل أنا .. أترانى كنت .. أخرق ؟ » .
فأجابه الطبيب : « وكفى لى أن أحكم .. أشرح لى الظروف
محلأ — من وجهة نظرك — أعطك رأيى في الأمر ! » .. وكانت
لهجة الطبيب رريئة وواقعة ، مسكت في نفس حارث سكونه
وسلاما .. كأنها كان الطبيب يتحدث عن التهاب في الحجرة
أو مبادئ داء « عرق النساء » . فامسطح « حارث » في
مقعده . وغرس يده في حبيب صدر سترته ، ليتنصص حطاما
كان في داخله .. أبحرؤ على المحارفة ؟ .. هل له — ولو مرة
واحدة — أن يحفف عن نفسه ، يمتضى ميناغيه إلى رجل يثق به
عظم ثقته . على أن يتحب — في الوقت ذاته — إفتشاء
حقنقه شخصيتها لرجل كان يعرفها رضى مدوية !

للإيمان في أسرار الناس ، فهذا نوع من الرياضة الذهنية لا يروق لي ، ولا أسسنيغ ساليبه ، ولا أستشعره سلبية أو مائدة .. ماذا كنت أعرف حقيقتها علن تكون في حاجة إلى الحدس .. وإذا لم أكن أعرفها ، وكان أصحاب السر راعين في أن أنفي حائلها هويتهم ، ماضى أوثر أن أسرق نقودهم على أن أخطف أسرارهم ! ..

فأجابه جارت : « شكرا لك .. لو كان الأمر يتعلق بشخصي ، لما وجدت ما نصيرني في أن تعرف الهر .. لكن السر يتعلق بها هي .. حتى لا يظهر أسبها ! »

مقل الطيب : « لا شك في ذلك ، فما لم تختر « المرأة الوحيدة » أن تكشف شخصيتها ، فإنها ستبقى دائما في طي الكيل ، مهما أنتم فستك ما صديقي ، ولن أقاطعك ' »

وشرع جارت يقول : « سأمرد عليك الأمر مبسطا ومختصرا ، فقدر ما استطعم ، وستفهم خلال الحديث بأن هناك من التفاصيل ما لا يملك إنسان أن يتحدث به .. لقد عرفت أنها لسنوات طويلة ، بمعركة صداقة ، إذ كنا نترنل صفتين في دور واحد ، ونلتفي في مصور اللورد وعلية القوم ، وغرها من الأمكنة التي تحم أبناء السنة الواحدة . وكنت دائم الميل لها ، أشعر معها براحة وسرور . كما كان لآرائها عندى المقام الأول .. وكانت هي — من فاحتها — صديقة وزميلة لي ولكثيرين من أمثالي ، غير أن أحدا منا لم يكر يوما في أن يرتبط معها بفرام ، فقد كانت تضحك من المفاطة والضحك .. لم يصبه بتم بتداولها الثمنان مع غيرها من النسب ..

وراح « جارت » يبرر الأمور بعقله لاعب الشطرنج ، ليجدس كل الحركات التي قد تقع بعد نصيبه .. فهل من الممكن أن يكون الحديث من الوضوح بحيث يكون ذا جدوى ، مع تجنب أية إشارة تكشف عن أن « حبس » هي المرأة الوحيدة ؟ .. ولو أن الطبيب أمر أو تمحل أو افترح ، لديم ذلك جارت إلى الصمت . ولكن الطبيب لم يمس بيت شمس .. كل ما أتاه هو أنه مال نحو المدفأة ، ليديها بطريقة بالغة الحذر ، ثم القى إلى النار بقطعة من خشب الصوبر الركي الرائحة . وعندما انتهى من هذه العملية ، راح يصغر المظلم الختامى لمربية : « تعالى أمتنا الروح الحائلة » .. ولأول مرة ، لم يطر « حارث » — وقد شغل بالصراع الذي كان يدور في ذهنه — إلى وجود مسوت خارجي ، فلم يدر كيف ترددت في ذهنه .. في تلك اللحظة الدقيقة . كلمات المظلم . في إصرار رقيق :

« أبعد عنا أمدافنا .. وهب السلام للوطن ..

» « حيث تكون مرشدنا ، فلن يكون ثمة مرض » .

وتفاعل بهذه الكلمات ، ماذا ما يرجح كفه المزان . ومن ثم قال : « براند .. إذا كنت — كما أعهدك — كريما بحيث تحود على مرأى ، مستأنج لنفسى الراحة البالغة التي تنجم عن انقبالك على سرى . فهل تعدنى مالا يسمى قطعا إلى كشف شخصية « المرأة الوحيدة » التي أقصدها ؟ » . ما نسم الطبيب وتحتل الإشاعة في مسوته ، بما زاد من شعور حارث بالطائنة : « يا صديقي العزيز ، ليس من خلالى أن أسمى

نافذة من الزهور لسرين بها ، فيها كانت تصمها في إياه الزهور .
وهي تتسائل عن كانت مقصودة بهذه الهدية ! .. وكانت
نحيد الرقص ، وركوب الحبل . على أن من كان يراقصها .
كان يلزم بمرامه فواعد السابعة التامة ، وإلا سمته إلى حجرة
وارثته . أما الذي كان يطعم في التبارى معها في ركوب
الحبل ، فقد كان عليه أن يعد نفسه لأن يجتار أي حاجر أو
جدار . ولست أذكر أي رأيها مره تخرج للصند .
فقد كان حبها للحياة والألعاب الهادئة ينأى بها عن ذلك .
إنها أردت أن أحط لك هذه الصورة الوصفية ، لأبين
ما حملت عليه . وكان مما سمعت المعلقة في كل قلب . أن
يوجد في الحملات الخاصة . وإن لم يدر أحد لك الخط .
مبعثا .. من المستحيل أن توصف .. لقد كانت .. هي ..

ولقد مرنا الطيب كله « حين » نراقص بين شمتي
« جارت » ، وإن لم ينطق بها ، وأدرك مدى عجز أي وصف عن
إيفا ذلك الاسم حق . ولم يشأ أن يوقف تيسر اعترافات
« جارت » . قراح يساعد بامداده بالكلية ، قائلا : « أنها
بوع نادر .. نعم ، أفهم جيدا ما تعني .. وبعد ؟ » - فاستطرد
الصوت الشاب اللئاع ، قائلا : « لقد أخبرت حالات الهيام
كثيرا ، وكنت أظن أن الشيء الأوحى أبدى بعينتي في المراد .
هو المظهر الخارجي ، كان الجمال بكل أنواعه ، وبأي
أنواعه ، سيهوس لحظه . ولكني لم أذكر مره في الرواج
من إحداهن ، بل كنت أهو دائما إلى رسم صورهن . وكانت
أهملتهن وعهلهن وعبرهن من لمسات - في تلك الحملات

الخاصة - يعقدن بأنني كتبت أهف إلى الزواج .. ولكن
لمسات امسهن كن يترك حقيقته الأمر .. ولا اعتقد أن أية متة
على وجه الأرض - ممن مرون في حياتي - تملك أن تنهني
بأنني غايتها ! .. كتبت أبدى إعجابي بحمالهن ، وكن يعرفن
ذلك . ويعرفن أنني لا أقصد شيئا سوى الإعجاب .
وكانت بحار لطيفة - في حبها - وكثيرا ما ساعدت على
التهجد لزواج أولئك الفتات . ولأصرت لك بخلا سولس لبيتر ،
مقد لصق اسمها باسمي خلال موسمين كاملين . ولكنها
بروحت أخيرا من الرجل الذي رسمت صورتها على سلم داره
العاهرة الحبيبة ! .. أما لماذا لم ليقط بسهر روحه ، مخرج
- غيبا أحب - إلى أنهن كن كثيرات ، فضلا عن أن حاديتهن
كانت سطحية ! .. ولست أتورع عن أن أصارك بأن الوحيد
الذي كان لحملها تأثير حقيقي - هي اللدى مراد . ولكني
نعمت بالرضى والاكتماء بعد أن رسمت صورتها وأظهرتها
للعالم في أكل أيامها . وما سلب أيه امرأة أكثر من أن أرسوم
صورتها ، وأن اثنين منها نواحي صالحة للتصوير .. وما كن
في مقدوري أن أشرح ذلك بالرواج أو الأمهات أو الوصيمات .
ولكن النساء أنفسهن كن يهمن ذلك حدا .. ولا تحصرني
- وأنا جالس في ظلماتي هنا - أنه ذكرى تثير صبري ! ..

فقال له دريك براد ضاحكا : « مالك من معنى طيب .. لقد
اسمى فيمك كثيرا في كل وسط أم أنا فاصدق قولك ! .. »
تاستأنف جارت حديثه قائلا : « وسذا ترى أن الأمر كان
سطحيا فحسب ، ولم تتجاوز به السطح مره . أما النساء
اللائى فهمتهن كل الفهم ، فممن - التي ماتت وأنا في

التاسعة عشرة من عمرى - وما رجى جرايم ، التى نمودت
ان أختفنها وأقبلها عند وصولى أو سفرى ، وسأظل على
ذلك حتى أقبل وجهها الكليل وهى مسحاة فى نابوى ، أو حتى
سلبى هى إلى نابوى .. ان تلك الروابط التى ترجع إلى
صموه المراء وصباه ، هى من الحق وأقدس الروابط فى حياة
الإنسان .. وهكذا سارت الأمور ، إلى ان كل داب بساء من
أمسيات شهر يونية ، نفذ ستواب .. كتب هم - " بر -
الوحيدة " - وأنا معا ، فى حمله حاصه فى احد القصور
القديمة المحوية ، فى الربف - وبعد ظهر أحد الأيام .
كنا متبادل الحديث - على حده - ولكنه كان حديثا صريحا
وعرضيا . ولم تكن لدى فكرة عن الرعة فى الزواج بها - إذ
ذاك - لولا ان حدث أمر .. فجأة .. ولا يسمنى أن أزيدك
عنه إيصالا لئلا يتس منه شخصيتها . ولكن الذى حدث -
كشف لى - فى لحظات قليل راتنه - - حفنة المراء
والروحة والام فى كسها .. وعن الموه والحنان ، وعن الكمال
التمام الذى كتب عليه روحها الصادقة النيرة .. وفى حبس
نفائق استبقت فى داخل تعطش إليها ، لم يمكن شئ من
تهديته ، ولن يقدر لشيء أن يهدى سورته ، حتى أقف إلى
حوارها فى العالم الآخر .. فى « المدينة الذهبية » ، حيث
لا جوع ، ولا عطش ، وحيث لا يكون ظلام ولا حاجة إلى نور
لشمس أو القمر أو ضوء الشموع ، لأن محد الله سيرها إلى
الابد ، وحيث لا حزن ولا ألم - لأن الأمور الماصه تكون قد
ولت ! » .

وتلقى وجه الاعى أمام بار المذمة .. كنت عودته إلى
الماضى قد رودته برؤى المستقبل المرنحى ! .. وكال الطبيب
جالسا فى مكون قام ، يرقب الرؤى حتى خفتت ، ثم قال
" وبعد ؟ " . واستد الصوت العنى حديثه من بين الظلال .
فى ليله من هبط إلى الارض حيث لم يلق سوى الهم والأسى
" وبعد ؟ .. لم يساورى - إذ ذاك - أقل ريب فيما طرأ
على . فقد أتقت بأنى احسها .. أيقب بأننى كنت أنتعها ..
أعنت ان فى حضورها عارى ، وان عيائها لل قارس الرود ،
وان كل يوم لم يكن مثاقلا إلا لوجودها ! » .

وصبت حارث قليلا ليسعيد أماسه ، وليتبع بمسه لحظة
بالدكريات الماصة الصائمة . ولكن صوت الطبيب قطع عليه
الصمت ، وهو يسأله فى وضوح وصراحة : « أكانت امرأة
حسباء ، يامحة ، حميلة ؟ » . مردد حارث كلماته وهو شارذ
البال : « امرأة حسناء ؟ .. كلا ، وحق السماء ! .. مليحة ،
حميلة .. ها قد أرحسى ، نيميا بشرى إيسى لا أدرى ! »
مقال الطبيب : « انما قصدت : هل كنت مثوقا لأن برسم
صورتها ؟ » . فاجاب جارث : « بل لقد رسمتها ! » .. وجاء
رده فى صوت خافت جدا ، يسيل حنانا ورقة . ثم اردف
" ومع أن الصورتين اللتين رسمتهما لها ، قد تبنا فى أسى .
ومن الدائرة ، إلا انهما اندع بعة اسحها .. ولم تكنحل من
بشرية برؤيتهما سوى عيني .. أما الآن ، فلن تراهما عن
مطلقا ، اللهم إلا عينا الشخص الذى أرمر ومسيرها إلى ان
أعهد إليه بالبحث عيما وإحصارهما لى لا يمسوا " .

فسأله الطبيب : « وذلك الشخص .. ؟ » . وأجابه جازئ :
« الممرضة روزمارى جراى ! »

وحرك الطبيب قطعة خشب الصنوبر ، فى المداقة ، متأججت
نارها بلهب راه ، ثم تكلم وهو يجاهد ليمنع العرق الذى ارتسم
على وجهه ، من أن يبين فى صوته : « لقد أحسنت الاختيار .
فان الممرضة روزمارى ستكون خير حفيظ للسر .. حسنا
جدا ، إذن ، لنا أن نقول إن « المرأة وحيدة » كانت جميلة .
النس كذلك ؟ » . فتنظرت على حارث إمارات الحرد ، وأجاب
فى تريث : « لا أعلم .. فليس موسمى أن أراها معسوم
الآخرين .. أيا طيمها الذى تحلى لى فى تلك اللحظة المداقة .
بعد كار بقاء الأمر اتى املاها إيهامى العرس والروح
والجسد .. كانت لها روح نقية ، وكامله .. ومعس جميله
سبله ، جمعت كل ما يتعد فى المرأة حتى أن الحسد الذى
كان كسبا للروح والنفس ، ففس من كمالها ، فأصبح حبس
غالبها ! »

وقال الطبيب بكل لطف : « مهت .. أحل أياها الصديق
العربى ، لقد مهت ! » .. ثم همس لنفسه : « أواه يا جين ..
يا حبيب ! .. لقد كنت عمياء بغير عصابة على عينيك ، فى تلك
الأيام ! » .

وما لبث جازئ أن استأنف حديثه قائلا : « مرت بنا
أيام مجيدة رائعة . وقد تحققت الآن من اتنى كنت أعيش فى
وهج يقينى الخاص بأنها هى « المرأة الوحيدة » .. كانت

هذه الحقيقة - بالنسبة لى . وأصحه . عذبه . رائعة . حتى
أتنى لم أحلم بأنها لم تتبين لها هى ، كما تبينت لى . ورحب
بعرف الموسيقى معا لحرد الاستماع الطاهر ، وأحدا يحدث
عن الغير لمجرد التمكنه .. وكان كل منا يستمتع بأراء الغير
و مكره . وبغيرها . ولكنا لم نحدث عن عسسا ، لأننا كسب
نعلم كل شئ .. أو على الأقل ، كنت أعلم وأظن - وأشهد
الله - أنها كانت مثلى .. وفى كل مرة كنت أراها ، كانت
تزداد تألعا وكهلا فى عسى . ووجدت فى يدى المفتاح الذهبى
الذى كسفت لى عن بسائط لم أكن أعيرها - من قبل -
اهتماما . فقد كنا - نحن الشبان الدين جهمتنا جاهمة
الإعجاب بها - نشدرك بكاهاب عن أريدائها « موب » وحوارب
وأحديه طويله . وأثوب قصير ، وكيف كانت بصرى سابقها
بسوط الحبل . ونحرك من المداقة بمقدم حدانها .. ولكنى
- بعد تلك الليلة - أدركت أن كل ذلك لم يكن سوى سباح
حبس حلمه أبوتنها الرائعة ، التى نبت بها من نوع أعوق من
أن يسير غوره أى رجل من ينظرون إلى مجرد القشور
السطحية .. وعندما قدمت - فى المساء - متهادية فى ثوب
أسود شمين ، التصق بقواها ، وقد زينت صدره بطبقات
من « الدانتلا » الرقيقة المأخرة ، التى استلقت على صدرها ،
وراحت تهوى مع خفقات قلبها الكبير الحنون .. أواه ! لقد
طربت عسى . إذ ذاك . وامتلأت عساي عطشه ! .. لقد رأيتها
فى المساء - كما وحدتها طوال النهار - حذله فى مونفيا الأمية ،
العذبة ؟ » .

وقال الطبيب لنفسه ، « لم ينظر حما إلى أن الصورة التي رسمها بحديثه لا تنطبق إلا على جين ؟ » .

وعاد جارت إلى حديثه قائلا : « وسرعان ما اضطررنا إلى الامتراق لثلاثة أيام ، ثم التقب في عطلة الأسبوع ، في حفلة خاصة أخرى - بأحد القصور - وكانت من الحضور إحدى حبيلات الموسم ، وقد استباح القوم لأنفسهم أن يقرؤوا اسمها باسمي .. وقالت « المرأة الوحيدة » شيئا بهذا الصدد ، اقترن بالمراع الرهيب الذي عاثت في تلك الأيام لثلاثة التي لاحب له دهرًا ، معتدت العرم على أن اماتحها دون موافق .. وسألها أن تعطيني - في الشره - في تلك الليلة .. وكما وحيدين ، و لليلة قمرية صحوه » ، وصفت حارث طويلا ، علم يشا الطبيب أن يتكلم ، إذ أدرك أن صديقه كان سيقع في فكره كل المسائل التي لا يتحدث بها رجل إلى آخر .. واحترأ عاود حارث حديثه ، فقال بكل بساطة : « وإدراك ، بحث لها .. » .

ولم يعقب الطبيب بأي تعليق ، وقد أومض في فكره - في تلك الآونة - التعمير الذي استخدمته حس .. « وإدراك .. حدث الأمر ! » .. هكذا قالت عندما بلغت في قصتها هذه النقطة ! .. وبعد لحظات من الصمت - قضاها جارت سباحا في ذكريات من صوء القمر ، وقصاها الطبيب في تفسير عبارات « جين » خرقا بحرق - عاد الصوت الفتى الحزين مقور .. « لقد ظننت أنها كانت معهم الأمر كما مهمته . ولكني ظننت - بعد أن أخبرتها - إلى أنها لم تفهمه مطلقا . كانت تصرعها قد حملني على الاعتقاد بأنني لقيت لديها قبولاً .

وأنتى قد سمعت إلى تعيم حسب خبر ، حتى وهي محاطة بحبي .. وما كان الدلب ذنبها .. آه ، كلا ، فما هي أهل لاي لوم .. وإنما كان الدلب دب لب لم يفهمي ، ولم تستطع أن يفهم ما كان لايه لمسه من لمسها من أثر في نفسي . وما كن في حياتها العالة أي رجل من عمل . هذا وما أفت منه بفرصة لا تخطيء ، وباعترافاها هي . ولقد فكرت - أحيانا - في أن من المحتمل أن يكون قد سعلقت في صعره بمثل أعلى ، راحت تقس الرجال - ميا بعد - على أساسه ، ميسح لها أنهم أقصر منه ، ومن ثم هي تستقيهم على معد مناسب . ولكن ، إذا صح هذا ، ملا بد أن مظهرها الأعلى كان محبوبا أعني ، إذ لم يحس بهذا الحب الذي يموق كل شيء ، والذي كان طبقا من بطرته ، لو أنه حاول ، ذلك لأنني أوقى من أمه لم يقدر - حتى تلك الليلة - لحب رجل آخر أن يتأجج حولها ، وأنها لم تشعر يوما بأنها محبوبة بصرحات الوله والهيمن العارم الذي يعوق كل تصوير ، وأندى بوحى نحاخه ماسسه جارمة إليها .. وسبها كنت أظنها قد أدركت ، واستجابات - والله على ما أقول شهيد - إذا بها لم تفهم شيئا البتة . وإنما كانت تحاول أن تبدي العطف والكرم ! » .

وهنا تلمل الطبيب في مقعده ، وعقد ساقيه في سكون ، راح يتأمل الوجه الأعلى .. منذ وجد اغرامات « الرحر الآخر » أشد لوعة وصلى من كان موضع .. وما لبث أن ساله في صوت أجش : « أوافق أنت مما تقول ؟ » . فحابه جارت : « كل الثقة .. أصغ إلى ، لقد عينا به بك ، نس أنها كانت لي في تلك اللحظة ، وبما أ

— بالنسبة لى — وبما يستطل إلى الموت وما بعده .. تلك الكلمة — لا — بل كذا كلمتين — فلكما انكلمنا جعلناها معهم . هذا ما اسببه الآن .. وم كان منها إلا ان عبت واقعته بدى سماعها الكلمتى « واعتدتى عنها وهى مدرع حاجتها إلى ان ايهلها اثنتى عشره ساعه ، حتى سحت الامر فى هدوء . ووعدت بان تقابلنى فى كنيسه القرية — صبيحه اليوم الغالى — لتظلمنى على ردها .. وقد سحك يا " براسد " سبى كمت ابله . ولكنك لن تتصورى حمارا كبيرا ، مالفدر الذى انصور به نفسى الآن .. بيد اننى كنت اوفن بقىنا ثلثنا سبى لى .. وكنت متاكدا من ذلك عندما حضرت إلى الكنيسه ، وعندما بقينا بمنردس فى بيت الله ، علم اتجه إليها بلهيه العاشق المتوسل ، وإتينا ناديتها لتقف إلى حاسى على عتمة الهيكل ، كما لو كنت حقاً روحها ، وصاحب الحق فى الأمر . وجاءت ، مرابت — ابتاعاً لأصول اللياقة ، وقتل أن اصمها إلى صدرى .. أن أسألها ردها .. مكان جوابها " ليس موسى أن أنزوح من مجرد غلام ! » .

واخفق صوت جارت وهو ينطق الجملة الأخيرة ، ودعى رأسه فى راحتيه .. كان قد بلغ النقطة التى وقف لديها الكون عن الحركة .. النقطة التى كفت عندها كل الأشياء عن أن تكون — كعهدها من قبل — إلى الأبد ..! ولا ح أن الحجرة كانت فى سكون عجيب ، وكأنها سكب مهبها الصوت — المنهد — وحداً — مصفاً حارفاً من الحب والأمل والحنن .. مكثف عن روح أضفى عليها الحب الصادق للجمال شيئاً زليلاً ،

وعن قلبه تحرر وسما يمثله العليا عن كل عتب بحب أدنى . وإنما مقوده حماره ، وبلغ أعلى دروة عندما عثر — أحياناً — على الحب الصانع ..

وارتجف الطبيب عند هذا الحد من القصة ، وكأنها تسربت إلى عظامه برودة كنيسة خالية .. وأدرك مدى قسوة الأمر ، بكثير مما أنباه « جارت » . فقد كان على علم بالسؤال القاسى المذل " كم سنك ؟ " .. لقد اعترفت له « جين » بذلك . وعرف كيف حسا بالى ذلك الحب الطاهر ، عندما أمشى المعتل مجاه إلى الداخل . ليسطلع دخيله صاحبه .. بعد كان يعرف كل ذلك بصورة مبهمه ، أما الآن . بعد رآه على حقيقته مديلاً أمامه . رأى عاشق حين المصدم ، الذى من حواراه مكس الرأس ، أعبى ، وقد ارتد إلى الماضى معش فى عمرة تلك المادى والأصوات التى لا يمكن أن تحبها — أو تحجبها — أكثر حجب الفسيان رحمة !

ولقد كانت لطيف ديوه ، ولكنها لم يكن كدثوب القديس بطرس . فما تكلم يوماً — ومهما تكن الظروف — مجرد أن يقول شيئاً . ولكنه ابقى إلى الامام ووضع يداً حاية على كتف جارت ، وقال : « يا لك من غنى مسكين ! .. أه ، يا للصديق المسكين ! » .

وظلا جالسين فى صمت ، على هذا الوضع ، وقتاً طويلاً !

الفصل الخامس والعشرون

« إن لم تبد أي رأي ، ولا أوضحت نسبا ، بل تركته على اعتقاده . . . أواه ، يا ديكى ! . . . كان جديرا بك أن تتكلم ، وأن تسهب ! » .

كانت حين قد تسلفت مع الطبيب تلك الحرب المنفض ، الذي يمتد - من نهاية الشرمة - متعرجا إلى مقعة عارية ، وسط أشجار الصنوبر ، في صباح يوم الأحد الذي سادته الهدوء . . . وكذب معه شحرتن قد سقطت على الأرض مساعدين قليلا - بحيث يصلحان لأن تكونا معمدتين في شعة الشمس ، بحاه مطر يسمع يمتد إلى سدان اس ، ثم عبر الوادى ، ويمر إلى نلال الأرجوميه لقائيه حله . . . وعاد الطبيب « جيب » إلى الشجرة ، لمى كانت محبى ، حبر فسط من أشعة الشمس ، ثم جلس مجوارها ، وراح يبرد عليها - في آياه - حديث الليلة الماضية جرما بحرب ، ثم هال « لم اسد أي رأي ، ولا أوضحت شيئا ، بل تركته على اعتقاده ، لأن هذا كان المسلك الوحيد حتى يبقى مترسمة فوق الدرج العلقى الذى سواه إياه . ولو أدليت بأى سبب صدك - سوى جهل بالرجال يشبه جهل الأطفال - لفتحنا الباب لأشياء عال وتلقى قمولا - وإدراك سيوين ما تنانى لمسكنه - ويكور الوقوع أليما . وشلت يدي إذا كانت هي التى تدفعك إلى تلك الهوة . . . تقولين إنه كان جديرا بى أن أتكلم وأسهب ، ولكن هذا كان خليقا - كذلك - بأن يجملنى أعيش متحصرا نادما ! » .



وقد طيب حين ، ي شجرة شى

وقلت جين في استهتار : « لأن أسفل بين دراعيه وانفى منك » أحب إلى من أن اترى موق سرح عجبي ! » . صاحبها الطيب : « معذره يا بيتي الطيب ، بعد كان الاحتمال الاسمح هو أن يهبط إلى أول قطار سريع يرحل إلى الحوب .. بل اننى لا جرم حيث منتظرين القطار السريع ، حتى اننى لاأكاد أتمثل النبيلة « جين شامبيون » تدرج محطة صغيرة ، في غريبه مزارعه من باقالات المحرم . كلا ! لا تنهض ولا محاولي السير بخطى واسعة بين قرم اشجار الصوبر » . وحديثها عطفها ، حيث كانت بجواره ، ثم اسدق قوله « لو أنك فعلت ، فلن تحنى سوى أن فنعثرى وبوى في وسع رأسي إلى الودادى . وليس من المفيد تعجل السقوط الذي لا مفاصل منه ! » . فتنهدت جين ، ووضعت ذراعها في ذراعه ، واحتنت رأسها لتحذى عينها المعصوبين في سترته السوداء الحشمة في ثيابا كتفه ، وهي تقول : « آواه يا ديكى ! .. لست ادري ما الذي ألم بك اليوم . إنك لم تعد لطعما ممي .. لقد مرتت روجي التمسمة متكرار كل ما قاله حارث في الليلة الماضية .. وبمعدل ذاكرتك المزهمة الفظيعة ، استطعت أن تقلد رناب صوته وثناين مبراته .. ثم ، وبدلا من أن تسرى عني ، إذا بك تتركني عارقة إلى أذني في الخطأ ، بل اننى قد ترديت ! » .

وقال دريك : ! في الخطأ ، هذا حتى .. أما أنك ترديت فلا .. وما قلت إننى لن افعل شيئا اليوم ، وإنما قلت انه بالأمس لم اقو على عمل شيء .. وليس في الوسم أن يأخذ الإنسان شيئا حريحا فقلبه بين يديه وحلله . وعندما تبادلنا

صحنه المساء ، قلب له أسى سمى في الأمر . ودلى إليه برأى اليوم .. وإذا شئت امصيت إليك بها حدث لى .. لقد تأملت العجوبات العائنه في نفس حميله ، سائرة ، مرايت مبلغ النهم الذي يقوى أية امرأة على أن تحبته في حياه الرجل السدى بحبها . وأؤكد لك بأن الليلة الماضية لم تكن ليلة راحة وتسليه . وقد استيقظت هبدا الصباح وأنا أحسن كمن شرب صربا مبرحا ! » . فسألته حبس بلهجه مؤثرة : « مما مالك بي أما .. إذن ؟ » . وكان جوابه : « أنك ما برالين تشعيرين في نفسك مالك على جانب من الحق . وما ذهبت بمصره على الاعتقاد بأن لديك ندره من الممررات ، وتتمتعين بها ، ملا أمل في حالك .. يجب أن يكون قولك : اننى اعترف .. فهل تصفح ؟ ! » .

وصاحت جين : « ولكننى تصرفت بما يحقق الخير .. سرت عنه بعد أن أفكر في معنى .. وكان الأسهل أن أتقبل السعادة السالحة ، وأدع المستقبل للقدر ! » .

.. لست هذه أمأنة ما حانيت .. لقد فكرت في نفسك أولا .. لم تجسرى على مواجهة الألم المحتبل إذا فتر حبه ، أو خبا إعجابه . إن المرء حين يفكر في الأمر ، لا يلبث أن ينسى أن كل أشكال الحب الأدنى — باستثناء حب الأم وحده — أنانية في جوهرها . وحر فرصة سألحة لدائمين هي أن يوقظ صخره الكامل وفقدانه بصره ، الحب الأموى في نفسك ، وإذا ذاك تضاعف حب النفس !

فتنهدت جين وقالت : « واهالى ! أسى نبيلة ، يحط به

دالمس فادم ليعرف رأيي في الموضوع ومستسماعه معا - فيكون ذلك مدعاة لتوثير وقلي - كما به سيصيرك بكيفية طلبه الرد .
مالشي الآن دون حراك . واعدك بأنه لن يجلس في حجره .
ولكن إذا صغرت منك أقل حركة ، فسأدعي أنك أرنب بري
أو سحاب ، وألقي عليك قطعة من أقماع الصنوبر . »

ثم نهض الطبيب ، وسار سيرت نحو المبنى الأخير و
الطريق . بينما جلس حبس في ملاهيها . وما لبث أن سمعه
ديكي يقول : « هالو ديس ! لقد أهديت إلى هدا . . أنها
بقعة رائعة . . هل تستغني عن مسسون ؟ . . هلم تأبط
فراعي ! » . فأجابه جارث : « نعم . . قيل لي بأنك هفا
يا براند ، فقيمتك » . ثم سارا معا حول المنحنى ، وبلغا
النفقة العارية .



وتسائل جارث ، وقد وقف دون حراك : « أنت مفردك
هنا ؟ . . خيل لي إنني كنت أسمع أصواتا » . فأجابه
الطبيب : « هذا حسني ، فقد كنت أتحدث مع ثمانية » . وعاد
سأله : « أي نوع من الشائبات هي ؟ » فأجابه الطبيب :
« مائة بلونة بالصحة والنشاط ، ذات مزاج . . ! » . ومن
جديد ، تسأل جارث : « وهل عرفت اسمها ؟ » . فأجابه
الطبيب في غير اكترارة : « حس » . ولكن حارث أسرع قائلاً :
« ليست جين بل « جان » . . لقد عرفت من « شوي » أنني أكره

حائرة في دياجير الظلام . . ما من شيء يدوسني وأضحو وما من
شيء يبدو صواباً ، ولو استطعت أن أرى عبث الرقيقين .
لنخف إبداء صوتك القاسي » . ولكن رد طبيب . « إذن ،
فاخلي هذه العصاة وانتظري ! » . فصاحت حين في غضب :
« لن أفعل ! انتحلت كل هذا ، لكي أفتل في النهاية ؟ » .

« يا بيتشي العزيزة ، إن هذه الظلمة التي تعرضتها على
نفسك تؤثر على أعصابك ، مجدداً ، تؤدي إلى سرور أكثر
مما تؤدي إلى خير . إذا ان الادوية السعيدة . .

فهمست جين قائلة : « أصمت ، فاني أسمع خطوات ! » .
وأجاب طبيب بصوت خافت . « أنت تسمعين سماع ومع
الاعدام في العادة إذا ما أصعب إليه » . ثم سكث مسعنا .
فهمست جين قائلة : « إنني أسمع خطوات جارث . . أواه ،
ديكي . . تقدم إلى حافة الطريق ، وانظري . فعي وسلك أن
تري القادم في محجبات الطريق المضي » . فسار الطبيب إلى
الاحدة التي شارب إليها في حذر ، وأمر ستره على الطريق
الذي سعادته ، ثم عاد إلى حيزه . « حسا ، إن الحظ
يحالفنا . فإن دالمس صاعد بسا ومع مسسون . أن بيتش
يكون هنا بعد دقيقتين » . فهمست : « احذر بحالنا » .
يا عزيزي ديكى ، إنه لاسوأ طالع ! » . وارتفعت يدها نحو
العصاة التي كانت فوق عينيها ، عرس أن تصب سارح إلى
منعها . وقال : « أبدا . . لا تصدى تجربتك في اللحظة
الاحيرة ، فاني خفيق بأن أمكنها مساعدتي . وتما لا يصح أن
. . أطمئني إلى ، وأمكني في الظلام . . أعني في مسكن .
الا تفهمين الآن السبب في قولي : إن الحظ يحالفنا . . إن

نلبستاني ، وهي تحمل على منديها مسوويات الاسره ...
ممكنه تلك الفتاة ! »

وقال الطبيب : « لقد رايتها مكتوده حقا ، وما كنت اعرف ان تبعات الاسره هي الب . نحلس على هذا الخدع . هل تستطيع ان تذكر المنظر الذي نشرف عليه من هنا » .
فاجابه جارت : « اجل ، غائى اعرقه تمام المعرفة . . ولكن الذى يبعث في نفس الخرع ، هو ان الصور الذهبية بدأت سبه جميعا ، عدا صورة واحدة . . فتسأل الطبيب :
« وهي ... ؟ » . وقال « جارت » ، وهو لا يبصر : « صورة المرأة الوحيدة . . مهتب للطبيب . « آه يا صديقي العزيز ! . . لم اسع وعدى لك بان اوميك ليوم مرائى في مصبك . لقد متلبها بحثا وتمكيرا ، ووصلت إلى عده سانج . نحلس على خدع هذه الشجرة . . الا تريد ان ندخ . . ان الحديث يحلو تحت تأثير رائحة التبغ » ،

واخرج جارت عليه سحائره فتاور منها واحدة ، أشعلها بكل عناية ، ثم طوح بالثقاب المشعل ، فسقط فوق اصابع جين . . وفعل ان سرع الطبس اليها ، كانت حين قد القت بالثقاب مصدا وهي تبسم . . مقال دريك لمعه : « بالها من اعصاب . . ان نسماع وسعين بين كل مائه امرأة ، ما كسن ليهجن عن ان يصحن : « آه ! » ، ويقرن شجرة . . حقا إنها لحديرة من سمر ! . . وفجأة بهض جارت قائلا : « اطل ان الأفضل لنا ان ننتقل إلى خدع الشجرة الأخرى » .

واكمل : « لأنها أكثر تعرضا لأشعة الشمس » . ثم سار ناحية « حين » . ولكن الطبيب فمر أممه ، فأملك بيد جين بحدى يده وحدها حلمه ، وقاد جارت باليد الثانية إلى حيث كانت حين جلسه . . ثم فاد جين إلى الشجرة الأخرى . . فعمل كل ذلك ، وهو يقول لجسارت : « ما أدق تقديرك للطبيب ! » . . ثم جلس حواراه وأردف وأنفاسه متهدحة :
« والان لنعد إلى حديثنا ! »

وهنا سألته جارت : « أوافق أنت من أننا سمردين . . ان إحساسا يغالجنى بوجود شخص آخر سوانا » . فاجابه الطبيب : « يا صديقي العزيز ، هل توسع إيمان ان يكون سمردين في المنة ! . . كم من كائنات دقيقه تحيط بنا . . وكم من عيون يراقة تطل علينا من بين فروع الأشجار ! . . وكم من ادباب ناعمة تسبل من أحجور وإليها . . وكم من أشياء غير منظورة تتحرك بين الأوراق الداومة تحت أقدامنا . . ماذا أردت الوحده الكاملة ، مجنب الفئات ! » . فاجابه جارت : « نعم ، أعلم بوخودها ، وأولج بالانقصات إليها . . وإنها كنت أرمى إلى كائن أدمر . . سمر ند ، كثيرا ما يساورنى شعور بوجود كائن بشرى غير منظور قريباً منى . . أنتصور أننى اكاد اتسم بأنها - « المرأة الوحيدة » - قد جاءتنى في سكون - منذ أيام - وتأملتنى في عمائى ، وأشفقت على ، بقدر ما وسع قلبها الكبير من حنان . ثم رحلت في صمت ! » .
الطبيب : « بتى كان ذلك ! »

— منذ بضعة أيام . . كان الدكتور روبى بروى يعا كيم القتر

به في .. آه ، ليس لي ن ذكر المكان . ثم تركني هو والآسفة
جرأى وحيداً .. وفي ظلام وحدي ، واستكون شابل ، شعرت
بصبيها تحديقان في ..

مخاضه الطبيب " يا بني العزيز " بحث لا تتحجج مثل
هذه العادة النعيسة المصنعة ، حبيب غير مسطورة ، وتذكر ان
الذين يهيمون بمرضا أحببهم ، عفيف صادق ، مستطعمون ان
يشعروا دائماً بمرهم من عفا ، ولو كانوا على بعد شاسع .
لا سيما إذا علموا ان في سبي وفي حاحة إليهم .. علا يدهشك
ان تشعر - في كثير من الأحيان - سيقرب " المرأة الوحيدة " ..
إذا أسي اعتقد - و لا أمور ذلك ، حرماً بالملس ، من كل قلبها
وحبها وحياتها لك أنت ! " .

فهمت جأرت : " يا الهى ! " وهب واقفا وهو يطمص ، ثم
مشى على غير هدى ، أمسك الطبيب بذرعه ، ولو أنه توانى
دقيقة ، لكان حارث قد معتز في مدم " حين " . وقال له :
" احلبس بارجل واصبح لما أقول " ان تقدم شيئاً من اندماك
الفحاشى في الظلام على هذا النحو .. وس سرهم لك على
صحة ما أقول ، على ان تعيرنى اسماك في هدوء . مانصت
إلى : إننا نواجه في هذه الحال معضلة نفسية .. معضلة من
المحتل حدا أنها لم تحدث لك أنت ! .. أريد منك أن تتخيل
أمالك - للحظة واحدة - " الرجل الأوحده " و " المرأة
الوحيدة " ، وقد واجه كل منهما الآخر في جنة عدن أو في ضياء
القمر .. حيثما كان ، ومما لما يروق لك .. فهل تستطيع ؟ .

إن الأثر الذي يسبطر على لرجل حين سمع في جبل الحب ،
هو ان يحلق منه مقداما كاملاً لشعوره بيمسه .. بينما يكون
الأثر الذي يسبطر على المرء من صبيها - إذا أحبها شخص
وأردها لنفسه - مستحجاب بعداً ، أحب ولتلك لرعبه ، هو
ان تشعر شعوراً كاملاً بيمسها .. فالرجل يفكر فيها وحدها ،
وهو يوق إلى الطعير بها ولا يستجوذ عليها .. أما هي - التي
دعت لكي تستسلم وممنح نفسها - من عقلها يتركز بنفسه
على نفسها .. اطلبى نداءه وتقابل رغبته ؟ .. أهى كما ظن
تماماً ؟ .. هل في مقدورها ان ترسيه إرساء كاملاً ، ليس في
بداه حائتها فقط ، بل على طول أسس العقل ؟ . وعذر
ما يكون قد ثبت - غير حافة بيمسها ، تكون قسوة
صديه المعاندة عليها ، ويثون وظائف الشعور والاهتمام بذاتها !

والعمت الطبيب باحثة " حين " ، وهي جالسة على الشجرة
الأخرى ، على بعد ست أقدام منهما ، وإذا بها ترفع يديها
المعقودتين ملوحة له ، وقد أصاء وجهها مور الارتياح والامتنان .
فشعر الطبيب بأنه قد لمس الوتر العنقاس . أما الوجه الاعمى
الحالس بحواره ، فقد كسسته بحالته قائمة ، أخذت ترداد
قنما كلما استقرسل الطبيب في حديثه ، وهو يقول : " لقد
مهمت بك يا صديقى العزيز ، أما لم تكن من النوع البارء
الجمال الذي عرف عنك أنك كنت تعجب به . أما يكون أقرب
للعقل أنها أوحشت حجة من ان " ا قد مثل " .
حين - في إرسائك ؟ " .. فأجاب : " صوت حاتم " كلا

.. ان مثل هذا الرأي لا يسحق شئياً .. وبق ذلك .
ملو أن الفكرة ساورتها - على أى احنال - لما كان عليهما
إلا أن نسالى عن تلك البقطة . وكان قرارى طليقا بأن يكون
قاطعا ، وجوامى كفيلا بأن يطمننها اكمل اطمئنان ! » .

وردد الطبيب الحكمة المشهورة : « الحب اعمى ! » . فصاح
فيه حارث : « كذب وهراء ! .. إن الحب بعيد النظر ، حتى
انه ليرى ما تحب المظهر ، وينسى آفات الجمال التى لا تراها
عيون غيره ! » .

وسأله الطبيب : « إذن ، فانت لا تفعل نظرتى ؟ » . فكان
جواب جارث : « لا أقفله كتفسير لمعضلتى .. لأننى اعرف
حيذا بأن عظمه بمسها كانت . سمو بها موى . بل هذه
الاعتبارات . ولكنى قر رايك بشأن اللبس القائم للشعور
بالذات لدى الرجل المحب ، وإلا فكيف كنا بقوى وبحرو
على التقدم للبراء بطلب الزواج منها ؟ اواء ، ما مراند ! .. كلما
مكر الإنسان ميها وراء ذلك من اقتحام لحياه المرأة الحاصة ،
والتماس الحق فى اللبس .. حتى لمس يدها يجب أن يكون
مبولها ورساها .. كل هذا لا يمكن الإقدام عليه . ما لم يكن
الهام بها ، واعتفكير منها قد حروا امامها كل تفكير
فى النعس ! .. إسى إذ اردت بعكرى إلى ذلك الوقت . ادرك
كيف نسيت نفسى تماما ! .. وعندما قالت لى فى الكيسة :
« ما عمرك ؟ » .. آه لقد سهى على أن أحدلك عن هذا
بالامس .. إن هياج الشعور - الذى أحدثه تحويل الأضواء

على نفسى . فى تلك اللحظة - كان قاسيا . حتى لمد لاج أن
فرحى قد انكمش ومات جزعا من عدم جدارتى بها ! » .

وساد العانة صحت شامل . وأحسن الطبيب بأنه يلعب حوله
حاسره . ماسحى أن ينظر إلى الجهة الأخرى ، حيث كانت
المرأة تحلس صامه ، واجبرا تكلم قائلا : « هناك حلال
محملان لمشكلتك مادالمين . هل تعتقد بأن « حواء » - فى هذه
الحال - كانت تراجع فى حمر العدارى ، موقعة من « آدم » .
أن ملاحقه : » . ماجابه حارث بلهجة التاكيد « آه ، كلا ..
كما قد نحاوريا كل هذا . وما كنت لتندى بل هذا الرأي ، و
أنك عرفتها شخصيا .. إنها صادقة . سريحة إلى أقصى حد .
مها كانت لتحدعنى .. ومع هذا ، ملو أن لأمر كان كذلك ،
لكانت حليقة من يكب لى عما كانت تفصد حقا ، بعد أن مرت
كل هذه السنوات فى وحده ، وسعد أن بينيت أننى لم أند أيه
إشارة ! » .

وسأله الطبيب : « وهل كنت تعود إليها لو حدث هذا ؟ » .
ماجابه حارث فى بعد : « أجل .. كنت أعود ، وكنت أصفر
عنها ، لأنها لى .. ولكن ما كان للأمر - فى هذه الحال - أن
يحتفظ بحده الحال الأولى وروعته .. إذ أن فيه ما يتنافى مع
ما تحليننا به معا ! » .

فاستأنف الطبيب حديثه قائلا : « حسنا ، بقم ألامى الآن
الحل الثانى .. فلفد اعترمت لى بأن « لراة الجديدة » لم تلغ

سبب مسدودى الجبال ، فى حين كان حبك وشعبك بالجبال
معروما .. أملا معتقد أن شجاعتهم مدحسبها ، خلال الساعات
لطوبى الذى يرتد فى تلك الليلة .. واستعرض فى ذاكرتك
ما قلب لى من أبها نوحيت حسرتها عبيد ملك مفاجئة رعبه
والحب والعبادة — وأن الرعب ملا قلبها ، خشية أن تعجز
عن إيمانك حركه ، وعن إشباع حاجتك . من حيث الوجه والملاح
الذى ينعفى أمامك دوايم على المائدة . وعلى الرغم من حبها
التمارم وحبك ، فقد دار مخلصها أن الحكمة تقتضى تحنن حبه
الأمل مستقبلا ، بأن ترمض السعادة لحاصره المؤقته .. قد
يكون حبها لغيرك لك هو الذى ملحتها لتقدم على هذا
القرار !

وعند ذلك أومات انصامته بحالته أمامها . وظلت سامية
حامدة وقد عقدت يديها فى صر وانظار . فقد تولى دريك
الدفاع عن قصصها حيرا مما لو تولب من الدفاع عنها . وساد
الصمت الغاية ، وكان الطبيعة تأكلها قد سكنت منصته
للجواب ، وأخيرا سمعت كلمة « لا » تصدر من جارث فى صوت
فتى لا يشويه تردد .. ثم اردف قائلا : « كان لزاما عليها
— فى هذه الحال — أن تكاشفنى بمخاوغها ، فكنت أطمئنتها
نورا .. فهذا الاستنتاج كذلك لا يليق بمحبوبتى ! »

وهنا تبدت الرياح خلال الأشجار ، ومرت سحابة أمام
الشمس ، فارتحف الاثنان الجالسان بغير ابصار ، وظللا
جسامين . ثم قال الطبيب بصوت عقيق الحنان : « يا بنى

العزيز . لسى أتمسك ولا أترجح عن اعتقادى بأنك « الرجل
الأوحد » لتلك « المرأة الوحيدة » ، وأن مكانها الشرعى — فى
حالة مقدان بصرك — هو بجانبك .. ولعلها الآن تتحرق لهنه
إلى أن يكون هنا . عجل محبرى باسمي . وبأذن لى من أبحت
عنها - وأسمع من عنها تمصيل مصتها .. حتى إذا كانت كمنها
أععد . حثت بها إليك لترهن لك — وأب فى محسنتك الحانية —
على مبلغ حبها وحماها ؟ » .. فقال جارث : « أبدا ، أبدا ..
» متب فى أنفاسي تردد ! .. ألا ترى أننى — حين كنت ببصرى
وسبرى وبكل ما ينسبى القلب — لم أتمكن من اكتساب
حبها . فأى شعور — سوى الإشفاق — يساورها نحوى
أول . فى محسى . وأما عاخر ماقد البصر ! .. والإشفاق منها
أمر لا يمكن أن أقبله إطلاقا .. وإذا كنت « مجرد غلام »
— منذ ثلاث سنوات — فانا الآن « مجرد رجل أعمى » ..
موسع شععه وعطف .. ولو أنك كنت معها فيما قلب . من
أبها لم تظننى إلى حى ووفائى . فقد حرج الآن عن طامسى
— إلى الأبد — أن أنت خطأ ، وأبرهن على إخلاصى . ولكسى
من أسمع من تلوث طيف محبوتى هذه الاقتراحات .. فقد
كانت تحتاج — لاستكمال كمالها — إلى أكثر مما كنت قادرا
على أن أتح لها .. لقد رفضى لاسى لم أستكمل كفاءتى
لها .. وإلى لأوتر أن يبقى الأمر على هذا الوضع . فليسرکه
هكذا ! »

فقال الطبيب بكل حزن : « إن هذا يتركك مع الوحدة » ..
فأحانه حارث بصوته العنى : « انسى الفصل الوحيد . علم أن

أعقد لذة الحيال .. أنصت ، أسمع طرقات التثنية إلى
موعد الأكل .. مسوف محزون مارجرى إذا تركنا أطباق يوم
الأحد حتى يبرد ! » .

ثم هب واقما واتجه بوجهه الأعلى نحو المطر الطبيعي .
وقال : « آه ، لكم أعرف هذا المطر .. عندما أحلس هنا مع
الآله حراى ، تصفى بى كل ما برده ، أذكر لها أن ما
تلاحظه ولكنى أعرف أنه موجود .. أنها مشعوقة بالقرن .
وسيعظم الأشياء الذى أحفل بها ، لا مدلى من أن أمالك أن
تصيرنى ذراعك يا براند .. فجع أن الدرب واسع ، مأمون ،
إلا أنى لا أستطيع أن امرض نفسى للعثر . وقد وعدت الآله
حراى بذلك . لقد تعثرت بواحد أو اثنين من الساعات الراحدة
.. ولكن الطريق مسع . مكب أن سير اتسراو ثلاثة فى سب
واحد ، إذا أفضت الصرورة ذلك .. لقد كان جيلا أن ته
تمهيد هذا الدرب المتسع ، فبعد كان فى الماضى متحدرا .
وعرا ! » .

وعقب الطبيب : « نعم ، بوسع ثلاثة أشخاص أن يسروا
صفا وأحدا ، إذا أردنا ذلك ! » .. ثم عاد أذراجه
فأسهض « حين » من مكانها ، وسحب يدها الماردة حول خراجه
اليسرى ، ثم اتجه إلى جارث ، وقال له : « الآن يا صديقى
المزير ، هلك خراعى اليمنى حتى تتمكن من أن تعتمد بيدك
اليمنى على عصاك ! » .

وعلى هذا النحو مبار ثلاثتهم هابسين خلال الغاية فى صباح
يوم الأحد . وكان يوما بدعا من أيام مكره من الصيف .. وسر
الصيب مصعب القامة بين الشابين الحريحي القلبين . وقد
جمع بينهما ، فى الوقت الذى كان يفصل فيه بينهما ! .. مرة
واحدة توقف فيها « جارث » عن السير ، وأنصت قليلا ، ثم
قال : « يخيل إلى أنتى أسمع خطوات شخص ثالث ، إلى
حانب خطواتك وخطواتى » .. محانه الطبيب مائلا ..
العمه ملأى بصواب الخطوات .. كما أن الغلب ملأى ملاصداء
.. ماذا توقفت عن السير وأصغيت ، فستسمع ما تشاء من
كل مهما : « .. فعاد له حارث » « إذن ، فليمنس فى أسير
دون توقف .. بعد أعاداد مارجرى أن يصرى . حسب كتب
اتأخر عن موعد الطعام ، فى الأيام الفائرة ! » .

الفصل السادس والعشرون

« لسوف يكون من المستحيل على إطلاقاً - يا آنسة جراى - أن أعبر لك يوماً عما أحس به أزاء ما تكلمت من أجله ! » .

وكان جراث يقف في ساحة المكتبة المفتوحة ، وقد سمعت أشعه تسمى الصباح إلى داخل الحجرة . . وكان الهواء مطراً سمير الزهور ، يتردد فيه تغريد العصافير . وقد تحلب عليه في وقتها تلك . . تحت ضياء الشمس - لمحة حديدية من القوة والامل المردهر ، شملت كل حظ في هوائه المشوف . . مد يديه نحو الممرضة « روزمارى » ، في شوق وضعف ، وسكن . . عن رعبه دامقة في التعمير عن التقدير والشكر ، أكثر مما هو عن رجاء ، أن تنفى يدها بيدي تنحيار له . وقال :
« وما أنذا أتصور أنك قصيت عطلة الاسموع في مرج ، وأسائل نفسي : أين ؟ . . ومن تراهم أصدقائك المقيون على مقربة من هنا . . في حين أنك كنت - طيلة الوقت - خالصة بمعصومة المس ، في الحجرة التي تعلقو حجرى . . آه ، إنها لطيفة تعجز الكلمات عن وصفها ! . . ولكن خيرينى : ألم تشعري وأنت تعلمين ذلك ، بأنك تقدمين على شيء من المخادعة ما أنسه حراى ! » .

وكانت حين المسكينة قد شعرت بذلك طيلة الوقت ، ومن ثم أحابت فوراً : « أهل . ومع ذلك فانتنى أخبرتك بأننى لن

أذهب بعيداً عن هنا . . ما أصدقنى الذين يعمون في الحيرة بهما سيمون ومارجرى اللذان اشتركا معى وعاولانى . ولقد كنت صادقته إذ قلت بسى راحله . . أب كنت راحلة حقاً إلى الظلام . . وهو عالم بخلت تمام لاختلاف عن عالم النور ؟ » .
مصاح جراث : « ما أصدق ما نقولين ! . . وما أثق أن تجعلى الناس يدركون ما في ذلك من وحده ووحشة . . وكمن يلوخون وكأنهم قد وصلوا سحاه على مغربة من المرء . قادمين من عالم آخر ، أو هائطين من أحد الكواكب النائية ، يحملون صوته بعض عظماء وروجا ودية . . ثم يرخضون بعد ذلك إلى عالم آخر ، محطيين المرء في عرله عطشه ، في أرض لا أنصار منها ! » .

واقترت الممرضة « روزمارى » أقواله ، وأضافت : « أجل . . ونكاد يملكك المزع مما هو آت ، لأن ابرحل يجعل اطلن أشد حلكه . . والوحدة أشد وحشة ! » . نهتف : « إذن فقد اجتزت هذه التجربة ! . . اتعلمين أننى - بعد قضاءك عطلة الاسموع في « الأرض التي لا أنصار منها » . لن أعود أشعر بأنى مكان موحش ، وسارد في كل مرة . » ان شخصاً عزيزاً مخلصاً كان يقيم هنا ! . . ؟ » . وضحك في ابتهاج الصبى الصغير ، حتى أن كل ما في حبه « جين » من أمومة هب وراح يظالها بأن تقدم على مجهودها الأعظم . . الاوحد . وأخذت تتأمل الفروام السحل في ثيابه السضاء ، وهو متكئ على حافة البائدة في رجولة . وهو ما يرال محضفظا بحمائه ، وإن صار عاجزاً ، في أشد الحاجة إلى ما كان في وسعه أن يمسحه من حنان وأقر . ثم ولت وجهها نحو : . . فحب ذرا . .

وكأنما أوتى هذا المكان الذي أعده لراحته - والذي كان قريبا منه - قوة مغناطيسية كغيلة بان تجذبه إليها .

وظلت هكذا واقفة في الشمس الساطعة ، سائل نفسها أهى جميله ؟ .. وهل فيها من المحاسن ما يستحق تصوير ؟ .. وهل يسام أى رجل من وجه كهذا ينطلق إليه ، ومن دراعين كدراعيهما المسوطيين ؟ .. والهباء ! لقد ضاعت الفرصة ، ولن يقدر لعاشق أن يصدر حكما ! .. لقد كانت هذه البعرة من حق رجل واحد ، وهو وحده الذى يقوى على احتلالها إلى وجهه العاشق . وقد أصبح لا يملك أن يتحدث عن جمالها بصوت الولهاش اقلع . لم يعد يملك أن يحكم على جمالها ، لأنه لا يرى .. لأنه أعمى !

وقالت أخيرا : « هناك كثير من التفاصيل الصغيرة . يا سيد الدمين ، ولكنى أريد - قبل أن تحدث عينا - أن أحرك بأعظم درس تلقينه في الأرض التى لا انصر منها » . ثم مطأت إلى أن اسمعها العاطفى هذا سمعت في صوتها رنسا عميقا قد يبعث في نفسه نكرى حجة لأتعام « المسحة » ، ما يمسك من الكلام . ثم استأنفه في طبقة ثانية من صومها ، طبقة عالته رخيصة ، هى الطبقة الأخيرة من صوتها ، وقد خصت بها نفسها الثانية بوصفها المهرضة روزمارى : « بدو لى - يا سيد الدمين - أننى قد تعلمت أن أهم كيف أن الوحدة التى تعوق الوصف بالنسبة للشخص الواحد ، يمكن أن تتحول إلى نعم من أنواع نوع ، بالنسبة لشخصين . وثبتت أن هناك طروعا قد يصيح الظلام فيها أدع مكان للتعب الأرواح » . علمه أننى

احسنت رجلا مقد مصره . لاسعدي أن يبقى لى مصرى ليكون عينين له عند الحاجة إلى عينين . . . بهما كما لو أثنى كنت ثربه وهو معبر . فاسى ما كنت أرى ثروتى قيمة إلا فى أنها قد تكون ذات نفع له ! . . ولكننى أعلم بأن نور التهار كان حليقا بأن يكون غفرة شيق لى ، لأنه من الأشياء التى لا يمكنه أن يشاطرنى إياها . . . فإذا جن الليل ، فاذنى كنت خليفة بان أتوق إلى أن أقول : « لنطعم الأموار ، ولنحجب ضوء القمر ، ولنجلس معا في الظلمة اللطيفة الناعمة ، التى هى اقوى على أن تربط بيننا من النور ! » .

وبينما كانت جبين تتكلم ، امتقع وجهه جارت وهو ينصت إليها . واختلجت عضلات وجهه . . وفجأة تضرع وجهه بحمرة حساسه بأعب منبت شعره ، وأجفل من الصوت الذى تدفق بهذه العبارات إلى أذنيه . ثم بحسب بيده اليسى الحد البرتقالى الذى يقوده إلى مقعده ، وبعد أن جلس ، قال لحين التى لم يكذ تسمع صوته ، حتى ردت دراعيه إلى حائيهما وانحمت نحوه . « أسها المهرضة روزمارى . . لطيف منك أن تحدثينى عن كل هذه الأفكار الحيلة التى ساورتك في الظلام . ولكنى أتم أن يكون السعيد الذى يحظى بحبك ، أو الذى سيسعده الحظ بأن يحظى به ، في وقاء من تعاسة قتلان البصر . لخير له أن يقيم معك في النور ، من أن يكون حجة تبرر الطريفة الكريمة التى تودين بها أن تؤهل نفسك للحياة في ظلامه . . . الآن ، ما رأتك في أن . . . » . « ساء ! » . وتحسس بيده الخيط البرتقالى ، وسار إلى . . . قعده . . . وإذا ذرا ،

أدركت حين - بجزع واستياء بالفين - مدى ما اقترمت! - ذلك
 لأنها كانت قد نسبت المرمزة « روزمارى » تماما - مسلم
 تسحبها إلا كوسيلة لتبعث في حارب أدراكها لدى ما كان
 لحبها هي - حسب حين - من قيمة بالنسبة لعماه .. كانت
 قد نسبت تماما أن المرمزة « روزمارى » هي الشخصية
 الوحيدة التى عنها هذا الحديث مع « جارت » ، هى التى
 قدمت له دليلا دائما على اهتمامها وومائها .. و .. يا للعزير
 المسكين « جارت » ! .. ويا لجرأة المرمزة « روزمارى »
 وقبحتها ! .. فلا بد أنه قد استغنى من حديثها أنها كانت
 بطارحة الحب ! - وحسب حين - بها محسورة بين البحر
 والنار ، ولم تجد بدا من أن تعبر - بها طمعت عليه من قوة
 الشخصية - وتفوض إلى الأعماق !

وسعت إلى مقعدها ، فى الجانب الآخر من المنضدة ،
 فارتبت عليه وهى تقول لنفسها « أعتقد أن التفكير فيه هو
 الذى جعلنى اتبين ذلك ، على أننا - أيا ورحلى الشاب - قد
 هوننا بها ، فى الوقت الحاضر .. فهو لا يعلم بوجودى هنا ! »
 أما جارت ، فقد اعتدل لموره .. ومرة أخرى ، ثم تخرج
 وجهه عن حطه مما تصوره - فقال متعجلا : « يا آسة حراى ،
 أرجو ألا تحملنى أقوالى على محمل الوقاحة أو التطفل ..
 ولكن هل تعرفين أننى كثيرا ما كنت أسائل نفسى عن وجود
 رجل سعيد .. الرجل الذى تحدثت عنه ! » - فضحكت
 المرمزة روزمارى ، وقالت : « ليس بوسعنا - فى الوقت

فلورنس بلوكى

١٥٣

الحاضر - أن ندعوه رجلا سعيدا ، على الأقل فيها يختص
 بالنسبة لأمكاره بصدى - ولكن قلنى بسر ملك بديه ، لو
 حاول - من ناحيته - أن يصدق ذلك - غير أن شئنا من
 سوء التعامه دب بيننا ، وكان الذنب دسبى وحدى .. وهو
 بابى أى إصلاح ! » - فصاح جارت : « يا له من سخيف ..
 هل أنتما حطيان ! » - فترددت المرمزة روزمارى ، ثم
 قالت : « لا يمكن أن ندعو ما بيننا خطبة بمعنى الكلمة ، ولو أنها
 بلغت ذلك الحد ، إذ أن كلا منا لا يفكر فى أى شخص عدا
 صاحبه ! » .

وكان حارث يعلم أن ثمة غريقتا من الناس يتخذون من
 « الزمالة » و « الملازم » خطوة بهيدية للرواح ، وهى مرحلة
 تعلو على تلك التى درجت عليها الخادمت من « حروح للبرهه »
 مع أصحابهن .. وإن كان التعبيران يدلان على ظنون
 واحدة . مبنيا تعمد « ميليس » - الخادم الحبيبة - إلى
 الخروج مع مناهل القروى - ليسراى فى الدروب المبحورة ،
 وبحوار الأسوار العالية ، أو على الارصفة وفى الحدائق ..
 ترى أن المتى والفتاة فى الطبقة الأخرى ، بمقاسا الوقت معا
 فى قاعات الاستقبال وفى الحمامات ، فى دور اصداقائهم وأقربائهم
 .. ومع ذلك فإن حارث - لسبب لم يكن بعلبه - لم يفكر مرة
 فى أن المرمزة « روزمارى » قد تكون من طبقة غير طبقته .
 فجعل مياها الحمار السخيف - الذى امتشعر نحو « بقت
 عميق - قد انحلز من طبقة دوس طبقة ها ، أو بل لأحد طبقة
 مهنتها تحول دون إتمام خطبة نهائيه ، وأن سمحت « التعامه » .

ومهما تكن الحال ، ما ان الواقع المائل لامله هو ان هذه السيدة الصغيرة ، البطيخة ، الماهرة ، ذات القلب الرحيم - التي تدلب الكثير في خدمته - لها صاحب « رجل شلب » ، وادى الاعتراف بهذا الواقع إلى تخلص عقل « جارت » من عبء ثقيل . فقد خشي - في المدة الأخيرة - الا يكون أميناً بالمسنة إليها وإلى نفسه . إذ أصبحت ضرورية له ، بل لازمه لزوم جوهرية ، واستطاعت مراعاة وتمايها من كسب مكانه وطده في غرمانه بالعصيص . وكانت علاقتهما تنقسم دائما عطفية . وزمالتها وثيقة مستهرة .

ولقد احترق الدكتور روب - من عهد قريب - هذه الرابطة بخطي ثقيلة ماقترح انداءه . . وكان « جارت » قد احتلى به ، وعكف على الانساء به يحسون منه . . مما ترك أن الممرضة « رورمري » قد أصبحت عتصرا لا عني عسه بسعادته وراحته . معربا عن جرحه كلما فكر في أنها قد تستدعي يوما ما من رئيسها . وقد قال له جارت : « أحشى الا يسمح نظامهم لأية ممرضة بأن تستمر إلى احل غير مسمى مع مريض واحد . ولكن ، لعل السير دريك يستطيع اقناعهم باستثناء هذه الحالة ! » . فكان رد الدكتور روب : « فلنذهب رئيسنا إلى الجحيم ، ودعك من سير دريك . . إذا أردت سقاءها دائما - فثق من قولها . . مزوجها ما بنى وان اصمن انها ستقرب بذلك » . . وهكذا داس الدكتور روب - جحدا دعم نطه بالمسامير ، على اصابع قدمي الموقف العارفين !

ولقد حاول جارت أن يسرع هذا الانفراج من محيلته ، ولكنه احمق . . وبدا يلهم من الممرضة رورمري أفكارا ومشروعات لمصلحة . مجاور بعض الواجبات التي تعرضها مهنتها بغير ، وكانها كانت تله حوافر من اهتمام عاطفي . وراح يعطي العنبر عن راسه مرارا . . تحت الدكتور روب بالسخط ، وباعفا نفسه بانه حذر معرور . . ومع ذلك فقد ظل يعاوده - فخرارا في حضور الممرضة رورمري - جو سحري من لرعايه المنبعثة من الحب . . ثم تعرض ذات ليلة لإغواء شديد ، فضاخله لم . بعد سبع سنين . لماذا لا يميل بمشيحة الدكتور روب ؟ لم لا يبروح هذه الممرضة الساحرة ، لتقديره ، لوميه ، حتى يسمي دائما محواره في عباة . . . بها لم تعتبره « مجرد غلام » . . ومادى يستطيع أن يقدم إليها . . قصر ، حبلا ، وكل اسباب الرغائية ، وثروة طائلة ، وزمالة بدأ انها مرتاحة إليها . . ريش : لاغواء ، بعد إلى اعماقه عند هذا الحد ، إذ همس لنفسه : « وسيتبقى صوتها هو صوت حين دائما . . انك لم تر قط وجه الممرضة ، ولن تراها ، وبوسطك ان تتسبب الصوت إلى الوحة والقوام اللذين تعدهما . . تستطيع أن تسرح الممرضة الصغيرة ، وان تطل على حيك لجين ! » . . وعند ذلك صرح « جارت » في هلع قائلا : « اتمد عنى يا شيطان » . وبيع بذلك المعركة ضد الاغواء ! .



غير أن عقله ظل مضطربا ، خشعه ! يكون - سمعته من الاسباب - قد ازعج طمانينة قلبها

ومع ذلك فقد استشعر عيرة لادعه - لا مبرر لها - عندما ورد ذكر الشاب الذي كانت مشغوفة به .. وما أشبه ما لاح عليها من شقاء بسبب فناها ، بما كان هو فيه من شقاء .. بسبب حين ! ..

وتولاه حامر مفاجيء مان يتخلص بهائيا من هذه العكرة التي أصححت - في المدة الأخيرة - تقوم في ذهنه كحال سبها .. ويأبى يؤسس علاقتها الودية على أساس اقوى واوثق مما هي عليه الآن ، وذلك بان يكون صريحا معها - صراحة تامه - في هذا السدد . لذلك لم يلبث أن قال لها ، وقد انحنى نحوها ، وعلى وجهه تلك الابتسامة المرحية ذات الطابع لصياني ، التي لم تقو كثير من النساء على مقاومتها . وقال لها : « يا أنسة جراي .. حسن منك أن تحدثيني عن نفسك . ومع اننى اعترف بسى شعرت بعيره - لامرر لها - نحو ذلك الفتى السعد الذى يملك قلبك ، إلا انى مسرور لوجوده ، لانا جميعا نظل محس بنقص ما ، حتى ندخل حائفا الفكرة العجيبة .. اعنى « المرأة الوحيدة » ، أو « الرجل الاوحد » . وإنى لأود أن أخبرك بأمر يمسنى وإياك يا صديقتى العزيزة اللطيفة ولكنى لن اعمل ، حتى تصمى بك فى مدى . لا تبتك فى مريد من الألفة .. إنك - وقد ردت « الأرض التي لا احار منها » - تقدرين تماما قيمة تماسك اليدين هنا ! » .

ومد جارت يده فوق المنضدة ، وقد توترت حركاتها كلها ، فى انتظار ما هو آت .. ما حانته المرساة روزمارى وصوتها

يرتعش قليلا . « ليس يوسعى ان اعمل ذلك يا سيد دالين . فقد أصيبت يداى بحروق .. آه ، ليست خطيرة .. لا تبد مهوما إلى هذا الحد ، مان الأمر لم يعد لهاب ثقاب .. نعم حين كنت عمية .. والآن ، خبرنى بالشيء الذى يمسك ويمسنى ! » .. ما تردد حارث يده وعقدها مع الأخرى على ركبته ، ثم استلقى فى مقعده ، ورفع وجهه إلى اعلى . فإذا عليه امارات الطهر والنقاء ، المتولدة عن ابتهاج روح سميت مسوق تجارب الطبيعة الأرضية ، ما غرورقت عينسا " حين " بالدموع وهى تتامله ، إذ تحمب احسه إياها من قومه لده ساعمتها رياضة النفس على احتفال العذاب !

وبدا حديثه فى حموت مولدا وجهه عنها « خبرنى ، أهو .. دو قومه كبيرة لديك ؟ » . ولم تقم عيب « حين » على ممارقه الوجه الحبيب ، وانحسم الذى اصططح فى المقعد . واهتزت بمواطف جين فى صوت المرساة روزمارى ، وهى تجيب : « انه كل شيء لى فى العالم ! » . مسالها : « وهل يحك قدر ما تستحقين من حب ؟ » . فأنصت « حين » والصقت شفتيها بالمنصدة ، حيث كانت يده المبسوطة إليها قد استقرت واجابت المرساة روزمارى بأسى « كلا ، والسفاه ! .. أخشى ان اكون قد فقدت حبه ، بفضل عدم اطمئنانى إليه ، وسبب ذنى نحوه ! » .

وهنا قال جارت : « أبدا ! .. إن الحب لا يمكن أن يتلاشى »

.. وقد يظهر - في فترات - كأنه قد مات ودفن ، ولكن صباح
القيامة لن يلبث أن يبرز ، وإن ذاك .. ينهض الحب من
رقدته ! .. إن الحب الجريح الحزن مثل عصوور مس-
الجاحين ، فهو لا يستطيع أن يطير ، ولا يستطيع أن يرتفع ،
وإنما هو سحبل على الأرض ، مشقشقا في قلق .. ولكن كل
هرة من حجاجه سقط عني مربدا من العطراب . ولكن يحطه
يفضيها تحت أشعة الشمس بحمف ريشه الدقيق . وسرعان
ما يحلق طائرا إلى قمة الشجرة ، وهو أفضل حالا من ذي
قبل بفصل الماء الذي غسله ، والذي بدا أنه قد حرمه من
القدرة على الطيران ! »

منهتت الممرضة روزماري : « آواه ، ليت محبوبي يقوى
عسى تحميف حجاجه ! .. ولكني أحتي أن أكون قد فعلت به
ما هو أدهى من انتال حجاجه ، لقد قلمت ريشه . بل أكثر
من ذلك ، لقد كسرت حجاجه ! » مسالها حدث في سرعى بالغ
« وهل يدرك أنك تشعيرين بآنك مذنبية إلى هذا الحد ؟ »
فأجابته الممرضة روزماري : « كلا .. إنه لن شيع لي فرصة
للإيضاح ، ولا محالا لأسته كيف بظلم نفسه وأبي . بالله
التي منشئت بها عن مسلكتي نحوه ! » مهتف « حارث »
في عطف وإشفاق : « يا الفتاة المسكينة ! » ثم أردف : « لقد
كانت بحرسى بأساة قاسية ، حتى أتم آسي على أولئك الدم
لا تمتد ألام جبهه طريق مهددة ، ولكن إليك نمبحتي با أنسسية
حراي ، فاعلمي بها : أعني أنه باعتراف كامل لا نحصى
عنه شيئا ، وأخبريه تفصيلا بكل ما حدث .. مان أي رجل

صادق الحب - لا بد أن صادق إصباحك - ويتمبله - ويحمد
لحظ السدي وأناه به . على أنني أهل ألا يتكلم مع بلى « ما
كالإعصار - ليعترعك مى ! »

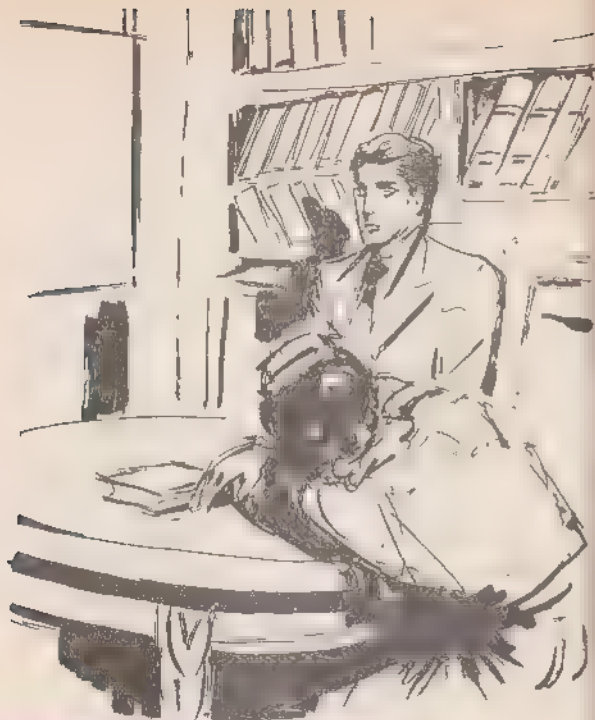
وانتهت حين ضلال الديموع ، ثم قتلت الممرضة
روزماري : « إذا أرادني ودعاني ، يا سيد دالين ، فلن أتردد
لحظه في الإسراع إليه ! » فقال جارث : « كم أمقت اليوم الذي
تأقننى فيه قائله : « إني مضطرة للرحيل » .. هل تعلمين
بشي أفول لى - في بعض الأحيان - إنك قد بذلت الكثير
من أجلي . وإنك قد اصحبت ذات مكانه كبيره في نفسى .. ولقد
مربت أهداها - وبوسمى أن أكلك الآن مصراحة - بأنه قد
برأى لى أن شه طريقه واصحه حدا لمحاولة استنقاذك على
الدوام .. فأب حذرده أعظم حذاره بكل ما بملك أى رجل من
هبات .. ما يستطيع أن يوم من ماء ، ولما كنت لا أستطيع أن
أقدم لشخص بهذه الجدارة - ما بقل عن خير ما أملك ،
ماي أريد أن أحرك بأنى أبوى عرش قلمى - إلى الأبد -
وحها واحد حسا . أما الوحوه الأخرى فقد انتهت مع
الانام . فأصبح من المبر على - في عاى - أن أتذكر بحلا
الوحوه الحبيبة العديدة التي رسمتها وأعصت بها .. كلها
قد طمست ولم تعد واضحة ، وإن قباينت نسب الانطماس .
أما هذا الوحوه فإنه يرداد وضوحا كذا .. بل لا يسب
له . وسبطل معى طلك عمرى ، كم .. أه فر عوى . »

المرأة التي أحب ! .. لقد ظلت عن حبيبك إنه قد « أحبك » ،
مرددة في تأكيد بقاء حبه للآن .. أما أنا فلن أقول عن محبوبتي
إنها أحببت أو أنها تحب .. وذلك لأنها ما أحبتي قط في حيران
حتى لها بلغ المنع الذي لا أجده عنده ميبا أمك « حيرا » آخر
— غير الذي منعها — لأقدمه لامرأة أخرى ! .. ماذا جعلت
نفسى — بدوام غير لائقة ، أو رغبات أنانية — على أن أسأل
امراه أخرى أن تقتلني زوجا ، مانئي بذلك أسئ إلى هذه الأخرى
إساءة بالغة ، لأن وجهها الذي لا أراه ، لن يكون ذا قيمة تذكر
لدى ، بل سيمتلي دائما ذلك الوجه الواحد ، والوحيد ، هو الذي
يمير ظلمتى .. أما صوت التي لم أر وجهها ، سيكون عريزا
في مطاق صيقل ، لأنه يذكرنى بصوت المرأة التي أحسها ..
يا صديقتي العزيزة ، إذا قدر لك أن تصلني من احلى ، ماطلنى
الا أحط إلى درجة أن أعرض على امرأة أخرى القشور ...
كما ينبغي أن يوصف الزواج منى ! »

فقلت له الممرضة روزمارى : « ولكن هى .. هى ، تلك
التي جعلت الزواج منك مجرد قشور لغيرها .. تلك التي
كان يوسعها أن تحطى بأسمى الثمار .. الثمار الصبيحة
المعتلة .. ؟ » . فقال جارث : « إنها رفضته .. لم تكن الثمار
في نظرها فاضحة ولا مظللة بدرجة كافية ولم تكن الثمار لائقة
بها .. أوام يا إلهى ! .. يا فتاتى الصغيره ! .. ثم تقدرين أن
يظهر المرء غير كفه للمرأة التي يحبها ؟ » ثم أخفى وجهه في
يديه وأرسل أنينا موحما .. وساد حجرة المكتبة صمت تام ..

ومحاة - شرع جارث يتكلم بصوت حامت ، سريع ، دون
أن يرفع رأسه : « وآآ .. الآن أحس وجودها ، كما ظلت
لبراند .. وما شعرت به أكثر وضوحا مما هو الآن إلا في مرة
واحدة وقد كنت وحدا .. أوام .. ما أتسه حراى ، لا تتحركى ! ..
لا ترحى مكائك ، بل ألقى سطرة في الحجرة ، وحبرينى هل
سريع شيئا ؟ .. انظرى إلى النافذة ! انظرى إلى الباب ! ..
انحنى وانظرى خلف الستار ، فليس يوسمى أن اصدق أننا
وحيدان .. لن اصدق ذلك ! .. أنتى مخدوع وأنا أعمى ،
ومع ذلك .. فأنا غير واهم ، إذ أنتى أحس بوجود المرأة التي
أحبها .. ان عيسها مصويشان إلى ، في اثنياق وعطف وأسى
.. إن حرتها لمصاي عظيم إلى حد أننى أكاد أحس به يحتوينى
كما كنت أحلم بأن حبها يحتوينى ! .. أوام يا إلهى ! إنها قريبة
مى .. ان هذا لمظلم ، لأننى لا أريدها بقرمى .. بل أؤثر
أن بعصل بيننا ألف ميل .. ومع ذلك فأننى أوقن بأنه لا تفصل
بيننا سوى ياردات ! .. أهى رؤيا روحانية ، أم أنها حقيقة
واقعية ؟ .. أم ترأتى ساجن ! .. أنك لن تكذبى على ،
يا آنسة جراى .. وما من إفراء ، أو وشوة ، أو حيلة لمينة
تقوى على دفعك إلى خدامى في هذا الصدد .. ترك يا آنسة
حراى ، انظرى حولك وأصدقنى القول ، هل نحن
وحيدان ؟ .. وإذا لم تكن وحيدتين فمر هو الشخص الثالث
الذى يوحد بالحجرة ، الآن سواك وسواى ؟ »

وكانت حين - طيلة الوقت - جالسه ودراعها معقودتان فوق المنصده ، وعيها الملهوستان تحدقان في رأس جيارث الملقى .. علما ابدى امييه بان تكون على الف ميل بعيدا منه ، دفنت وجهها في ثنايا دراعيهها .. فقد كانت قريبة جدا منه بحيث انه لو مد يده اليه لاس حلقا شمرها الكثيره الباعه .. غير ان جيارث لم يرفع رأسه ، وظلت « حس » صامته ساكنة ، ووجهها بين دراعيهها .. ثم ساد حجرة المكتبة سكون عميق سمع دقائق اعصا اسنله حارب ورجاهه ... وما لنت « حين » ان رفعت رأسها ، واحسانته المرسه روزماري : « ليس في الحجرة احدا يا سيد دالمين سواك وانا ! » .



غير ان حارب ، لم يرفع امه وظل داحم صدمه ساكنه

ووجهه بين دراعيهها

ما سيصطر إلى معانته في المعنى . لو أنها حارت بحق البقاء بجانبه دوايما . وما لبثت المريضة روزماري أن قالت : « وعدا ذلك يا سيد دالمين ، متى رافقت السير دريك في السيارة إلى محطة بعد ظهر أمس ، وقد شعرت بكل ما ذكرته أمت الآن . وما سبق لي أن أحسست الارتباك العصبي أثناء سير السيارة ، ولكنني تحققت بالأمس مدى ما يترعب علي هذه الحبيبة . . . فالراكب يظل يرفق الطريق دون أن يشعر ، ويعيش المسافر . ويتدر السرعة ، ويعرف مرمى كل حركة لعجلة القيادة . . . ولذلك مفعما نخرج في السيارة معا ، يجب أن نحمل عشرين تحلوآن لك كل هذا . »

واجابها حارث في صوته إنشمار يعرفان الحمل : « ما أطيب قلبك ! . . وهل رأيت السير دريك عند سفرة ؟ » .

— كلا . . . فاني لم أر السير دريك طوال هذه وجوده ، وإيما ودعته ، وشعرت بمقصد هذه القوة . الطيبة — عندما تركتني في السيارة . . . منقبت حليسة حتى سمعت صوت القطار عنديا تحرك ، وانذامه مسرعا ، حتى ابتعد . . .

— أو لم تشع ؟ شئمة لا مركبة مخنة وبرحل دون أن ترى وجهه ؟

وابتسمت جين ، بينما قالت المريضة روزماري : « نعم ، لقد كان ذلك شامقا على نفسي . . . غير أنني كنت قد عقدت لعزم علم أن أحنا هذه التحربة القاسية . . . فقال حارث : « أنها شعرت في الإنسان شعورا مدهيا رهيبا . . . السير

كذلك ؟ » . وكان جوابها : « أجل ، أنها تكاد تجعل المرء يفتنى لو أن صاحبه لم يات ! » . « مبدد » حارث في شعور عميق بالرمي والارتياب ، مشعر انقب لحرى — الذي أبت صاحبه أن ترمع عن عنها المعصاة حتى الساعة المحددة — بحزاء طيب في هذه الزفرة !

واساءت حارث حديثه قائلا : « عندما أطلع جميع العراف في الأرض التي لا إيصار فيها » — في المرة التالية — سأقول : « ها — وقف من أحلى شخص عربر ! » . « منقبت المريضة روزماري صاحكه : « وما أفسى وحنان الطعام . . . ألا براها تحربة مخنية عظيمة ؟ » .

— حقا . . . وقد فأنى أن أثني إلى أنك قد أصبحت معه بكل هذه التواحي الآن . وما كان في استطاعتي قبل ذلك أن أبيع لك الدامع الذي دعاني إلى أن أناول الطعام بمعردى . . . فأننت تعلمين كيف يتصيد الأعمى طعامه ؟

— نعم . . . وكثيرا ما يصمم الطعام على الاختفاء من المرء ، ثم يعود مخافا ، دون توقع . . . ولكنني يا سيد دالمين قد توصلت إلى عدة أساليب تساعد كثيرا في ذلك ، وتجعل المهمة أكثر سهولة . فإذا قبلت أن تتناول وجباتك معي ، على مأددة صغيرة ، فسوف ترى كيف تغلج هذه الأساليب . . . وعندما تستقبل ضيوفا ، فدعني — إذا قدر لي أن أبقى هنا — أحلّس لم يسارك حذر ، فسوف لم يرد . . . دون أن مستبين أحد أي تدخل مني .

مقال لها جازت : « شكرا لك .. ان قلبي ليغوص بالاغتراف لك بالجميل . لكم اذكر بعنه سحيقه كنت تلعبها في (أوفردين) . أثناء تناول الحلوى ، في حفلاتنا الخاصه المرحه ، في صياحه اندومه ميلدرم . اتعزيتها لا . لا بد انك سمعت عنها ، على السير ذريك يرمها ، وقد دعه مره فخص بعبثه - وم يذكر له سماء في دعوىه التيمونييه ، مطن السير ذريك انه مدعو لفحص الدوقه ، والفي ميعادا هاما ، وسارع إليها مورا .. ومن حسن الحظ انها كانت تقيم - وفند - في دارها بلندن . وبو امب - كانت سرود في دعوتها لمحض النساء في (أومردين) .. ولدى وصول براند . ولم يكن في ذلك الوقت مد مع - سوره - لكي يبيع بها - ان - ولز انه كان في طريقه إليها - وكان للوقت قيمه كسره في نظره . - لدى وصوله إذا به يرى الدوقه في اثم صحنه وقوه ، ولكنها في ظق حنومي .. وإذا بالسعاء « تومي » يحبس على ارجوحته مكعسا ، لا يكاد يفتح سوى عين واحد ، ولا يلط سوى كلمات ناسه ، في صوت واهن .

« واعنفد ان « براند » احتيل الموقف ، وقام بالهيه بحير مسلك طلى ، مفاى حراره « تومي » من تحت حفاچه ، مبها راح « تومي » يعلن مفاى الحراره ، ثم كسره أخيرا .. وقد مع « براند » تعذيبه سحبه اللور المنقوعه في النيب . وهم الطعام الوحيد الذى كان تومي تنوى إليه في ذلك اليوم - ثم كتب له مذكره العلاج ، وامدر تعليمات معصله ، كما أكد للدوقه بان لديه الكثير من مفايس الحراره غير الذى كسر .. ولما

مبين بان ذلك لم يكن سبب ههنا . فقد أقسمها بان قليلا من الزئبق قد مفيد المريض ، وهو - في هذه الحالات - يقدم في مدح ' حيايا . ثم شرر بجمع سطايا الرجح امحطمه - يكن عديه .. من تحت محتم - تومي « ووضعه جيبا إلى جنب للأكد من عدم إعمال شيء منها . وساول فبسته غير ان اندومه عرس عن رعسها في جعب حطام مفاى الحراره قبل رجيسل « براند » ، حتى لا تضطر إلى استدعائه مره أخرى . ولذا اقتصر « براند » ، بيب رحف رئيس الحتم على يديه وبركتيه ، ووفعت الدومه فوق راسه تشير إلى كل قطع من الرجح بعصاها السوداء .. واعجب هذا المنظر انبعاث المريض ، ماربى محله الذى كان يرممه . ومنع عيبه من ، وامضى برسلا وبلا من شعيرات اللادعه عن ماضى وحاصر ومستقبل الحادم المسكين ! مكنت الدوقه بكى مرجا ، وأملت البرامه لنى بداها الطائر العزيز .. ثم سحب للدكور ذريك بالانصراف ، كما وعدته بان تتصل به تيمونيا قبل المساء ، عرمع له تفريرا عن صحنه السمع . وامضى على يدها وانصرف ..

« وعظما قدمت الأنسة شامبون بمد ذلك بقليل ، وعلمت بما حدث - وهى كما قد تطمين انه اح الدوقه ، وتقسم في دارها عندا تأتي إلى المدينه - فضمت اشد الغضب . فقد كانت والسير ذريك صديق جميع من عهد الصبا ، وتعت ان قليلا من الناس قد بلغوا من المكانه أو القوه .. به هله لان يكونوا من مرصاه .. وكانت في ذلك انحن شديده لاهام

بها يكتب وما يلقي من محاضرات . وبلغ بها الأمر أنها كانت
حقق إذا استدعاه أحد أفراد الأسرة لما كنه لعبادته في قصره .
عما أن علمت بطلية الأمر ، حتى خلعت قفازيها ، ولطمت بهما
« تومي » بشدة . وكانت الدوقة قد استقلت مركبها وسارعت
بنفسها إلى الصندلية سدكره السير دريك . ومن ثم فقد تلقى
« يوسى » اللطافات بينما وقف كبحر الحدم والساعى بشهاد
ذلك في سرور مكتوم . مما دفع السعاء إلى حالة عصية ، فأخذ
مركبها وسارح على محضه صارخا بعض الصوت في وجه
الآنسة شامبور . حتى ألقى من تأثير عصية اللور المزووجة
بالسند . . . ولقد قصت الآنسة شامبيون على هذا الحادث ،
وأسمعت أنها اضطرت إلى أن تذهب بنفسها إلى الدكتور
« براند » معتذرة عما حدث . وأنه كان رفعا في ثلثي أصدارها .
« قد أضررت بأنه سمعت إلى الدوقة مطالبا بعش من حنفيها
أعقابا ، على أن يعث بالمطعم — بمجرد استلامه — إلى حديقة
الحيوان .

« ويسما كات الآنسة « شامبور » معه في مكتبته . ولم تهدأ
بعد من سورة عصيبها ، إذا محرس الطبيب وير ، وإذا بالدوقة
المريرة تنكلم في صوت بحكي شائعة المصائب . معدمة
للدكتور دريك تقريرا مسبقا . محاولا الآنسة شامبور أن
تمسك بوق التليفون ، لتسمع الدوقة كبرا من التفرغ العاسي .
غير أن الدكتور حال بينها وبين ذلك . وصدا بدنها شلدا . ثم
ختم حديثه مع الدوقة بكلمات رفيعة . . وبعد ذلك كتبت له
الدوقة تسالعه عما ظلم من أعقاب ، فأجابها السير دريك بحظاظ

لطيف . ذكرا أن طرافه علاج طائر بديع ونكي — كذلك
البعاء — كانت تنوي كل ما يبله من جهد ووقت . ثم ومع
الرماله كالاسي : « طبيب شرف » في الحالات العادية للسير
توماس يعني البيفاء . وما كان أشد سرور الدوقة بهذا
الحضرت . حتى سد أظلمت عليه كل أصدائها . ولم يترك
سببا لما كلى يتأنهم من صحك عنيف . . وتكرمت بعد ذلك
بدعوة سره مرند إلى حفل من حفلاته انراعه حقا ! .

وكانت الممرضة « روزمري » تضحك بفراط يكاد يكون
مستريا . مردد « حارث » قائلا . « مصه أخرى عن سبب
ما دبت معصه بقصصه من عادته أن يصيح مكلمات بابيه
بوجهها إلى الدوقة ، التي كست شديدا الاعصاب بذلك . وفي
أحد الأيام ، كان حائها موق أرحوحه في السهو لأسفل لقصر
« أوغرين » ، بجوار الباب الكبير المؤدى إلى الشرفة . .
وهبطت الدوقة من لدور الأعلى ، وعلى رأسها منعة لحدقة ،
وقد حملت في ذراعها سلة ، في طريقها إلى قسم الزهور
محدثتها . . . وكان ثمة عدد منا جالسا في جنبات الباب ، مهيب
صديق يدعى رونى أنجرام من مقعد عميق ، والقي سيجارته
سندا . ومع ألعاب الدوقة تلك الأثناء ، كانت هي قد
مرحت على منصدة ، ماخذه عن الحفس والقفازين التي كانت
تستخدمها في اقتطاف الزهور . ومن ثم طل روي واقفا إلى
حائط الباب ، مسكاً به . . في حين أخذ البيفاء بترافض
صاعدا هابط فوق محضه في الحائط
طال محث الدوقة في الأراج ، مال « السعاء برأيه فحده على

ناحية ، وهتف في لهجه وقحة - « هيا اسرعى اينها العماد
المعجور ! » .. وكان رونى الذى جيل على اخلاق سابيه
وسى بر عاد دق اذاب السلوك - ما برل مسكنا باللباب ،
فلتقت إلى الببغاء ، فى استنكار ، وقال له : « تومى .. يجب
ان نعمل ، محايث .. هيا كان من السماء إلا ان وضع مخلبه
فوق منقاره ، واحابه مغمما فى خشونة : « اتقول لها هذا فى
مقابل ما سنحصل عليه منها ؟ » . ويوسك ان تتصورى
كيف رخصا نطقه .. ولا بد انه تعلم هذه الحيلة فى « غنبر »
ولكن وقمها كان مضحكا للعاية .

« وقد اعتدنا - بعد هذه لفكاهة - ان نطلب إلى الدوقة
ان تتركنا - عند خروجها إلى الحديقة وهى بردى قممها
الحديقة - وبحر بنمها ، حتى شحد تومى قريحته ويطلق
صياحاته الوقحة مستعجلا إياها ، فتعالى الأصوات - له
يا ن يقول « فخايتك » ، فلم يكن تومى يخيب رجاءهم مرة .
وأؤكد اننى رأيت السماء يعبر معيه وهو يسرق النظر من
بين مخالبه : » .

وسكت « جارت » لحظة ، ثم استطرد قائلا : « وفى أحد
الأيام كان معنا شخص أصغر على ان « تومى » كان يعمل كل
ذلك آتيا . دون إدراك .. وأنه سيردد الكلمات عنها ردا على
أيه عبارة أو ملاحظته تدنى له . وكان من أولئك الذين يحلو
لهم دائما إفساد طراوة أية واقعة بايجاد تفسير لها - أو
بالتشكك فى صحتها ، أو بالمحاولة معها . فمعرض عليه كثيرون

الرهان ، متحداهم جميعا ليثبت صحة رايه .. وقد اثبتت
حساسه الدوقة لذلك ، فوضعت على رأسها قبعة الحديقة ،
واحسنا جميعا فى الهوى الأسفل . وكان « تومى » فوق ارجوحته
رصنا ، وفى أبهى حمرة . وبين صمت الحبيس ، هبطت
الدوقة السلم - وعليها قعة الحديقة - ثم تقدم ذلك الرجل
المتشكك وفتح الباب ، ووقف مقربا برور الدوقة ، بينما كانت
الدوقة تهتز لهفة ، وقد انتجت حائسا متظهرة بالبحث عن
المقص .

« ولم يحدث شيء لفترة طويلة ، كان السماء - حلالها -
سريح موى ارجوحته ، وهو يقيقه لمسه نهكيا ، ثم صبت
وسكر فى مكانه . وثبت عسيه على الدوقة - وهى تنقب فى
أدراج المنصدة وطهرها بحوء - وصاح بها بلهجة المعتادة :
« هيا أيتها الفتاة العجوز ! » .. مصاح الرجل المتشكك قائلا :
« تومى .. يجب ان تقول اينها الدوقة العريضة » . وفى غمرة
السكون الذى ساد القوم ، رجع تومى مخلبه . وقبل ان يصل
إلى منقاره رده ثانية ، ثم مال إلى الامام نحو الرجل ، وصاح
به : « لتفجر عينا ! » .. ثم اطلق فى قهقهة قاصعة .. وعلا
بما الضحك والتصفيق ، حتى لقد حشمت ان تصاب الدوقة
باحتيق لتعسر انفاسها ، لفرط الضحك . وانسحب الرجل
إلى مقعد كبير معد ، وحطى صائتا ، ولكن .. أية قصص
رحف مسح للندى على مائدة العشاء ! .. لكم أحب الحديث
عن تلك الأوقات البهيجة ! .. لكم تبدو وكان الزمن تهادم
عليها ، وإن مررنا بعصل يبنى ويهدم .. »

وأطرق « جارت » برهة ، ثم قال : « وجدت لو أنك عرفت لومردين » . أن الدوقة تقيم « حملات ممتازة » لا مثل لها ، يلتقى فيها كل الأصدقاء القوامين لأن يكونوا معا ، يتمتعون بمناحر الطعام ، وبطيب المقام ، وبمعمولون كل ما يحلو لهم . سيما تكون الدوقة في ذهاب وإياب ، تعتمد حيواناتها وطيورها المحببة المفعوعة ، وهي تغدق سبلا من الرقة والكرم أينما ذهبت . ولقد كانت - في آخر مرة كنت هناك - تطلق في ماعة الاستقبال بعد العشاء - في كل ليلة - ستة رامين (خرايع) . وهي حيوانات مصرية بطيئة ، مضحكة ، يشبه « الكادرو » ولكنها صغيرة الحجم . مكاتب هذه الحيوانات تقمر في كل مكان على ساقها الخلفيتين ، محيف بعض السعداء إلى حد الحبور ، إذ تختبئ تحت ملابسهم ، مما يؤدي إلى سقوط بعض الحدم باقداح القهوة . وكان آخر ما حلته من أمريكا الحسوبة ، طائر من نوع « التوكس » . وهو طائر له شعار كقرن المور ، وسبب كصوت يبعثه عجوز حسنة . ولكن « بومي » - السماء الزمررى - ظل صاحب الحظوة الأولى . وحذر بي أن أقول أنه ذكي جدا ويعرف أكثر مما يحظر مالك . « وفي لومردين عندما أن طبع بالربيب لعنه مضحكة أثناء تناول الحلوى . . كان على كل شخص أن يصح خمس حبات من الزبيب حول طبقه ، على مسافات متفاوتة ، ثم كنا نغضب عيوننا ، ونصابق في تصيد الحبات بالشوكة ، فمن تمكن من تصيد والتهام الحبات الخمس - قبل سواه - كان هو المائر . ولم تكن الدوقة تشارك هذه اللعبة ، بل كانت تسر بأن تراس التحكيم ، لمصحح في كل من أراد العشر بأن

بحاول متح عيبه . . وكنت والآنسة شامبون وهي كمت تعلمين اسمه آح الدوقة - طبع بالربيب - وكنا نمر مع بالأسبقية في كل المرات تقريبا ! » .

فأجابته المهرضة روزماري : « أجل ، أنني أعرف هذه اللعبة . وقد مرت عذاكرى حينما كنت أتناول الطعام بمعسونة العنبين » . . تهتف جارت : « آه ، لو أنني علمت لما سمحت لك بدتك » . فقالت المهرضة روزماري : « كنت أدرك هذا . ولذلك قمت بالتجربة في عطلة الأسبوع » .

وبد « حشرت » بده قدح الشاي لعملاء ثانية ، ثم مال نحوها متباهية ، حمى سر لها بموله . « والآن ، أستطيع أن أتخلص فاستك بأحدى تجارتي الصغيرة . فقد أعدت دائما أن أحشي وعود دباب في الأشياء . وكنت - منذ طفولتي - في مسرع من أن أبتلع دبابه في الطعام ، دون أن أظن . فلما بلغت السادسة من عمري ، سمعت إحدى رشايات أمي تقول : « لا بد للإنسان من أن يبتلع دبابه في كل عام » . وأضامت أنها قد أتلمع دبابه ، وهي في طريقها لمرارتنا . معلقت هذه العكرة العظيمة بدهي الصغر - بعد ذلك - واعتقدت أن أحص بالارتفاع كلها وقع لي شيء من هذا ، حتى لا أذكر أنني سارعت بالتهام لقمة من الحبز - مرة - إذ رأيت مساقين وحنابين عالقة بها ، شاعرا بأن الانتلاع أسهل من المص ، وأبى بذلك ساعى من هذا الواهب اثني عشر شهرا . ولكنني اضطررت لأن أحرى بطول أشرفه وعرضها . وقد شددت قصتي ، حتى مدر لي أن أتلعها . وعندك الكثير ريب

فكرة الفجائية السنوية ، تولاى خوف معالى منه ، من ان اطلع
دعابة عفوا . ولا اذكر اثنى قبلت اكل شرائع الحبر المكسوه
بالمرددين . في المطاعم - دون ان اتمع النظر تحت السردين ،
سحفا عن ديانة ، برعم افنى كنت اشعر - وانا ارمع السردين
ناسى كالمحور التى تنظر دائما تحت فراشها ، خشية ان يكون
ثمة لص ، آه ، لكم عذبتنى هذه المفكرة الصقاء الماميه .
منذ اصابى ! فليس يوسى ان اقول : « واثق اسد يا سمور
من عدم وجود ديانة في الحساء » .. ليجبنى مسمون . « كلا
ياسيدى .. لا ديانة هناك ياسيدى » ، ثم يصع يده على ميه
ويسعل ، فلا أقوى بعد ذلك على سؤاله .

فانحنت الممرضة روزمارى في حلتها ، ووسمت :
الشأى بحيث يستطيع تناولها بيده بسهولة ، بمجرد ان ينحس
حافة الطبق . وقالت له في لحنه من تعمه : « تناول طعامك
دائما معى ، واعدك بان ار تكور ثمة ذنابه في أى شئ .
الا تطمئن الى عيسى ؟ » . فاستسم « حارث » في شكر واغتباط .
وقال : « بل اثق في عيبك الرحمتين الأمينتين في كل شئ ..
آه ، ان هذا يذكرنى مانى اريد ان اعيد اليها مهمة لا مكنتى
ان اتمس عليها احدا .. هل بدأ نور العسق يا أسه حراى .
أو ما تزار امانا ساعة من النهار ؟ » . ماطلت الممرضة
" روزمارى " حلال الفامدة ، ثم استشارت ساعتها ، وقالت :
" لقد ذكرنا في تناول الشأى .. إذ أننا عذنا من فزهننا جانمين .
ر الساعة لم تطلع الحاميه بعد ، والاصيل ساطع النور .
والشمس تغرب في السابعة والنصف .

وإذا ذاك قال جارث : « إذن فالتور كافه .. هل فرعت
من مدحك ؟ ستكون الشمس ساطعه على البامدة العربية في
المرسم . هل تعرفين مرسى في أعلى الدار ؟ » . لقد أحضرت
الصور النحطيطيه لليدى براند من هناك . واعتقد أنك لاحظت
اكاداسا من لوحات الرسم في أركان القاعة ، بعضها معبر
استعمل ، وبعضها يحتوى على خطوط أوليه أو نصيبيات ،
وبعضها صور اكتبت .. هناك - يا أنسة جراى
صوريان - بين الصور الآخيه - أبوى إلى العنور عليها
وإتلايها .. لقد جعلت سمور يعودى يوما إلى هناك .
ومركنى وحدا ، وحاولت العنور عليها باللبس ، غير أنى لم
استطع ان اناكد ، وسرعان ما ارتبكت من اللوحات ، ولم أشأ
ان اطلب مساعده سمور لأن هاتين الصورتين .. أعنى ،
أسميا كمرهما ، وإذا رأتى أترتهما ، فقد يمح وبتكلم .
وانا لا احب ان اوقف معول الاستطلاع في الحدم . كذلك لم
احسر على لاستمعانه مالىير دريك ، لأنه كان حليقا مان يعرف
شخصيه صاحب الصوريين ، لأنه معروف لديه .. وعندما
رست هاتين الصوريين ، لم أكر لحظة في أن أسمح - مائة
حال - لمحرف سوى بان براهما .. ومن ثم ، ناسى اعيد إليث
وحدك .. يا كاتبة سرى العزيره - بهذه المهمة .. مهل لك ان
تقومى بها ، الآن ؟ » .

ودفعت الممرضة روزمارى مقعدها الى الاء قائلة
" بلا شك يا سيد دالىس .. أسى هيا لآس كل طلبه وأدع

كل ما ترغب فيه ، وأؤديه عندما تشاء ! » . فأخذ جيارث مفتاحا من جيب سترته . ووضعه على المنضدة وهو يقول : « ها هو ذا مفتاح باب الرسم ، واعتقد أن الصورتين - اللتين اقصدتهما - هما في أبعد ركن عن الباب ، خلف ستار يمانى . . وهما في حجم كبير . . خبسة أقدام في ثلاثة ونصف . . ماذا لقيت صعوبة في حملهما ، فضعيهما وجهها لوجه ، واستدعى سمسون ، على ألا تتركيه منفردا بهما ! » .

وأحدثت الممرضة « روزمارى » المتاح ، وبهتت ماتحت إلى « البينانو » ومبتهته ، وربطت الشرط الأصغر الذي يهتدى به جيارث من مقعده ، ثم قالت له : « هب أحطس واعرف ، بيها اكور في الطابق الأعلى ، أؤدى مهمتى . ولكى ارجو أن تحترى شيئا واحد . . أنك تعرف مدى اهتمامى بالمعالم ، مهل تسمح لي - إذا عثرت على العسوريس - بأن ألقى عليها نظرة . . تكفى لتعرف عنيها ؟ أو هل لي أن أأملهما في صورة لرسم الحريل ؟ . . ولك أن تطلبن إلى اسمى سأفقد ما يوافق عليه . . فلم تقو شحوصه العنان على مقاومة الرعة في أن تأهل العبور أعماله وتفترده . ومن ثم قال . « لك أن تريهما إذا أردت . » أيهما ملاءراء اندع صورتين رسمتهما في حياتى . مع أننى قد رسمتهما من الذاكرة محض أى . . أقصد أن هذه كانت « فنته » مى . على أنهما لستما من وحي الخيال إطلاق . فقد رسمت فيهما ما رأيته يعينى تماما . . لا سيما فيها متعلقي بوجه وتكوين المرأة . وهذان كل ما في الصورتين . . أما ما عدا ذلك مملحات ! » .

وتنهض فسار حتى بلغ مقعد « البينانو » ، وبدأت أصابعه تعزب - في رفق - أعنام « تعالى أينها الروح الخالقة » . . واتجهت الممرضة « روزمارى » إلى الباب . ثم توقف لتدبر « وكيف استدل على الصورتين ؟ » . فانخفضت التفتحات ، وارتفع صوت جيارث من خلف البينانو جليا واضحا ، وهو يساير مع عياب الاشوده . وخسه يتحدث على الألحان « امرأة ورجل وحيدان في حديقة . . ولكن ما يحيط بهما لا يكاد يبين إلا حفيفا . . وهى ترتدى ثوبا للسهرة رقيقا ، أسود ، جوارا . . ويه « دانتيللا » فوق الصدر . . واسم اللوحة : « الزوجة ! » . . بصورة الثانية . . فليس المرأه ، ودات المفطر ، ولكن بدون الرجل . . إذ لم تكن شمة حاله لتصوير الرجل . . فهو في هذه الصورة موجود . سواء أكل طاهرا أو غير طاهر . . لقد توقف بمعات الباب الخافته تماما ، فشمم الغضب كل الحجرة . ثم أتم قوله . « وهى تحمل على ذراعها طملا صفرا ، واسم اللوحة : الأم ! » .

وهما علا صوت الشيد ، في دوى غير منقطع ، وهو يستهل « اسعد عدا عدايت ، وهب السلام لبلادنا » ، وكانت الممرضة « روزمارى » قد تارح الحجرة ، وأعلقت الباب خلفها .

الفصل الثامن والعشرون

صعدت حين إلى الرسم ، ففتحت الباب ، ودخلت . ثم أعلقت حبلها . . وكانت أشعة شمس العروب تنساب خلال نافذة غربية ، مضيئة مزيداً من البهاء ، على السقائر الحريدية والسحب المعلقة على الحائط : من قطعه يائس به مسحة اللون مطررة ، وسجاده من اشغال الصين يمثل نسا دهبيا على رقعة حمراء ، وقد ألف ديله الطويل حوله ، وبررب محالته المسبونة من أحراء من جسمه لا يتوقع أن يكون عنها محالته . وكانت « حين » قد دخلت الرسم - من قبل - مرات متعددة ، ولكنها كانت في كل مرة تصرع بالمقاطات الأشياء التي مسالها « جارت » أن تحصرها ، فلم تكن تبه مسحة من الوقت وحرية للتأمل والمحت . وكانت « مارجرى » تحل مفناجا ثانيا للرسم . إذ كانت تدخله يوما لتفتح اسوارد وبرل الأثرية عن التحف الثمينه - بكل حرص ، وعناية - ثم تصع كل قطعة منها في مكانها ، الذي كان صاحبها يحب أن تكون فيه ، عندما كانت عيناه العادتان تريان كل شيء . . وكانت « مارجرى » تحتفظ بذلك المفتاح في حلقه ممانسها ، فلم تكن « جين » ميالة لأن تسألها إياه ، حتى لا تتعرض لوفض يؤلمها . .

أما الآن ، فكان في وسعها أن تقضي ما تباعث من الوقت ، فجلست في مقعد من تلك المقاعد الطويلة ، المخصصة ، داب المجلس العميق ، وقد رود بوسائد مريحة . . وكان مناسباً

لحجبها . وقد رود بمسند لذراعها وركبتها ورأسها ، حتى حبل إليها لها لى برصى في المستعين عن مقعد . بعد أن استبعد بكمال هذا المقعد . . لو كنت لحبيبها كما كان هذا المقعد بالنسبة لها ! . . آه لو استطاعت أن تفل بكل حاجته عن آخرها ، حتى يكون حضورها مبعث قوة وراحة وعزاء له دائماً !

وحاب ببصرها في القاعة ، وراحت فيها طابع « جارت » . . كل دقه وكل عايه وكل كمال في كل شيء . . كان كل لون بلام الآخر ، وسلام معه ! . . وتأملت توزيع الضوء - سواء من السقف أو النوافذ - وترتيب المقاعد ومصادر الرسم من كل نوع وكل حجم . والطايف المتحطية في الأماكن العالية ، لعاريه من الأثاث ، وظلوا المكان من الغبار . . وكلها أمور كان يطلبها العمل ، كما تأملت أسباب الراحة المترمة حول المدفأة وفي كل زاوية ومجى وركن . . كان كل شيء كاملاً ! . . وورق تحدرات السقف ، ذو اللون المنسق الذي لا يتخلله ظل من حبه أو صفرة . . كان بنيا بلون البندق الصافي . . وعلى حامل مغرب النافذة الفصية . كانت ثمة لوحة لم يتم إيجارها ، وبحوارها رقعة الألوان والعرايين ، بماها كما تركها « جارت » صاح حروجه . في ذلك اليوم المشؤم ، منذ ثلاثة أشهر . . يوم نسلق مساحا ، وتدلّى موقه لسبق حيوانا صغيراً من آلام لا داعى لها ، غارتى في هذا القبة وهذا الأسى اللذين لا حيد لهما !

ونصت جين وأحسبت تتأمل كل نعمته العجيبة التي كانت تملو رب المدة .. وأسبغت أباهها - وفنتها بوحه حاصر - مهثال محاسن صغر لدب مكتنز جلس على عجزه في ثبات واسرحاء ، فانصا بمحليه الامامين على قائم من النحاس ، قد مال برأسه إلى جانب ، وعيناه الصغيرتان الشبهتان بالحرز نجدتان امامه .. وكانت في عفه سلسلة اتصلت بالقائم النحاسي ، كرمز للأمر وللشراسة المطبوعة . وادركت « حين » أن رأس الدب متحرك ، يمكن برعفه الوصول إلى نحوه تصلح لحفظ الثعب ، وإن أيعت « حين » أنها لن تحد منها ثقالا إذا متحتنا .. ولم يكن شيء شك في أن هذا الدب الصغير من محلمات أوائل العهد المكتوري ، فهو زميل طفولة « جارث » .

وتمثل لها « حارث » في عامه الأول ، بيد يديه الصغيرتين المكتسرتين نحو النحاس اللامع .. ثم « حارث » الصغير . ابن الثالثة ، مشعره الأسود اللامع ، وعينه الشديدة الريق . وهو يحمل شمع في خررتي عيسى الدب الحامدين . وسطر برعبه إلى السلسلة .. ثم « حارث » العلام ، بمقامته الطويلة النحلة ، وقد عاد من عطلته المدرسية ، ورأى الدب موق رف المدعاة ، بهلله له . قائلا - « هالو يا برونو .. ما اطب أن اراك أبها الصديق القديم . إني لأذكره يا أمي منذ مولدى ، وعندما شعرت بوحشة العرب في دنائه السنة الدراسية ، أدركت مدى ما في رؤيته من متعة .. رؤيتك ورؤيته يا أماه ، متصوري كيف أجمع بينكما .. ذلك لأنكما تمثلان .. البيت ! » .. ثم

تصورت « جارث » وهو في التاسعة عشرة من عمره ، وقد أصبح فارغ الطول نحيلاً ، وصينا في حرته ، إذ المي الدار حاوية - موحشة - بعد أن وورى أحسد الريق العلى - جسد أمه - منواء الأخير .. ووقف واجفاً ، جامد العينين ، بجانب رف المدعاة - في اليهو المسيح الساكن - حتى إذا ما لمح المثل النحاسي الصامت ، في حله المألوف مستسلماً . مغلولاً إلى القضييب النحاسي - قل له : « أواه يا برونو ! .. أواه يا أماه ! » ثم ارسم على مقعدها لحالي ، حيث لفي راحة العس الرحيمه التي كثيرا ما لمس بها الرمن على الرجال في أحزانهم !

كل هذه التاملات أوحى بها الدب إلى « حين » ، وهى واقعة حوار الرم ، والدب من يديهما .. وحركت رأس الدب فادا بالنعوة - التي كانت حمله - حاوية . فأعدت الرأس إلى مكانه بكل حذر ، ووصفت الدب في مكانه فوق الرم .. وعادت إلى صوابها إذا أدركت أنها تعتمد التلكن في تمييز أمر معروف عليها ! .. وكان دربك قد أحرها عن اللوحتين اللتين رسمهما « جارث » للمرأة الوحيدة .. وهما « جارث » قد أنشأها عنهما أكثر مما فعل دربك ، ولقد حان الوقت ، لسكن تراهما بنفسها ، فلا حدوى من الإرجاء . لذلك نظرت نحو الستار الصغراء ، ثم سارت إلى البائدة العربية مفتحتها على مصراعها ، وإذا ما شفع الشمس بنحدر يديها نحو التلال الأروانية ، وقد أخفت رقة السو .. سب عامه ، فيها سحابة وردية .. ثم رفعت « حين » يدها إلى الأعلى ..

ودسنت يديها في جيبي ثوبها ، وقالت بصوت مرتفع : « انى
اشهد الله .. وإذا قدر لى أن اعجز عن الامضاء بهذا القول .
او تذكره ، مها انذا اعمل الآن .. اشهد الله على اننى كنت
على صواب ، وقد راعيت سعادة « جارث » فى مسئله . كما
راعت سعادتي . ومصيب فى قرارى لخبرنا معا ، مصحبه
بالهناء الحاضرة .. ولكنى - واشهد الله على قولى - كنت
على يقين ثابت بصواب ما قررت .. وما ازال اعتقد ذلك ! » .

ولم تعلق بهذه الكلمات بعد ذلك قط !



الفصل التاسع والعشرون

وحدث حين حلف الستار الصفراء كومه مكدسة من اللوحات
فى غير ترتيب ، مما لم عما فقلته بها اليد العمياء ، وهى
تتحسس باحثه فى غير حدودى ، ثم عن المحاولات العقبيه
لإعادة اللوحات وسطيمها .. واقبلت حين تلتقط لوحه بعد
أخرى - فى حرص بالغ - مسبوها . بحيث يكون وجهها نحو
الحائط .. كانت لمسات وصور رائعة ، بعضها تم رسمه ،
وبعضها لم يتم . ووجدت منها وحدا أو وحين تعرفت عليهما ،
وتأملت جمالها المرسوم . غير انها لم تعثر على اللوحتين .
مشت من حليتها ونطرت حولها ، حتى لاحت فى ركن آخر
- على بعد منها - كومه أخرى من اللوحات معطاة سقار
محربه ، ماتحجبت إليها ، وسرعان ما عثرت على الصورتين
المشودس . وكانت أكثر حجما من اللوحات الأخرى . وقد
تسلى ليا الحقن منهما بمجرد أن لحت ثوب السهرة الأسود
الذى كان يوسط كلا منهما . . بذلك حملتهما إلى البافه
القريبه - دون أن تمنحهما أكثر من نظرة عابرة - ووضعتهما
بحيث سقط عليهما أكثر بسط من الور ، وأدت منهما المعداد
الذى كانت تجلس فيه ، وأمسكت فى يدها اليسرى بالذهب
النحاسى كتيبة معها على ما كانت مقدمه عليه . ثم وضعت
اللوحه الثانية على المنضدة ، مثلها - لى - سابها . وحين
تأمل مليا الصورة الأولى .

كان أول ضابغ بنفسه لعين ممها إلى الخ . هو وجه كريم المحتد ، رسم يبدل لا يقل عنه كرما ، . بيل بيل ! اجل . كان البيل يجلى أولا ، في وضع مهيب ، وجبين مرموع في اعترار عارم . . حتى إذا امتعت النظر في الجسم المملى ، المتسق في أبدع تناسب ، وإن كان كبيرا ، معرض التهو . . وحتى إذا تاملت طول الأطراف ، وثبات القدمين على الأرض . ومود اليدين الكبيرتين ، تجلى لك الطابع الثاني الذي تحدثه الصورة في نفسك . . قوة في العمل . . قوة موجودة . . قوة مستمرة ! فإذا نظرت إلى الوجه - بعد ذلك - صادفت مفاجأة كبرى . . كانت العكزة الثالثة - التي موحى بها الصورة - هي « الحب » . . حب من أسقى درجه ، واقدس نوع ، وأرق وأرقى من . . . وهي إلى ذلك ، تبين أوفر حنان أودع نفسها بشرية . . . كل هذا تجده في الوجه !

كان الوجه كبيرا في تناسب تام مع الجسم ، لا محال فيه نطاق الجمال العبدى . . كانت السمات خمسة ، ليس فيها أى اثر للدهامة ، ومع ذلك فقد كانت كل قسمه ممها تفنقد الجمال . . وكان الطابع العام لها هو : وجه عاوى ، ومنظر حسن ، في غير زينة ، ولا تستر ولا استحياء . ولكن الوجه كان يردد احتذاب لك . كلب أمعت ليظهر فيه . . وكما أعطب تجرده ، ازدودت إعجابا بما أتمم به من نزاهة ، وطهر ، وقوة عزم غائقة ، وبساطة كريمة معتزة . . فإذا استوعبت كل هذه التفصيلات الخارجية ، ونليت لتأمل الوجه عن بعد ، إذا بالمعركة تحدث ، إذ يتسلل إلى الوجه « نور لم يسبق

يوما على بحر أو على أرض » . . نور ينشع من أعين الرماةيين الراضعين . وهما يطلان إلى خارج الصورة ، من فوق رأس الرجل الذي كان جاثيا أمامها ، وقد تجلى مهبب سسلاام علوى من روح انبويه لعائده حياشه ، قد تكون مسطحة مسطحة ، ولكنها تمتد في المرء العذرة على أن يكون أشد احدها بحسبها كامنه ، ومها في أى وضع . من بيل . . وكنت بينهما - فوق ذلك - دهشة مليئة بالمرح . . وعند من سر - بعض لم يتحل بتساخنتها بعد ، وجمال د في . . ثم كانت هناك تكاد تكون سمويه ، يفيض على دم النشور الحرب العاوى اندى إلى باس رجل حيا على ركسه ، ودفعه إلى أن يشتد في صدرها ملدا . . وكان هناك سنن إلى المواساة ، وإلى البذل ، وإلى الأراض . . كل هذه اشعار امترجدة في بصره كانت مفسر ممها عدويه ، حتى ن ناصر بينها لم يكن بمالك دمعه !

وكانت المرأة جالسة على حاجز رحامى عريض ونظرها مصوبا أمامها ، وركابها مشيتين قليلا إلى الأمام ، وقد تهدأت عذاب ثوبها الأسود ملأت المراح الواقع إلى يمينها . . وعلى مقربة منها - إلى يسارها - جثا رجل ذو قوام مشسوق ، في ثياب السهره . وقد أحاط ذراعاها بحصرها ، واحتفى رحيه نأكله في نلبا « الدائلا » التي ترس صدرها ، ولم يبين من ذلك الوجه سوى جزء خفى من رأسه الأسود ، ومع ذلك فإن الشكل الاحمالى للرأس ، كان ينم عن وجد متأجج ، وقد ضمته المرأة إليها ، بحركة رابعة ، نوح ساسد سلام المرأة ، وإشفاق الأم الحنون . . فاندثمت بهاها ممددة

حلف رأسه تشداده إليها ، دون أن يفادلا كلمة واحدة ، مان
الوجه المحتبىء كان بلا شك صاميا ، كب أن تسمى المرأة كانتا
تعدوان — من فوق رأسه السوداء — مطلقتين في قوة
عزيمة ، برغم ما حام عليهما من إشراق بسمة هناء لا سبيل
إلى وصفها . . . وظهر في يسار الصورة عود من الورد الأحمر
متسلقا بعض الفوائم المصنوعة من الخشب . لا يستنير السر
مبها سوى القليل ، وقد تدلت الورد فائمه متوهجة في أعلى
الركن الأيسر ، فكانت تمثل اللون النهى الوحيد في الصورة !
ولكن العين كانت لا تلتفت — بعد أن تسبوعب من هذه
التناقض الصغرى — أن ترتد إلى ذلك الوجه الهادئ الحور ،
وقد نالق بالحب . . . وإلى البدين التوبتين وهما تتعلمان — لأول
مره — كيف تدمعان العاطفة الواقعية التي يطلو عليها حبال
المراء . هذا بالفعل يهيم بالاسم الوحيد الذي يصح إطلاقه
على الصورة : « الزوجة ! » .

وترسبت « جين » في لصوره طويلا ، في صمت بالغ ، ولو
أن تب « جارت » الذي أمسكت به يدها كان من مادة
أخرى غير نحاس أوائل العهد المكتوري المسن ، لا لبوى وتحطم
تحت ضغط يديها المتقلصتين . . . ذلك أنها ما ارتأت لحظة
في أنها كانت تنظر إلى نفسها . ولكن ، آواه ، رحماك يا سماء !
ما أبعد الورس من هذه الصورة وس ما انعكسه عليها مرآتها . .
لقد حمد عقلها — مره — أو مرين أثناء تحديقها في الصورة — بك
عن التفكير ، فظل ينظرها ساهيا في الدقائق الصغرى . غم
أنها كانت — في كل مرة — تعود إلى التأمل ، وقد جذبها تسم

العينين الرماديين . إذ أعاد إلى ذهنها صورة حيه ملبوسة
لكل المشاعر التي اجتاحت كنهها ، ولقي يرت بها حبسا
ارتقى ذلك الرأس المحبوب على صدرها بعته . لائدا بملعته
الأمين . . وهبت قائمه . « أيتها صانعه ! . . نعم أنها صادقة ،
ولا أملك أن أنكرها . . أنها تمثل ما أحسست به بها ، ولا بد
أنها تطابق ما ظهرت به إذ ذاك ! » .

ثم خرت فجأة جائئة على ركبتها أمام الصورة ، وهي
تهتف . « آواه يا الهى ! هل كنت هكذا ؟ » . . لقد رفع — بعد
هذا المنظر — عييه الراققتين محدقا في وجهي تحت ضياء
القمر . أمكانت هذه هي الصورة التي سجلت له ؟ . . وهل كنت
أندو في هذه الصورة ؟ . . وهل كان في وسع المرأة التي كانت
بهذا الشكل ، والتي صمت رأسه ثانية إلى صدرها — كما هو
واضح — أن ترمس في الصباح التالي أن تتروحه ، ارتكانا إلى
صغر سنه ، وإلى كبرها ؟ آواه يا جارت ، يا جارت ، . . آواه
يا الهى ! ساعده على أن يفهم الحقيقة . . أعنه لكي يصفح
عني ! » .

وتحت قدميها — في الغرفة السفلى — طرق مسامعها
صوت الخادم « ماجي » تفض ، وهي تحيك الملابس ، وقد
سرى موتها حتى نفذ من النافذة المفتوحة واضح التبرات
والكلمات ، ولكنه الاستكطدبه الصاميه ، حتى بلغه سلامه
« جين » وهي حائبة . وكان عقلها — لذو تلك اللام إلى

جهود كامل - قد تثبت في لهمة بنشيد « ماجى » ولحنه ،
وهو يجرى كما يلي :

« أيها الحب الذى لا يريد مكاكى .. »

« ها انذى اسلم نفسى المرهقة إليك .. »

« ها انذى اميد إليك الحياة التى انا مدينة بها .. »

« لتفوسى في اعماق محيطك .. »

« عساها تزداد غنى واملاء .. »

« أيها النور الذى يفتو اثرى .. »

« انى اسلمك مشعل الخافق المرتضى .. »

« ان قلبى يخترن شعاعه المعاز .. »

« عسى ان يزداد بريقا وصفاء .. »

« ويجد نهاره في وهج شمك ! »

ثم أسكت حين بالصورة - لثنيه ووضع يده فوق الأولى ..
كانت تبث المرأة نفسها ، وفي نفس مجلسها في الصورة
الأولى .. ولكن الرجل لم يظهر معها ، وإب ظهر سن دراعها
طفل صغير ، توضع رأسه الأسود صدرها الفاهد .. ولم
تكن المرأة ترسل المص من فوق ابراس الصمير . وإب كانت
تحقق في وجهه .. وكان عود الورد الأحمر قد نفا وانتشر
على جانب الصورة ، مكونا قوس مردهرا فوق الأم والطفل ،
وقد مثل في كنان المرأة خلال الحجاب .. ولم يكن الوجه - في
إطاره ونقاطه - أقل حلوا من الحمال من ذى قبل ، ولكنه



ولكن برحمن لم يظهر معها (رأى ظهره)

كالـ في هذه الصورة أيضا — يبدو جميلا ، بها ارسم عليه من حب الأمومة . ولقد علمت أن صورة « الزوجة » حققت أكثر مما كان يرتقب منها . أما في هذه الصورة ، فقد تجلت « الزوجة » في أبهى حقيقتها ، إذ أصابت « الروحية » أعجونه « الأمومة » ! .. فإذا كل العوامص تحلى ، وإذا كل المرات قد عرعت ، وإذا الانتسامة على نسمسها الهادئس نسي بالهناة !

وكان ثمة فرع من الورد القرمري قد نما ، وازدهر موقعها ، ونساقط منه وامل من أوراق الورد القرمرة موق الأم والطفل . ونشبت أصابع الطفل بالدنتلا المسبعة على صدر الأم . وقد سقطت ورقة من الورد موق المعصم الصغير . مرعت الأم بدها لتريجها عنه . حتى إذا وقعت عينها على عيني الطفل المراقبين السوداءين ، توقفت بدها عن الحركة . وأمر شغرها عن ابتسامه !

وانخرطت « جين » في بكاء قانط ، وهي تتأمل صورتين . . ان « بحرر علام » قد سر غورها ، وأدرك أعماقها ، ومهم عطمة ما تملك من إمكانيات الأمومة . أكثر مراحل ما كانت هي تفهم نفسها . فلما رأها — في وضعة واحدة « الزوجة » ، ففز عقله ليمثلها في صورة « الأم » . وإذا ذاك رحدث بها مضطرة لأن تردد : « إنها الحقيقة » ! .. أجل . هذه هي الحقيقة . .

ثم عادت بذاكرتها إلى ما سبق لها ترديده من قوله : « لم

بكن مالوجه الذي يود المرء أن يراه دائما على 'المائدة' . . مهل وجهها هو الوجه الذي تحلو رؤيته ؟ وجهها . . هذا الوجه الذي رسمه جارت بعد علم من زواج افترض قياه ! .. هل يسام هذا الوجه ، أو يرغب في أن يحول عينيه عنه ؟

والتفت « حين » مطرة أخيرة على الصورة ، ثم أعادت الذب إلى مكانه . ودمت وحدها في يديها وقد كسفت وجهها حمرة داكنة أمدت حتى بمنت شعر رأسها وحسنت أطراف صامها . . وإذا بها تسمع الحادم سادره في أعينها . . في الفرفة السفلى — بصوتها الفتى الرخيم :

« أيها الفرح الذي تفقدني خلال الأيام . .

« لست أملك أن أغلق قلبي منك . .

« وما أندي اتبع قوس قزح بين الأمطار . .

« شاعرة بأن الوعد ليس عابثا . .

« وإن الصباح اليوم سيكون بلا دموع » .

وبعد قليل ، همست جين : « أواه يا حبيبي ، أصفح عني ! .. لقد أخطأت خطأ بليغا . لسوف أمترف ، وليسامدني الله على أن أشرح كل شيء ، وإذا ذاك . . أواه ، ستصفح عني يا حسي ! » . وعادت ترمع رأسها وبمل الصورة ، وإذا بها ترى نسع ورففات من وردة فومرية ، متناثرة على الأرض . تذكرتها بوريقات الوردة الحمراء التي سقطت من صدرها . وتناثرت على أرض الشرفة في (شينغون) . . رمزاً للأمل

الاسم ، ولهجة الحب التي مرغها قرأها - في تلك الليلة -
في تراب حبيبة الرجاء - على أن مروعا اخره بالورود القرمزية
الفلمية ، كلفت تتوج هذه الصورة - ومن خلال العمادة
المفتوحة ، انصبت إلى الجزء الأخير من اغنية الحاتم :

« أيها الصليب الذي ترفع رأسى إلى العلا ..

« لست أجري على الهرب منك ..

« اننى اسطلى ميتة في تراب بهجة الحياة ..

« ومن الأرض نبقت الورود الحمراء ..

« انها الحياة التى لا نهاية لها » !

وذهبت جين إلى التسامدة الغربية ، ووقعت ودراعا.
مرموعا فوق رأسها ، باظرة إلى اشعة الشمس المائلة
للمروب ، وقد أحالت السماء إلى صفحة ذهبية وقمرية .
وامتد لهاها الأحمر على طول الأفق ، وهو سدرج في الشجوب
إلى لون وردي باهت ، تظلمته غيوم حمراء .. بينما انسط
— فوق رأسها — صمحه ررقاء داكنة ، لا تدرك لها عور
ولا يحدها آخر ..

وارسلت « حين » نصرها إلى الفلاح الذهبية - فوق الرر
الحمراء - ثم رددت بعض عبارات من « التوراة » بصوت
متوسط الارتفاع : « وكأنت المدينة من الذهب الخالص ..
ولم تكن في حاجة إلى الشمس ، ولا إلى القمر ، ليمرها ..

لأن مجد الله قد اضاءها - وهناك لن يكون موت ، ولا حزن .
ولا بكاء .. ولن يكون هناك أى ألم ، لأن الأشياء السابقة قد
ولت » .

آه ، كم من أمور مرت بها منذ وقوفها في هذه النافذة
العربية ، ولم تنقضى بعد ساعة ؟! .. كال الحياة بأسرها قد
اعيدت إلى الوصف الصحيح ، وتبدل مطهرها القريب ، كما
تغير مظهرها البعيد .. حضا لقد تحاور « حارث » بطاق عباد!

ثم رمت جين عينيها إلى السماء الرقراء ، وامسرت
شفتيها عن سبة كلها توقع وارتياب صامتان ، وغبضت
قائلة : « تلك الحياة التى ستظل .. دون ما نهاية » . ثم
التفت حولها .. ورأت الدب النحاسى ، فأعادته إلى مكانه على
رب المداء ، وأعادته المقعد الى مكانه ، وأعلقت التسامدة
الغربية ، وتناولت اللوحين ، ثم بارحت المرمم وأخذت طريقها
هابطة السلم إلى الدور الأسفل في حذر .

الفصل الثلاثون

— لقد استعرت الميمة منك وقتاً طويلاً يا أسة جرائى .
مقد كنت أرسل إليك مسمون ليرى ما حدث ؟

— يسرنى أنك لم تفعل ذلك يا سيد دالمين ، فإن مسمون
كان خليقاً بأن يعثر على بلكية على أرض المرسوم .. وى
استعانتى به — فى مثل هذه الظروف — مذلة أشد من سؤاله
عن الذئبة فى الحساء !

فاحفل « حارث » ودار مسرعاً فى معبده ، فلما ادر العار
فيه التفتت اللهجة التى نبت عن مهم لعله . وقال : « تنكين !
.. ولماذا ؟ » . فأحاطته الممرضة روزمارى : « لائنى كنت
تبحث سحر الصورتين ، فقد غافنا كل وصف . انهما تحركان
اعمق أغوار النفس ، ومع ذلك ماتها تثيران الشسحون .
آه ، إلى أقصى حد ، لأنك قد حملت من امرأة بسيطة الملامح .
امرأة جميلة ! »

فنهض جارث على قدميه ، واتجه إليها بوجه كانت عيناه
خلفقتى بأن تطلقا شرراً ، لولا انهما كانتا فاقدتى الإبصار .
وهتف : « من .. ماذا ؟ » . فأجابته الممرضة روزمارى فى
هدوء : « امرأة بسيطة الملامح ، فلا بد أنك كنت تدرك أن
النهودج الذى نقلت عنه كان امرأة خالصة من الجمال . وهنا
مر الإعجاز فى الصورتين .. لقد حملتها إلى أبعد حد فى
الزوحية ، ثم محدنها فى الأمومة ، حتى أن المرء يمعن فى نسبها

طوبى من الجمال . كلما أطال النظر إليها ، لأنه يراها كمحبه
محبوبة ، ومن ثم نهى جبيلة .. أنه نصر كبير للفن ! » .

فجلس جارث وقد شبك يديه إمامه ، ثم قال : « أما مصر
للعقيقة .. فإنما رسمت ما رأيته بعينى » . فأجابته الممرضة
روزمارى : « لقد رسمت روحها ، فأصابت وحبها السسيط ! »
.. فقال لها جارث بصوت يكاد يكون همساً : « لقد رأيت
روحها .. وكانت تلك الرؤيا من الاشرافى بدرجة أنها أضاعت
حياتى المظلمة . وأن الذكرى لتضى طلامى حتى الآن ! » .
ورأى على المكتبة صمت رقيق . واشتد العسق إعتاماً .
وتكلمت الممرضة روزمارى بصوت خافت « لى رجاء يا سيد
دالمين .. اننى أرجوك ألا تتلف هاتين اللوحتين ! » ..
مرمع حارث رأسه قنبلاً . « بل يجب أن اطمئنا ما ستنى ..
مست امثلك أن امرئكم ليراهما من قد يعرف ح .. السيد
الذى رسمتها ! » .

— مهما تكن الاحوال ، فهناك شخص واحد ، له الحق فى
أن يراها قبل أن تظلمها !

وسأله جارث : « ومن هو ؟ » . فأجابته الممرضة روزمارى
فى شجاعة : « السيدة المرسومة » . وإذا ذاك سأله : « وكيف
تطمئن انها لم ترهما ؟ » . فسالته : « هل رأيتهما ؟ » . وجاء
جوابه فى اقتصاب : « كلا .. ولن تراهما ! » . ولكنها قالت :
بل يجب أن تراهما ! » .

واشم «حارث» من لهبتها الأصرار ، فسألها : « ولماذا ؟ » .
ثم بصت باهتيا لمدها ، وهي تقول : « لأن أياه امرأة تعرف
أنها عادية الوجه ، لا مقدر شيئا مثل تقديرها لأن يرى نفسها
وقد أضفى عليها الجمال بهذا الشكل ! » .

وحلّس « جرث » سلكتا لمرهة طويلة ، ثم قال : « امرأة
تعرف أنها عادية الوجه .. » - وكرر هذه الجملة في دهشة ،
وفي صوته نبرة التساؤل . فاستأنفت الممرضة رورمارى
حديثها بتشجيعه : « أجل .. انتظني لحظة .. بأن امرأة تلك
المرأة قد عكست لها - ولو مرة واحدة ، وبأية طريقة كانت -
ما سكنت عليها من خيال في هاتين الصورتين ؟ .. أمنا - معشر
النساء - عندما نقف أمام المرأة ما سيد دالمين ، مثالي في خلق
فصاحتنا ، أو أشرطة ثمننا ، أو معارف شعورنا ، يرى أنفسنا
دائما في أسوأ صورة ، أما تلك السيدة - في أسوأ صورها -
مخلقة بأن تكون خالية من الجمال خلوا تماما ! » .

وحلّس حارث في صمت تام ، فواصلت الممرضة رورمارى
حديثها : « تنق من ذلك .. إنها لن ترى نفسها قط كـ «الزوجة»
أو « الأم » .. قبل هي زوجة ؟ » . فتقبل « حارث » نصب
ثنية ، ثم أجاب في هدوء تام : « نعم » . فاسترعت يدا
« جين » إلى صدرها ، إذ أحسّت بأنها يجب أن تضغط
قلبي ، وإلا سمع « حارث » حقيقته ! .. وعندما قدر للممرضة
رورمارى أن تعود إلى الحديث ، كانت تشوب صوتها رجسه
خفيفة ، وهي تقول : « وهل هي أم ؟ » . فجلجلها جلجل :
« لا .. » .

« كلا .. لقد رسمت ما كان ينبغي أن يكون ! » . فتسأل :
« إذا هي .. » ، وأجاب جارت باقتضاب : « إذا هي كانت .. » .
وتسمرت الممرضة « رورمارى » به يوحها ، عقلت في دمه
تأمله : « يا عزيزي السيد دالمين .. أنتى أدرك تملها يبدى
ما أظهر به أملك اليوم من تطفل ، بما ألقبه عليك بن
استفسارات واقتراحات .. غير أن لوك يجب أن ينصب على
الأثر الذى سيطرت به لوحاتك البديعتان على عقلى .. أو ،
إنهما جميلتان .. جميلتان ! » - فهتف جارت : « آه ! » .
وقد عاوده سرور الفنان لدى سماعه المديح ، ثم أورد :
« لا يا آنسة جراى .. لقد نسيت الصورتين بعض الشيء .
بهن مما هما أحرار فعملهما فوق المصدد - وصفيهما في
وصفا دقيقا . دعبنى اسمع منك ما كان لهن من وقع عليك
كصورين ! » .

ونفضت « جين » فسارت إلى التافذ وفنحها على
مضراعها . وبما كانت تستنشق الهواء العتيق ههنا
بدعوات جارة ، حتى لا نخوتها أعصابها وصوتها ورباطها
.. شيئا ، في هذه الساعة الحرجة .. إلى صورتى « حارث »
كانتا تديفانها - هي بالذات - فعملها الآن أن تقنع حارث بما
تصميمها .. يجب أن يقتنع ويؤيد بالحلب الذى صورته !
وعادت الممرضة رورمارى إلى مجلسها .. وبصوتها ارتدق
« كمانى » ، الذى لم تؤثر فيه الانفعالات العاطفية ، أخذت تسبك
في أدنى العمل الاعنى المرغبتين كل ما رآته حسن في أدب
مدحه بالعمى . واحداث أداء المهمة ، في عمر « حارث » لا ..

وإذا بطبا « حارث » نحو « جين » - الغلام القاسى « الميخوس » من ربه - يستيقظ فى نفسه ، واستيقظ معه إدراكه - الذى كاد يفقد عقله - بأنها كانت له ، ومع ذلك مهي ليست له ، وبأنه لو كان قد أصر على أن يتلقى ردها فى تلك الليلة لما كان الرد رفضا ، فإن التفكير الهادئ - فى الساعات التى تلت ذلك - لم يكن موجودا فى تلك اللحظات الشوامة . . . ومع ذلك ، فهو قد فقدها . . . فقدها ! لماذا ؟ أجل ، لماذا ؟ - . . . أكان هناك سبب آخر خلاف ذلك الذى تذكرت به ؟

واستمر صوت الممرضة « روزمارى » فى هدوء ، غير مبالية بما يعانى من لوعة حارة . . . وكانت قد أوشكت على إنهاء حديثها ، حين قالت : « وبالاحمال عود الورد الأحمر المنسلق يا سيد دالين ! . . كم أنا معجبة بفكرة تصوير الورث مراعى صمعه لم تنفخ فى الصورة الأولى - ثم بمنحه فى اكمل بها ، فى الصورة الثانية ! . . فتطد « حارث » قليلا وابتسم . يجب ألا يستسلم إلى هذه الفتاة ! ومن ثم قال : « نعم . . . اننى مفتيت بهذه الملاحظة التى تبديتها ، والآن اسمعنى لى . . . اننا لن نطلبها فوراً فلا داعى للعجلة ، ما دمتا قد وجدناها . واخشى أن أكون قد سببت لك إرهاقا كبيرا . . فهل لك أن تطلبى وطلعا كسرهما من الورق السى - وفيهما بيها - واكتفى على الورق : « لا يجوز فتحه » ، ثم أسلمنى اللفة إلى مارجرى لتعديدها إلى الرسم . . حتى إذا ما أردت أحضارهما - فى أى وقت - فلن أجد صعوبة فى العثور عليهما » .

واحاشه الممرضة روزمارى : « لكم أنا مسرورة بذلك - علمت السيدة البسيطة الملامح . . . ولكنه قاطعها قائلا فى حق « لا أقتل أن يجرى ذكرها بهذه اللفحة . . فليست أدري رأيها

فى نفسها ، بل أشك فى أنها مكنت يوما فى نفسها . . . ولست أعلم ماذا كنت ترين فيها لو أنك رأيته ، وكل ما يمكننى أن أقوله - قريبا يعطى من أنا - هو أن وجهها هو الوحيد الذى يثير لى ظلمتى ، والذى أراه بوضوح فى كل لحظة . كل ما رسفته من حسن بأمر . وكل جمال أعجبت به فدا أحد سلسلى من دهمى وكأنه قدبرات البدى . . . به بتطالير من دهمى كورنى لحريف . . . لها وجهها هى ، وهو الوحيد الذى يبرع فى فلس . هادى . فى هاله قدسيه ، حوبا . حبسلا . . . امامى دائما . وإنه ليؤلتى أن يصفها امرؤ لم يرها إلا كمت . رستها يدى ، بأنها بسيطة الملامح ! . .

فأحابت الممرضة روزمارى فى خنوع : « سامحنى ! . . اننى لم أقصد أن أؤلك يا سيدى . . ولكنى أثبت لك ما حل بى إذ رأيت هانس الصورمين ، مسدلى إليك سررم ، وطذبت عليه نفسى وأنا فى الرسم . . ليس فى استسعى أن أموت على نفسى ما يصمونه بأنه « أحمل مباحج الحياة » ، لمجرد امتعاري إلى تشجاعة للاعتراف بالخطأ ، ولأن أحص عنى كترينى وان بدرع بالصراخه والتواضع . . . سكتب اعتراما كاملا إلى صديقى الشاب ، عن بصيبي من سوء التفاهم الذى عرق بيننا . . . أترأه سيفهم . . . وهل تظنه سيفصح ؟ » . . . هايتسم جارث . وحاول أن يتصورها بوجه جميل مكثور ، يتوجه شعرهش ماعم متهدل ، ماذا يبدأ الوجه لا يسبح مع الصوت . . . ولكن ، هكذا كانت الممرضة « روزمارى جرائى » كما يراها الآخرون . . . وأجاب أخيرا ، « انه كور حبه اننا ادا له يصمغ ما ننسى ! » .

الفصل الحادى والثلاثون

كان طعام العشاء - فى ذلك المساء - هو أول وجبهه تناولها معا على مائدتها المستديرة لصغيره . أسمر من نجاح كبير ، إذ أن الأساليب التى ابتكرتها المرحسة روزمارى ، أمضت إلى نتائج ماهرة ، واغتبط « جيارث » بالتداسير التى ظلت من شعوره بالعجز . . وكان المحو الذى بدلاه بعد الظهر قد أحدث رد فعل من المرح . وأدت بعض الأسسلة المترية ، إلى مزيد من القصص والمكاهات من الدوقة وطيوورها وحيواناتها ، وورد اسم الأسمه شامبون بكثرة أطربتها معا !

كانت تجربة عجيبة لجين أن تسبح بأذنيها « جيارث » صمها بكلبانه التى تشبه رسمه ، فقد كانت حاله البدل بها من الشعور بذاتها ، حتى تلك الأسمية المنحوسة - شبيستون - ولم تكن لديها أية فكرة عن أنها كانت تحرق عبور الناس إذا كلمتهم ، وأن هذا كان سر أرباك " دواب السعول الفجة ، اللاتى كن يظن أنهم يرهينها ، وأنها منه اعصابهس " . . . وأنصت « جين » إلى « حارث » . وهو يسمي فى تصويرها : « فذلك لأنها كانت تلم مباشرة بموسس لاجله المديته المتله . الماسه دله رورى اعصيه . ولا يكار المد » عنها . . فلا عجب إذا أصابهن الدهر ، وولين الأدبار ، وحى بتحدثن عنها بأنها « تلك الأسمه شامبيون الرهيبة » . . . أنا ، فما شعرت يوما بأنها رهيبة ، بل اننى كنت أحمد الله

على أن ليس منى ما أحفل به ، كلما سمعت لى الدهر . . . تحدث إليها ، فإن تلكها العسين الصايبين كانتا تملسان الأعماق فى كل مرة ، كما يعبر أقرباؤنا الدس ومحروب البحار ! » .

كذلك لم يحظر لجين قط أنها كانت تكلم وهى مهسكة بحديث من أن المدماة فى دها ، إذا لمكن . . . وأنها كانت تنسق الوقود فى المدفاء بينما تكون منصرفة إلى مسبق الحنج فى الحدال . . . وأنها كانت تحرك النار بشدة وهى تهتم حنج محادلهاء وكانت تحرك النار بمقدم قدمها ، دون أن تصاب أحديها أرشقة سوء ، وكانت تقف مهسكة بنقشها وهى تفكر فى أنه مشكلة . . . كل هذه الخلال الصغيرة شرحها جيارث بلمسات حية ، وارتكزت عليها ذاكرته فى إصرار أدهش « جين » . وكشف عن حقيقته فى علاقته معها . . . منذ ثلاث سنوات - . . . ضوء جديدا . . . لقد باح لها بحبه مجاة ، على أن تتخذ فيه قرارا عاجلا . فاما العول وإما السد . لذلك فقد لاح لها عدم قررت استبعادها - وكأنه لم يعش وقتا كافيا لأن يصبح ه . . . من حياتها . . . فقد استعرضت الأمر ، وتشتت من كل ما كان يضيء ، ثم أعدته عنها . . . أما الآن ، فقد فهمت تماما كيف كان الأمر - بالنسبة لجيارث - نقيص ذلك . . . إذ أنه تحقق بهما . . . أثناء الأسوع الذى سبق لإعلانه حبه لها - معنى سونبها المطردة النمو . وأخذ يوعن فى مريحها بحنانه ، كلمه زرداد بقاء . . . فقد صورها له خياله الحصب وحيية له . . . البداية . . . فأحبها وأرادها له ، فى حير أن علاقته لم تقدر

— قبل ذلك — مجرد المعرفة ، والمصادفة ، والرمالة الروحية .

لذلك فانها تأثرت كل التأثر ، إذ وجدت نفسها تغطي عرشاً قدس في قلبه وذاكرته . ولاح بها ان هذا سر — في عبه عذبة — بانها لن يكون من العسير ان تعود لتستقر على هذا العرش ، مجرد ان ترال كل الحواجر التي قامت بينها .

وبعد تناول العشاء ، جلس « جارت » أمام النايو ، وظل ملا الغد بالالهام ، وما طويلا . وبعد أسابيع اعوام انشودة « المسبحة » — مرة واثنين — خلال عرفة ، فكانت حين تصب لها في شمع وشوق لسماعها ، مودعا ان يسمر . ولكنه — في كل مرة — كان يتحول إلى قطعة اخرى . . . حتى لاح اللص اشمه لطيف ملاحق الالهام الا — رى ، دور ان يكون له وجود واقعي . . . حتى إذا مراح « حارث » السامو ، واهتدى بالشريط الأصغر إلى مقعده ، قالت له الممرضة روزماري بكل لطف : « يا سيد دالين . . هل تستطيع ان تستعنى عني مصعة أيام في نهاية هذا الأسبوع ؟ » . بحاجب حارث : « آه ، ولماذا ؟ . . إلى أين تذهبين ؟ وتم تعمين ؟ . . آه ، أعرف أنه كان خليقا بي ان أقول لك : « طبعا ، بكل سرور ! » ، بعد كل ما اسديت لي من صنيع ، ولكني — في الواقع — لا أقوى على ذلك ، فلست تفرين كيف كانت حياتي بدونك ، حين تقيت في عطلة الأسبوع الماضية . .

لقد لاح لي كأنك غبت أشهراً ، برغم وجود براند هنا . . إنه ذلك ، إذ جعلتني لا استعنى عن وجودك ! » .

وابتسمت الممرضة « روزماري » وقالت : « أؤكد لك ان عباسي لن يظور ، وإذا رعت في عودتي فسعود . . . وسيد دالين . . لقد انتويت على ان أحرر الليلة ذلك الخطب الذي اخبرتك به ، وسأضعه غدا في صندوق البريد . ولابد من ان اتبعه مورا . إذا استطعت ، لأكون بجانب مدى عند استلامه الخطاب ، أو بعد استلامه بلحظات . . وأحب ، بل أرجو ان يستدعيني مورا . . اليوم الاثنين ، فهل يمكن ان اسافر يوم الخميس ؟ » . فبدت على وجه « جارت » المسكن امارات الهلع ، وسألت : « أين عادة الممرضات ان يركن مرضاهن ، ويهرعن إلى متايهن لستوثقن من ومع حطاناتهن عليهم ؟ » . وكان الاستفسار يجمع بين الاحتجاج والنهك ، « حانئة » الممرضة روزماري دأبت وسمع : « ليس هذا من عادتنا يا سيدي ، ولكن هذه حالة استثنائية ! » . — سمعت ممرضة إلى براند !

— وسعود إليك ممرضة أخرى أكثر كفاءة وبمسكا بعزل متى !

— آواه ، يالك من صغيرة شريرة . . لو كنت الأنسة شامبيون هنا ، لهرتك هذا ، فأنت تعلمين جيدا بأن أحدا لا يستطيع ان يملا مكانك !

— ظرف منك يا سيدي ان تقول لي . . ولكن هز كانت الأنسة شامبيون تدين هز الناس !

— لا تقاديني بيباسيدى .. أجل ، كانت كلما اصطدمت بأشخاص مزعجين ، قالت إنها تود أن تهرم هزا . فلا يتمالك المرء أن يتحلل كيف تصطك أسنانهم من ذلك . وهناك سيدة صغيرة — من معارفنا — اعتدنا أن ندعوها السيدة : « اعمل ولا تعمل » . وهى ليست من ثلثنا ، ولكنها كثيرا ما كانت تمحى نفسها عليها ، وأحيانا كانت تدعى لساول العداء . لمجرد الضحك والتسلية . فإذا سألتها عما إذا كانت تحب شيئا معيناً ، أجابت دائماً : « اننى أحبه ولا أحبه » .. وإذا سألتها عما إذا كانت ستذهب إلى عمل ما ، كان جوابها « حسناً ، سأذهب أو لا أذهب ! » . وإذا أرسلت إليها أمر ، وسألتها رداً جليلاً صريحاً ، وأتاك الجواب : « نعم ولا » .. ومن ثم فقد كانت الآتسة شامبيون تقول دائماً إنه تود أن ترفعها من ياقة معطفها المرائى ، وتهزها وهى تسأله بين كل مرة وأخرى ، « هل لك عن هرك ؟ » ، إلى أن تنزع منها رداً حاسماً .. ولو لمرة واحدة !

— وهل كانت الآتسة شامبيون قادره على مسد هـد التهديد ؟ .. أكانت ضخمة السنان ؟

مقال حارث : « أجل ، كانت قادره ، ولكنها ما كانت لتعمل إذ أنها على جانب عظيم من الرقة ، حتى مع المواقف الدبر كانت تصطك منهم . كلا إنها ليست صححه . إن هذه الكلمة لا تتفق مع وصفها مطلقاً . وإنها هى أوقدت ومرة فى الحجم — تناسق بديع بين الأعضاء . هل تعرفين تمثال « غيبوس ميلو » ؟ .. أجل ، فى « اللوفر » . يبرئنى أنك ذهبت إلى

باريسى .. حسناً ، نصورى « غيبوس ميلو » فى معطف من أحدث طراز وثوب مماثل .. هكذا كانت الآتسة شامبيون ! .. وصحكت المرمرة « روزمارى » ويبدو أنها لم تستمع « مبنوس ميلو » ، أو الآتسة شامبيون ، أو الجمع بينهما ! .. بينما أودف حارث قائلاً : « لقد وصف ديكى براند الصغير السيدة « اعمل ولا تفعل » حير وصف . فقد رأت دار الطبيب شارع ، ويصوب ، فى اليوم الذى خصمته الليدى برانسي لاستقبال الضيوف . وكان « ديكى » الصغير يحدثنى ، وعوى فى سفرته المصنوعة من المخمل الأسود وصدرية بيضاء — هناك بذلك صورة مصمرة لوالده سير دريك — مما إن لمع عن بعد . السيدة « اعمل ولا تفعل » ، وقد جلست فى مقعد كبير ، حتى امدى ملاحظته المارعة بقوله : « هذه السيدة لا تعلم شيئاً الفتة ، وإنها هى دائماً تظن .. فقد سألتها مرة عما إذا كان لابنتها الصغيرة أن تحضر حفلتى ، فقالت : « ربما » .. ولو أنها سألتنى عما إذا كنت أحضر حفلتها ، لأجبها : « شكراً سأذهب ! » . ما أسخف أن « يظن » من أجل أمور هامه كحملات الإطمان أو غيرها ، لأن الحملات تقام سواء « ظنوا » أو « لم يظنوا » ! .. وليس لرايهم فى الأمور الحاربه العادية — مثل الطقس — قيمة ، لأن أحوال الطقس تحدث سواء أخذوا الراى أو لم يخذوه . ولقد سألت أمى تلك السيدة مرة ، عما إذا كانت قد صادقت مطراً عند حضورها فاحاتتها : « لسف طرى ! » . ولا أعلم لم تكثر أمى من الاستعلام عن المطر ، فقد سمعنا — بعد طهر ذلك اليوم — تسأل مسبح سددت على القوالى عن هطول المطر . أما أبى وأنا فلا نعمل

إذا اردنا ان نعرف إذا كان الجو ممطرا أو لا - أكثر من ان نخطو إلى النافذة ونظر إلى الخارج . ثم نعود وسنستأنف الحديث في أمور أكثر أهمية . . اما أمي . فابها سدا لهم عيب إذا كان المطر يهطل ، أو إذا كانوا يعتقدون ان المطر كان يهطل . أو سهطل بعد ذلك . . فإذا اندى واحد لها رانا . سارع إلى توجيه السؤال ذاته إلى الساعين . وقد سالت مره تلك السدة « اعمل ولا تفعل » عما إذا كانت تعرف والدي الشاب الذي تروحها « قاتيل » ، فأجبتني . « أعرف ولا أعرف » . . ففبت لها « إذا كنت تعرفين مارحوك ان محبرني ، وإذا لم يكن يعرفين . فلامفضل ان ترامقني لتلقى السؤال على الأسقف . وعسى الرجل ذو الساقس الحليش . الذي يحمل سلبا ده . . ويتحدث إلى أمي . غير ان السيدة تطلعت مني بعجزة ان لديها أمرا هاما . فودعتها ، ووجهت سؤالى إلى الأسقف . . وإليك لتريين ان « ديكى » الصغير قد رسم صورة دمه لده السيدة ! » .

فضحكت الممرضة روزمارى ، وقالت : « ما أدق ما نقل ديكى ، حتى لا كاد أسمع صوته الرصين وأراه وهو يشد عذيريه الصغير إلى أسفل ! » . فسألها جارت : « ماذا ؟ ! اتعربين الفلام ؟ » . وكان جوابها : « أجل ، فقد أقيمت معهم مرة . ان الحديث مع « ديكى » نوع من التعلم ، في حين ان الطفل « بلوسوم » مرح ولعوب . ها هو ذا سمسون قد أقبل . ما أسرع ما انقضت السهرة ! . . أفيمكننى السفر يوم

الخميس ؟ » . فأجابها جارت : « لا حيلة لى ، فليست أمك أن ارد لك ظليا . . ولكن ، حبى انك لا تعودين ؟ » . فقالت : « أبرق - إذا ذاك - للدكتور برانكة » .

وهيب حارث بلهجة العتب : « أعتقد أنك ترغبين في ان تتركينى ! » . فضحكت الممرضة « روزمارى » ، وأجابت وهى تسرع حارجه لئلا تبادى مصافحة بديه المبسوطتين : « أرغب ولا أرغب ! » .

وعندما أغلقت جيب خفيصة الريد في ذلك المساء ، وسلمتها إلى « سمسون » ، ألقت فيها بخطابين منها ، إلى :

جورجينا ، دوقه ميلدرم ، سيدان (نوريلاند) - لندن .

والسيدة دريك برانكة - شارع (ويمبول) - لندن ،

وكتبت على كليتها : « عاجل - وفي حالة غيب المرسل إليه ، يلحق به في مقره » .

الفصل الثاني والثلاثون

مر يوم الثلاثاء ساكننا دون أية أحداث بارزة ، ولم يدر « حارث » أن المبرصة كانت قد قصت معظم الليل ساعره . يكتب . . نادا شاعت أن تسفرح ، قصت لحظات طويلة في تأمل له حسه السبر وحدا مكنا أميا مؤثرا - فل إعادتهما إلى الرسم - في حرايه كبيرة في حترتها ، كانت تخرج على إعلاهما والاحتفاظ بمعارجا - وإذا كانت المبرصة « روزماری جرای » قد لاحظت - والالام يهزج قلها - ما أعترى وجه « حارث » من شحوب وإبهالك ، دلا على ما عاياه في أيلته - هو الآخر - من أرق شديد واضطراب نفسي . فها لم يداه ما ينف من ذلك . . وهكذا مر يوم الثلاثاء على وسره هاد . . وفي الصباح ، تسلمت المبرضة جرای برقيتين . . تلقت الأولى وهي تقرا صحيفة « الأندلس » لحارث بصوب مرتفع ، إذ أحصرها إليها سيمسون قائلا : « مرقية لك يا آسمة » . وكان من بواعث زهو سيمسون - بعد ذلك - أنه انساق مندبانه الأمر ، لما كان سيمه « عريضة لا يحطى » ، متجاهل لقب « المبرصة » ، ولم يكن يدعو « حبس » إلا باللقب المصطلح عليه « الآتسه » . وقد أوشك أن يفتح نفسه بأنه اكتشف تعريب أمها « سله » . ولكن « مارجرى جرای » أتت في إصرار أن تصدقه . فأنها - من ناحيتها - قد ساورتها الظنون ، بيد أنها احتفظت بها في دخله نفسها ، في حين أن تحمينات سيمسون كلها كانت مثار نقاش مستمر في حترتها ، ولم يحدث أن ورد يوما ذكر « النبيلة » على لسان سيمسون !.. لهذا

فقد عنتفه مارجرى لادعائه شيئا لم يحدث . أمها الخادم « ماجي » ، فقد كانت دائما على ثقة من أن سيمسون مصدر أكثر مما يظهر . ولكن مارجرى كانت يصددها قولها : « تفصديس أنه يقول أكثر مما يعرف ! » . فتحبسها ماجي محتجة . . لا ، أننى أعرف ما أقول ، وقد قلت ما أعنيه » . مردد مارجرى في إصرار على رأيها : « ربما قلت ما تعنين ، ولكنها لم تعنى ما تعلمين . . وإذ سمعت كلمة أخرى عن هذا الموصوع ، فسألوا صلاة احتتام المائدة ، وأرفع أظفام ! » . وهكذا وصفت بهانه للنقاش بما كان له من سطس ، الأمر الذي وضعه سيمسون وماجي - ميا بعد - بأنه « وسيع » . لأنها كانا ما يزالان راغبين في مزيد من الطعام ! ولكن هذا لم يحدث إلا بعد وقت طويل من يوم الثلاثاء النادى . الذى دخل منه سيمسون إلى حجرة المكتبة وسنده صحيفة « مقال لجين وهي مستقرقة في قراءة » التامير » . « مرنة لك يا آتسه » . فتناولت المبرضة روزماری البرقية ، واستندت « حارث » في الانقطاع عن تلاوة الصحيفة ، ثم قصت الرقعة . . وكاتب من الدروسه . وقد جاء فيها « آسمة لهذا الارتباك كما تعلمين جيدا . ولكننى سأبجح (استون) الليلة وانتظر تعليقات أخرى في إردمين » . وابتسمت المبرضة « روزماری » ، ودست البرقية في جيبها ، ثم قلت لسيمسون : « لا رد هناك . شكرا لك يا سيمسون » . فسألها جارت : « أوجو ألا تكون أخفارا سيئة » . فأجابته المبرضة روزماری : « لا ، إنما كنت سغرى يوم الخميس . . فالمرقا ، من عنتى المحوز ، فلعنى

منها داهمه إلى دار متاي .. ويتنصى الأمر وحودى هسالم قبل وصولها ، وإلا حدث مصائب وإشكالات لا نهاية لها ! » . فعلق « جارت » على الأمر ، قائلا في كيد ظاهر : « لا اعتقد أنه سيسمح لك بالعودة بآية حال ، متى رآك هناك ! » . فاجابته وعلى قمها ابتسامة غبية . « أعتقد ذلك ؟ » .. ثم تابعت الصريحة ، وعادت إلى نلاره ما بها .

ووصلت بعد العداء برقيه أخرى ! .. كان حارث خالسا على السابو معروف لحر سينوس « مارش جنائزى فى وماء بطن » . وقد راحت الحجرة تهتر بالعمات العانة . وإذا سيمسور يظهر بوحها المليح والشعر النامى على موديه إلى منتصف خديه ، ودخل دون جلبه ولا صوت ، فوضعت المرسمة أصمها على شعبيها مخدرة ، وتقدمت إليه بحطواتها الصديقه الثانية ، فتسلمت الرقبة ، ثم عادت إلى مقعدها ، واستمرت حتى انتهى مشيع حنارد المفل على البياو ، وهمد صوت ثقات الطبول المدوبة ، ثم مضت غلاما الرقبة .. وفى اللحظة ذاتها : حدث ما لم يكن فى الحساب . فان حارث بدا يعرف « المسيحة » .. وأخذت حيات الآلىء تتساقط من يديه ، منها كانت « المرسمة » رورمارى تنلور برقيدها وتسير انها من اشكور دريك . وكان فعواها « من السهل الحصول على برخص خاص . سأأتى وعلاور متى رغمت . اترقى ثانية » . وعند ذلك كانت معزومة « المسيحة » قد قارت ختامها المحزن ، فسألتها جارت : « ماذا أعرف بعد ذلك ؟ » .

— أعزف ترتيمية .. « تعالى أيتها الروح الخالقة ! »

ثم أحنث رأسها وهى تصلى .

الفصل الثالث والثلاثون

يزغ فجر يوم الأريعاء أول مايو — فكان يوما رائعا .. وهبط حارث فى الحديقة قبل تذوله البطور . وسبعته حين — أنفاه مروره تحت نافذتها — يغنى :

« ليس لى إن أنفنى انشودة بالبهاء المهيب .

« الذى تشعه روح حسسى الساميه على وجهها ! »

ماطلت من نافذتها ، ورأته يسير بحب نافذتها — فى أحدث حله بضاء — محطوب حصية مرة ، وفى كل حركة من حركاته رشاقه لديه ، وليس ما يسم عن عياده دوى عصا من حذران ملقا ، ككن بحيل فى بده ، يثلب لها الحاجر الاحمر أو حذار لقصر .. ولم يكن يوسعها أن يرى سوى ميه رأسه الأسود الشعر ، تماما كما حدث حين اطلت عليه وهو شامه قصر (شمسون) . مد نلاب سواب . وبابته الى ن فناديه من النافذة : « حبيبى .. يا حبيبى ! عم صابحا .. بارك الله بومك ! » .. آه ، ترى ما الذى يتمخض عنه هذا اليوم .. اليوم الذى يلقى فيه اعراسها الكامل . وبعد احاديث وموسلاها كى يصصح ! .. لقد كان على باعيا كبر من عادابه .. كان مرهف القلب ، موفور الحب ، ذا روح فنية ، شاعرية ، لا تقبل الضيم .. كان صغيرا برغم حبه العظيم . أما لمييا يتعلق برحولته ، وحيه ، وحقه المطلق فى الاختيار وفى البيت ، وفى تنسكه بالراى الذى يكونه بعد در .. « يا حبيبى ! كل رأى للعبر متى بدا له أقل قيمة .. »



في ذلك اليوم - ووالده يسير نحو والدته - في حدث حلة

بيضاء - خطوات خفيفة مره

لا يتشى . وكادها كان الألم يمسسه بردا وسلاما . بل كان الألم يحوله من عاشق مصهور القلب ، إلى قضيب من الصلب .

وعندما جثت « جين » أمام نافذتها - في هذا الصباح - لم يكن ليدور بخلافه أو يدرك ما الذي سيكشف عنه المساء . . هل ستكون في طريقها إلى « أبردين » ، لتسقل قطار الليل إلى الحبوب أو تسفر بها في مسرعا حب « حبارت » ؟

وكان الصوت الحبيب ما يزال ينفى في الحديقة :

« إنما لي أن أسير في ركابها . . »

« وأنفذ بشيئتها في الفرح والألم . . »

« وأحرق على مذبحها بخور الحب الشذى . . »

« وأعبدها عن بعد في خشوع » .

همست حين - « أواه بها المحبوب . ليس عن هذا إذا كنت برده . . وما عليك إلا أن مئذنب مكنون لك ، على أقرب ما يمكن للحب أن يقرب بين هيبين . ولن يعود بينك وبينى أى بعد ! » . ثم - وبالطريقة العجيبة التي تنمذ منها إلى لعقل كليات ذات قلبه قدسه ، في غير ماسساتها الأصلية . لتوحى بمعان تخلف تماما عن معانيها - صلت الكلمات إليه على دهن حين منطلت به . « لأنه هو سلام » الذي جمع الاثنين في واحد ، وهدم الحدار الماصر بيننا . . عسى أن يصلح بيننا ، بمصل الصلب . « وأردمت هامسه : « يا يسوع النحس ! إذا كان صلبك قد عمل هذا لليهودى والوثنى . أنلا يمكن للصليب الثقيل الذي جعله . . في زيرتي . . »

إن يفعل ذلك له ولي ؟ .. وبذلك يتسنى لنا - أخيرا - أن
" نقبل الصليب " معا ! » .

ودوى ماثوس الفطور في الدار ، فقد كان سمسون يجب
بواقيس إعلال وقت الوجبات ، وبصرها « تطلعا تاريخيا » ،
مكثن بصر على المنسك بها .. وعطبت الممرضة « روزماری »
لسنول لعدول .. ووعدها حارث من سرعه ، وهو يعمد
لحن : « ألف جهال أعرفها جيد المعرفة » . وكان في أقصى
حالات البعطة والمراح المطلق . وقد لبسها من الرعب .
برعوم ورده ذهبيه اللون . وعبرته في عبوة مدرته . سم
جهل في يده وردة صفراء . وما أن دخل حتى قال لها :
« سعدت صباحا يا آنسة روزماری .. يا له من يوم جميل
من أيام الربيع .. لقد خرجت مع سمسون حين غادرت
الطيور أوكارها .. اليس كذلك يا سمسون ؟ .. بمسكين
سمسون .. فلفد أرسحه رين حرسى الكورائى في حجرته .
في أساءه الحائسه صباحا ، ماسى لم احتمال البقاء طويلا في
العراش .. لقد استعصب وفي معنى شعور أن شيئا يوشك
أن يحدث . وقد اعتادت « مارجرى » أن تقول ، عسفها
كنت استيقظ بهذا الشعور في مغرى : « انهض يا سيد
حارث ، مكلما عطلت بالنهوس ، عدل الأمر بالحدوث ! » .
سملها يا سمسون تنبئك ! .. هل تنكرين يا آنسة جران .
ذلك القول المشهور . « إذا استعطلت منك » . فأيقظي .
انظري يا أمى السريرة ! .. لقد أعدت أن أكره انشاء
صاحبة هذا القول ، إذ يخيل لى أنها في انفعالها كانت
سسيقت قبل أمه المنسكه التى كانت ولا بد مصفاة مرهقة ! » .

وانتظر سمسون حتى قاده إلى مقعده بجوار المائدة ، ثم
رفع الاعطية عن السحاب ، وخرج . وما أن اعلق باب الحجرة
خلعه . حتى انحنى حارث في مقعده ، وندقة وصنع الورده
المستحقة على طبق الممرضة روزماری وهو يقول لها : « الورد
لروزماری .. نسيها على صدرك إذ كنت وثقه من أن متأت
لا بغير من عسى ذلك . بقدر شعس مالى بالمعكير منه وفي العمه .
وبمست أو لك دعوتها للحضور إلى هنا ، بدلا من الدسم
إليهما يوم الخميس . فكك مقصى نهج : فب حائل بالمرح
المناسب .. ثقت العف مع العمه ، مسم ، لهنس أثف مع الشاب
حارث لدار . ومن السهل أن أحمل على حشبر العمه من
التسلل خلفكما في الأركان والمحاض ، فب نوتت من موهبه
السمع المرهف الذى يموق سرعه بطرات العبات .. مددا
سمعت منك سعة لطيفة سارعت إلى التشبثه بالعمه ، مصرا
على أن تقودنى إلى ركن آخر بعيدا عنكما . وقد أراعتها في
برهة بالسريرة سميا بدهسين مع الشاب في برهة بالقرب .
وبعد أن يقضيا معنا مدة ، تتم فيها تسوية كل الأمور على
أحسن وجه ، بحسرم اتمتعهما وبودعهما ، ثم يعود معا إلى
هنا .. أوامه ما آنسه حراى ، هلا كنت لهما كى بحسرا بدلا
من سفرك يوم الخميس ؟ » .

مانحت الممرضة روزماری ، وغالب به في لهجه مشسعه
لللوم وقد لمست بدء نجاة طمقة « يجبل إلى - يا سيد
تالين - أن هذا الصباح ، وهو يوم الاحد ، قد
ععلك .. وسأطلب مارجرى فربما آتت بمرفه أثير ممد

القدم ! . فقال لها جارت وقد احصى مقامه إلى الامام .
واحد محدثها وكأنه ييوح لها بسر : « ليس الامر كما يحالين .
ما شينا سيحدث اليوم يا صغرتي رورمارى ، عما من مره
هنا فى هذا الاحساس الدامق إلا حدث شيء ما . . وكانت أول
مرة منذ خمسة وعشرين عاما ، إذ كن لى حصال مـ رجع لى
النهر الكبير ، أقمر عليه كلب مزلت إلى النهر . ولمست أنسى
أول مرة امتطيت فيها هذا الحصان المتأرجح . . كنت اشعر
باحتياج يشوبه خوف كلما مال إلى الوراء ، وكنت اجلسلى
أغوص فى الهواء كلما مال إلى الامام ، وكنت اشعر بحيلاء . .
تمكنت من أن أكف عن التشنج بمقنصه الجلىدى . . ومره
كدت افنك مائى عى لانه جلع ديله ، فرجت أسوطه بالذيل
.. وما أسحفت ما مقلت ، فقد اطلقت الذيل مصلا عن اسى قد
آلمت أمن عى . وفى مره أخرى . . أه ولكنى اشعر مائى قد
صايحك " شربى " . صاحبه المرمصه رورمارى بكل سامه
« أبدا . . كل ما أرجوه هو أن تتناول إفطارك ، فسوف يصل
البريد بعد لحظات ! » .

* * *

وبدا وجه جارت متألقا ، شديدا المسمره . . يا لهذا
العلام المرح لعيرى . وقد باد مرمصه عقبه الشنة أشوبه ملازل
دهمية ، ويوردة صغراء شنتها على صدره . وشعرت جين من
انتباهها من شعوب ، وبما كان فى مسوتها من توجس حين
قالت : « فسوف يصل البريد بعد لحظات » . ولكن جارت
صاح : « أه . ذلك من البريد ، ولنقص يوما مـ رجا . مسريح

منه من نص الخطابات أو تلاوتها . . لى اليوم " يوم مايو " .
وسنقومين أنت بدور « ملكة مايو » ، ونجعل من مارجرى
الأم المحور ، سب مثل « دور « روبى » . ذى القلب الكبير ،
الذى مال براسه على حافة الجسر ، تحت شجرة البندق . .
أما سمسون فسيقوم بدور الصبي الكبير . . ويذهب جبسا
لفعل الرهور واسراهم ويضع منها أكاسل رآهه نهجه ! » .
فأجابته المرمصه رورماى ، وهى تصحك بالرغم مما كانت
محس منه : « يا سيد دالين ، يجب أن تعود إلى رراتك وإلا
لجأت إلى مارجرى لاستشيرها فى الامر . لما عهديت فسل
اليوم فى مثل هذا المراح . . ماأحبها حارث : « لأنك لم ترىنى
قبل اليوم فى يوم كنت أرتقب أن يحدث فيه امر هام » .
وصمتت المرمصه رورمارى . ولم تحاول التصديق عليه كـ
من ذلك .

وبعد انتهاء الامطار ، ذهب " حارث " إلى البساتن ، معرب
بعض الابحر الرافضة الحصفه ، التى سرت عداوها فى الجو .
حتى أن سمسون لم يتهالك بعفه ، ماحدث قدماء تحطوا
فى انتظام موسيقى ، وهو ينطق أدوات المنصده . أما المرمصه
روزمارى ، فقد كانت موق مقعدها شاحبه الوجه قلقة البال .
وأماها حرمة من الخطابات شغلها عن تحريك قدميها .

وجعل " سمسون " عطاء المنصده ، وسار إلى الباب . . على
نغمات الموسيقى . ثم حرج ، وأعلق الباب خلفه . . ولم يكن
المرمصه رورمارى قد تلت حوايا عن ذكرته على مائدة الافطار
عن حرمة الخطابات ومضها وتلاوتها . وما سمع أن اسباب فى

أرجاء الحجره صوت البياتو وهو يعزف قطعة « تألقى أيها
الديابة المضيفة الداكنة » ، كرتين أجراس من الفضة . وإذا
بالناب يفتح وتظهر مارجرى المحورى مراعه ، وعصا مروله
حزبية سوداء ، وقبعة ورقاء . وتقدمت نحو البياتو ،
فوصعت يدها على ذراع جارث وقالت : « يا سيدى جارثى
- فى هذا اليوم الحبيب - أول مايو - هل لك يا سيدى جارثى
أن تصطحب مارجرى المحبور إلى حوبة فى العابت ؟ »
فتوقف « جارث » عن عزف البياتو ، وقال لها : « طيعا ،
سامعل ذلك يا مارجرى .. ويهده الماسسة يا مارجرى ،
أحسرك أن شينا ما سيحدث اليوم ! » . فعالت مارجرى
المعجوز بحنا ، ووجهها مشرقى - وهي تنظر إلى الوجه الأعمى
الحبيب - تنفس مارجرى « حس » بدموع « أعلم ذلك
يا صغبرى ، مقد استقبلت اليوم وأنا احس بدأت الشعور
يا سيدى جارثى .. والآن هيا بنا إلى العابت لصصى إلى
صوت الأرض والأشجار والزهور .. فانها جييما ستستبنا
عما إذا كان ما سيحدث اليوم أم لم يفرح أو محزن .. هيا
يا ولدى الحبيب ! » .

ونهى جارث وكأنه فى حلم .. وبدأ - رغم عماء - غشى
الضباب ، مفرط بحال ، حتى أن قلب « حين » كاد يجمد
ساكنا ، وهو يتأمله .. وعند المامدة ، توقف عن السير وهو
يقول بلهجة مبهمه : « أين هى كاتمته السر تلك ؟ .. لقد كانت
تلج على فى أن أتقى مسحبا من الحدران ! » . فغالب له مارجرى
المعجوز ، وهى تومىء فى اعتذار نحو جين : « أعلم انها فعلت

ذلك يا ننى ، ولكنك تعلم بأنها لا تعرف شيئا عن اليوم الذى
مستقبله منه شاعرا بأن شيئا ما يوشك أن يحدث ! » .

وقالت « حين » لنفسها ، وهى تمتد إلى الشرمة : « أحقا
هى لا تعرف ؟ » .. ثم أردفت : « ما دام حبيبى جارث قد
يقدر رأسه العرير - واسلم نهاده إلى مربيه لينطبقا إلى
الخارج - هان « الشئ الذى سيحدث » لن يحدث بعد .. » .
ثم جلست حين إلى البياتو - بعد خروج جارث ومارجرى -
ومرت بأصابعها عليه ، موقعة لحن « المسبعة » . ثم ذهبت
إلى الشرمة ، وظلت عينها مدها ، حتى استوثقت من أن
القوام المشوق الملتف فى ثياب بيضاء ، قد أوشك أن يبلغ فيه
الثل ، مقابضا ذراع المراه القصيرة المبرء .. وإذا ذاك .
عادت إلى البياتو ، وبدأت تعزف « المسبعة » .

وخرجت - بعد ذلك - فى نزهة عند برك الماء ، ورشما
استردت هدوء أعصابها بالسير بحطوات واسعة ، واستنشاق
النسيم العليل بعقب .. وأعادت تلاوة الرقعة - التى كانت
فى حبيبها - مرات ، ثم أسرعت الخطفى إلى حوب القناه وهى
تردد العبارة : « يسهل الحصول على ترخيص خاص » ..
آه ، قد يكون الترخيص أمرا ميسورا ، ولكن .. ماذا عن
العمران ؟ .. يحب الظفر به أولا . فلو أن الأمر اقتصر على
هذا الفتى العرير ، فى ثياب البيضاء ووروده الصمراء ، وهذا
الحنون الذى يته فى عروقه أول أيام مايو ، لحاز الحصول
على ترخيص الزواج فورا ، ولا يمكن تحقيق كل دعيانه فورا
.. ولكن هذه الناحية من تواصى شخصية « جارث » بإحبه

عابرة . ولكنها كانت مصطرة إلى أن تعانج الأبر مع الرجل صاحب الوجه الأبيض الشاحب ، الذى قال فى عزم ومصميم : « سأحمل صليبي » ، وسار مغادرا كنيسة القرية ، وابتنعد عنها طوال تلك الساعات . . . ذلك الشخص الذى كان يحبها حباً ملا قلبه ومسه ، ولكنه - مع هذا الحب الجارف - تركها دون كلمة أو إشارة ، ثلاث سموات طويلة . . إلى هذا الرجل يرفع الاعتراف ، ومستكون كلمته هى القرار الحاسم . . وكفى بك الأبر ، ما بها لم تدهش عندما رآته جالسا إلى المائدة - عبد عودها لتناول العشاء - وقد تأخرت قليلا ؟ .

وإذ شعر بها تاح القاعة ، قال فى لهجة رصينة : « يجب أن أعتذر لك - يا آس - حراى - عن مسلكى فى هذا الصباح . فقد كنت « مسوقا وراء المحبول » . . ومارخرى نعم ثابا هذه الزعة ، وقد استنعب - هى وأنا - إلى أيا الأرض ، ولمسا بأيدينا طراوتها الحوى ، وكاشمتنا مكيوى سرها . . ثم اسلملجعت بحب أشجر اشربين . واستسلمت إلى يوم عهيق استيقظت منه هادىء النفس ، موفور الصحة ، مستعدا لاستقبال ما مأتى به اليوم من أحداث ، فليسوم مأتى اليوم بأمر ما ، وليس هذا يوم ، فاليوم يوم أحداث جسام . . كل هذا تعرفه مارجرى هى الأخرى ! » . فأجابت الممرضة روزمارى : « ربا . . وقد يكون فى برد اليوم أناء هائلة » - فقال حارث : « آه ، فأتى ذلك . . أننا لم نفرض

مريد اليوم ، ملنغم بذلك معد العشاء مدانره . . هى الخطايب كثيرة ؟ . . فأجابت الممرضة روزمارى : « أنها حزمة كبيرة ! » . وبعد نصف ساعة ، جلس « جارث » فى مقعده فى هدوء وترعب ، ولرب وجهه شطر كنيسة سرره . وتناول خطباته ، فتمسساها ، وإذا بنها خطاب مخنوم بحاتم يحمل ثمار القبة والريشة وقناع حديدي . . ولحت الممرضة روزمارى وجهه يشحب لدى تحسسه الحاتم . ولم يد أية ملاحظته . . ولكنه وصح الخطاب فى آخر الرسائل ، لكى يكون الأخير فى القراءة . . ملما تم الاطلاع على الخطابات الأخرى ، أمسكت الممرضة روزمارى بالخطاب المخنوم ، مساد الحجرة سكون عميق . . وكانا وحيدىن ، ولطنين البطل يسعث من الحديقة ، وغير الزهور ينسل من البامدة . . ولم يرعج وحدتهما احد . ثم تناولت الممرضة روزمارى الخطاب ، وقالت : « همد خطاب مخنوم بالشمع الأحمر يا سيد دالمين ، وعنى الحاتم شعار قبة وقناع و . . » . مقاطعها حارث : « أعسرف كل هذا ، فلا داعى لإيضاح . . ألا تفضلت بنفسه ؟ » .

عمست الممرضة روزمارى الخطاب ، وقالت : « انه خطاب طويل جدا يا سيد دالمين » . فتهف : « حقا ؟ ! . . هل اك ما آس حراى أن تقرضه على ! » . . واعتقت ذلك لحظة من الصمت الممض ، ثم رفعت الممرضة روزمارى الخطاب . غير أن صوتها أبى - فجاء - أن يستجيب لإرادتها ، بينما كان « جارث » ينتظر فى إصغاء . وما لى . . قال : « أوح يا سيدى أنه خطاب شخص مسرى ، وأرى من العظم على

ان اقراه عليك ! » . وادرك جاث من صوتها ملهى خرجها ، فأتجه إليها لطف ، وقال : « لا تس يا بيتى المررد » فليس هذا من شأنك . أنه خطاب خاص بى ، ولكن وسيلتى لمعرفة محواه ، هى استبناج ما يراه عيناك وما ينطق به سمعك . ثم ان السيده صاحبة السمار ذى القعدة والريشه . لا تملك سرا خطيرا تبلغنى إياه ! » .

وقالت الممرسه رورمارى ما يسى فى صوت مبهج : « آه . بل لديها ! » . فوجم جاث برهة ، ثم قال لها : « إذن ، ماقلنى الصمحة واقترئى التوقيع » . مكان جوابها : « إن الخطب من صفحات عديدة » . وهيا مال فى حده : « اقلنى كل الصفحات » . ولا تدعبنى انتظر طويلا . ما هو توقيع الخطب ؟ » . فاجابته الممرسه رورمارى فى همس : « روحك ! »

وشمل المكان صمت رهيب ، وكأما احوالت الكلية - التى همست بها الممرسه - حارث الاعمى إلى حجر صلد . وما لست أن مد يد قائلا : « هل لك ان تعطينى هذا الخطاب يا أسسه جراى ؟ شكرا لك ! » . أحب ان اخطئ منعى نحو ربع ساعة . وأكون مقننا لو تفصلت بالانتظار فى قاعة المعلم . على ألا يرعى احد . . وبعد انتهاء هذه البرهة ارجو ان تعودى ! » .

وكان يتكلم فى هدوء واتزان وحف لها قلب حين ، ولو أنه سوى شينا من الانعمال ، لاطس مالب . . بهذا هو الرجل الذى احبى رأسه ده الشعر الأسود اللامع . أمام صورته يصيب - على يامده كنيسة القربة - قائلا : « ابنى اتقبل

الصلب » . . وهو الرجل الذى لم تتعثر خطواته حينما سار من عتة الهيكل ، ومركها . . هذا هو الرجل الذى أوتى المقدرة - من ذلك الحين - على أن يعتبر تلك الفترة من علاقتهما مهية ، فلا كلمة اسعطاب ، ولا اثر للذكرى ، ولا إشارة لوم . هذا هو الرجل الذى وقعت خطباتها له بكلمته : « زوجتك » .

ولم تكن حس قد شعرت بخوب طوائ حياتها ، ولكنها عرمت إذ ذلك . وعندما نهست فى سكوت وتركته ، اختلست بطرة إلى وجهه ، ناد به بحس حامدا وخطاب مشور من دمه . ولم يكن قد ولاها وجهه حس تسلم منها الخطباب ، ملاح المطر الحاسى لوحه كما لو كان مينا حبيلا محسوبا من العاج الأمص . ولم تكن شبه لحة من لون فى وجهه . . مجرد ع - شاحب ، سخله أموسى تمثل فى حاجبيه وشعره الأسود الماء ردى ، عادت الحجرة ، وأعلقت الباب خلفها .

ومرت بها أطول خمس عشرة دقيقة فى حياتها . . كانت تعلم رجه المعركة البائله التى تحدى داخل تلك الحجرة الساكنه ، مقد كن حارث يسعى إلى الت فى الأمر ، دون أن يسمع أية حجة . أنه لم يسمع - فى إصراره الفريب ، الرهيب - سوى كلمة واحدة من خطايا ، وهى عمدة الخطب . . هى الى صنع الخطب كله بعبه لبعضى إليها . ولا بد أني كتعت له - مورا - طامع الخطاب ، وهذه البند التى حيرته !

وأخبرت جين تفرع حجرة الطعام في خطوات سريعة ، وفي هم وقنوط ، وهي تذكر الساعات التي تقضيها في التفسير و صوغ الجمل - لتبني عقله - في حذر - لما سيكشف عنه التوقيع .

وفي عصره اضطرابها الذهني - وانتهى ذكرى حديث دار بين المعرصة روزماري وبين حارث عن الصوريين - إذ ساءت لآوى - « هي روحه » ، « ما جابها جارت » : « نعم » . فأدركت جين لتوها ما كان هذا الرد يكشفه ويتضمنه . ذلك لأن حارث كان قد استوفى من أمهاله ، في تلك اللحظات الرائعة التي مضاهها في شرفة قصر ، شستون ، إلى درجته أنه طلع إليها « وبداها » « بارحى » . لا سيحبه المسعر - وإبنا تمريرا لأمير واقع باطع . . وهو لا يزال يصعها في هذا الموضع ، لا يحلها منه . سها كما لو أن قسا وكتانا وحائبا تضافروا على توحيد حياتهما بالزواج ! . .

لمد كان اتحاد الروحين - في رايه - مقبها على ما عداه . مادام هذا الاتحاد ، بكل ما تنبع من إجراءات اتوبيق ليسب سوى مراسم تمرير أمرا من معلا . ولقد أدى خوفها ، وعلم اطمئنانها ، وتعمير أفكارها بها ، أن الإجراءات لم تعقب الاتحاد ، عابرت حسناهم ، وذهب كل منهما في وجهة - وجهة الأخرى . أما هو ، فقد اعتسر أنه لا يحد . في طريقها - أن يكون مجرد مرد من معارمها . وكان خلال السنوات الثلاث . يعتقد أن دورها في ذلك أمران الروحي - الذي عمدها في تلك الليلة - لم يوجد إلا في حباله هو مقعد ، وهو لا يقسدها

شيء . . أما هو - جارت - فقد ثبت على عهده ، لأن الكلمات التي قالها في تلك الليلة ، كانت من ناحيته حقيقه وصدا . ومن ثم فقد قالها . . ولأنه قالها ، فقد أصبح يعتبر « جين » روحته في الحياة وما بعد الحياة . . وكان مهم هذا المنطق - بالعبريه - هو الذي شجع جين على أن توضع الخطاب منك الكلمة ! . ولكن ، كيف السبيل إلى التوقيع بين ذلك التوقيع . ومن المعركة التي أوحى إليه بها نصرمها ، لم يدع له أي أمل في أي تحول ! !

وتكررت جين - إذ ذاك - بارتياح ، ذلك الالتحاح الذي نداه « الصدق » . لم يقو على مقاومته روح العسل . . صدق الحطوط . . وصدق الآوان . . وصدق اسم والمغيبس . . وفي عالم الصوب ، صدق الغمم . والبواق ، والبريد . والعبادة . . فلها وصفت المعرصة « روزماري » صورة « الزوجة » بأنها نصر للهن ، أجابها جارت بقوله : « بل هي نصر للصدق والحقيقة ! » . وكان تعليق « جين » - في نفسها - على البسرة التي استشمها في وجهها : هو : « أهذا حق ! . . أجل ، به حق ! » . مهل معز عليه الآن أن يتبين صدق ذلك التوقيع . نذا تبينه ، أملا بفرح - في وحدته - بأنه تعود إليه روحه ! . . ما لم يدعه ما في خطتها من اعترافات - إلى أن نصيبها عنه ، ولا يحسب لها حسابا ! !

ومحاة فنادر إلى دهن جين أن هناك ميره عطشى ، وهي أنه سيطلب ولا رب سماع كل كلمة وردت في خطتها ، مما كان عليه محتلم الخطاب ليحول دون اطلاعه على صهو . . وعبد

ذلك تخطى لها أن يدا علوبة قد رنمت كل ذلك ، ثم قالت في نفسها ، وهي تضحى الدقائق التي كانت ترحف في مطء شديد : « لقد هدم الحدار العاصل سنا ! » ، معشيتها طمانينة ناعية ، واستكن السلام في روحها .

وبمر مع المساعة .. واختارت « جس » السيو محطوات ثابتة صامتة ، ثم تمهلت قليلا خارج الباب ، ريثما استمادت حواسها ورباطة جأشها . وفتح الباب .. وعادت الممرضة رورمارى إلى المكتبة !



الفصل الرابع والثلاثون

كان « جارت » واقفا أمام النافذة المفتوحة — حين عادت الممرضة رورمارى إلى الحجرة — فسهل قليلا فس أن يعود إلى مواضعها .. وتمتدت الحطاب في تلق ، موجدته بشورا لها على المنصدة ، أمام مقعدها ، وتبينت عليه آثار تقصص صفت شديد ، وكان بدا كورته وألقت به إلى سلة المهملات . ثم أعيد نشره وسويت أورايقه بعناية ، ووضع حيث كان مجلسها .. وكانت تخطى على وجه حارث — حين أريد من النافذة إلى مقعده — علامات صراع شديد ، وظاهر برجل يجاهد في مجال يرى ما أمامه ، برغم أنه لمقد الإصدار .. وقد اختفى السحوب الماحى ، إذ أحمر وجهه .. كما تشعث شعره الذي كان عرييا ، يحيط بجبينه وأعلى صدفيه بعناية .. غير أن صوته كان مقربا حس لعمت إلى كتابة سره قائلا : « إمامنا مهمة شاقة ، يا عزيزتى الأنسة جىراى .. لقد تسللت خطابا أرى من المحتم على أن أسبع فحواء ، وأنا مضطر إلى أن أدالك أن يقرئته على .. إذ لا يمكننى أنى حال أن أعهد إلى شخص سواك بذلك . ولا يسعنى أن أنكر أن هذه المهمة ستكون قاسية واليعة عليك ، إذ مستجدين نفسك وبسطة من قلبين حريصين خسرير . ولكنى أسر عليك احتمال المهمة يا مرسى أصغره ، العره ، أوكد لك مرسى لا أعرف في اعالم شحصاء . وإن لم تطع أن أسمع من شعبي — فأقل لم يمكن — ما ستنى على .. »

مقداني بصرى - عينان غير عينك أسمع لها من ثلها بهذه
السطور ، وأنا غير كاره . . ولا يوجد عقل آخر غير عقلك ؛
أضع فيه سهل ثنى - دون تردد - لبرمق في الحكم على
وعلى كتابة الخطاب ، ثم ينسى في إخلاص صادق ، كل
ما لا يقل كلالا أن يصل إلى علم شخص ثالث ، مما جاء به
الخطاب .

مأجابه الممرضة روزمارى : « شكرا لك ما سيد
دلمين » ، وإدراك ، « استطع » حارث « في مقعده وقد حسب
وجهه في راحته » وقال : « إذن » فارجو أن تشرعى . .
وبدأت الممرضة روزمارى تقرأ في وصوح وهود ،

« عزيزي حارث » « أما وقد رسمت حصوري إليك ، لأدلى
إليك - قريبا بيننا - على امراد - بكل ما يجب أن يقال ، ما
أرأى مضطرة لأن أسطره لك . . انها علقك ما دال . وهذا
بحر تخيل العقاب معا ، إذ كيف يمكن أن أكتب لك بكل
حريه ، وأنا امرؤ أنك إذ تنصت إلى تلاوه هذا الخطاب .
سنين - عنه كل كلمة أكتبها لك - أننى أقوم شخص
نالتا على ما كان يسمى أن مضى سرا دينا بينك وبينى وحدا :
. . ومع كل ، ملا مدلى من أن أكتب لك بصرحة مائة ، وأن
أجعلك تفهم كل المهم ، لأن مستقبل حياتك وحماي يتوقفان
على ذلك من هذا الخطاب . سأكتب لك كما لو كنت سمعت
الخطاب بين يديك وتقرؤه نفسك ولعسك ، ومن ثم - فما
سكن موسك أن تطس نياها إلى كانه سرك ، وأن تدعها على
أسرار قلبك وقلبي ، فأطلب منها أن تعيد الرسالة إليك في

أن تتمكن من تلاوة الصفحة الأولى ، ودعنى أحضر بنفسى
لاخبرك بكل شئ . . » .

وهنا قامت الممرضة روزمارى . « هذه بهانه الصفحة
الأولى » . وظلت تنظر ، فلم يحرك حارث يده ، بل قال
« أنى أنى نكاته سرى أمام الثعة ، ولا أريد حضورها هي ! » .
مطلعت الممرضة روزمارى الورقة وبدأت تقرأ الورقة الثالثة .

« أحب أن تتذكر يا حارث أن كل كلمة أكتبها ، هي الجمعية
المحددة من كل تميم . ولو عدت بفكرك إلى ما تذكره عنى .
فستسلم بأننى لست - بطبعى - كاذبة ، ولست منافقة .
برأوه . . غير أننى كدست عليك - ما حارث - مرة واحدة ،
وهذا الاستثناء المشنوم يؤكد الالتزام التام للصدق ، وهو
ما كان دائما رائدا معا . وما أصرع إلى الله أن يمسى نيا اند
الدهر . وأعمرانى الذى أسطره هنا ، حاصى بلك الأكثونه
الوحيد . . ولا حاجة من لأن أسالك أن تقر ما فى اضطرابى
إلى أن أعصب رجلا رقص أن يتعسى صديقه رائره ، على أن
يسمع اعتراف ، من إدلال كبرىائى . ولا بد أنك تذكر أننى
لست ذليلة بطبعى ، وأننى على قدر كبير من الكبرياء الحق
. ولعلك تستطيع أن تتحد من صحابة الجهد الذى أدله
مقاسا لتعرف مدى حبى . فليأعذك الله فى هذا يا عزيزى
. . يا حبيبى . . يا متاى الوحيد المسكين ! » .

ونوقمت الممرضة روزمارى عن القراءة فجأة ، إذ أن حارث
بعض من مكانه . لدى هذا الذكر أسمع بلص ، ولدى
. . سماعة كلمات جين العاصيه . غير أن سماعة . . وهذا خطوبين

بحو الفأمة وكأنه يريد المرور من شيء أصح من أن يقوى على مواجهته . ولكنه تمالك نفسه - بعد لحظة - وعاد إلى ممره ، وعطى وجهه بيديه . ومضت الممرضة روزمارى فى تلاوة الخطاب :

« آواه .. يا لحط الحسيم الذى أربكته بالنسبه لك ولنفسى معا ! .. هل تذكر تلك الأهميه التى النقيما فيها ، فى شرمه تصر (شيسنوى) يا عزيزى ، وسألتنى « أن أكون ، بل دعوتنى .. فكنت .. زوجتك ؟ » .. ها أنذى يا جارث أستبمى هذه العباره الأحيه كما هى ، بما حوته من محاورات نحو بلوع الصديق .. لن أحدهما أو أعدلهما ، بل أتركهما لغير آهلك .. لأننى - كما ترى يا جارث .. قد وصلت إلى ما أهدف إليه .. لقد كب روحك ، ولم أدرك هذه الحميمه وفئدت ، إذ أن المأجاة كانت شديده ، وكنت حاهله - إلى درجه لا تصدق - بالمسائل العاطفيمه .. ماذهل من المشاعر الذى حرمى ، وأولئك أن يحوسى . ومع ذلك ، فقد أدركت - إذ ذاك - أن روحى قد هب وبادت بك ألبا وسدا . وعندها صممتى ، وأسندت رأسك المحبوب فوق قلبى ، عرفت - لأول مرة - معنى النقشوة والانتقان .. وما كنت لأسأل السماء بمعه أكرم من أن تطول تلك الخطاب إلى ساعات ! »

وتهدح مجاء صوت الممرضة روزمارى الهادى ، مبوميت عن الفراءه . وكان حارث يميل إلى الأمام ، ورأسه دمين فى راحته ، وقد استب من خلفه شهقه خفيفه ، فى ذات اللحظة التى تداعى فيها صوت الممرضة روزمارى .. على أن جارث

كان الأسبق إلى استرداد حاشيه . مسط يده عبر مبتصده . فى عطف وحسان . وهمف دون أن يرمع رأسه : « مالك من مسكيتيه ! انى شديد الأسف ، فالأمر أتسى من أن تحطليه . نيت الخطاب قد وصل فى وجود براند هسا . وإن أسمى ليشد إذ اضطر إلى أن أطلب منك الاستمرار فى القراءة .. ولكن ، حاول أن تقرئى الكلمات دون استعاب معانيها . ودعى هذا لى ! » - فعاودت الممرضة روزمارى القراءة :

عندما رمت رأسك فى صياء القبر وصوبت نظراتك - بشوق ولهفه - إلى . آواه ! يا لظلمة العينين ! .. لقد حملنى بطرائك اعطى إلى نفسى فحاه ، وجباحى إدراك لما أنا عليه من بساطه مالمه فى الملامح ، ولدى ضآله ما كانت متطلع إليه ظلمة العنابر المسيررتان .. لم يكن فى وجهى ما يستحق الطراب الوالنه ! واحباحى الحياه . فصمت رأسك ثابتة إلى حيث تحتجب عيناك . وانى لأبين الآن ذلك التأويل الذى أولت به هذه الحركة .. انى أؤكد لك - يا جارث - من المره الأولى التى ملن فيها عقلى إلى أن هذا الأمر العجيب - الذى كان مجرى - انما معنى « الزواج » ، وهى فى اللحظة التى رمت فيها رأسك للمره الثالثه ، قلت . « يا روحى ! » . وانى لأعرف أن قولى مكاد يندو بعدا عن أن يقتله العقل ، بل وأجسد أن يصلو من فتاة فى الثامنه عشرة ، وليس من امراه فى الثلاثين . ولكن علمك أن تذكر أن كل علاقائى مع الرجال - حتى الساعة - لم تقدم عليه . وعرف ليدى . والزمله الفاصله القلبية ، أو ضربا علم ، قد مر حى إلى

آخر .. ولا نفس -- يا اعز ملك لقلبي -- أنك ، إلى ما قبل ذلك الحدث بأسبوع واحد ، كنت من الشبان الذين يطلقون على : « جين المحور الطيبة » ، وكنت ماديبي في أحاديثنا الخاصة بيا « صديقتي العذرة .. ثب لا تسر أسى كب انظر إليك دائما على أنك تصغرني بعدة سنوات . ومع ان رابطة عميقة عديده ، مما يسا - منذ ليلة الحفلة الموسيقيه في ١ وفردس - إلا أنه لم خطر سالي لحظة . ان عده ارباعه .. حب ! واثك لتذكر كيف سأنتك مهله لاني عشرة ساعة . لا تندر الرد . وقد رسمت أنت لهذه الرعه مورا - وما كان أبدا مومك في هذا الأمر ما حارث : - ثم تركتني حين طلبت منك ان يركني وحده .. سادرسى بحركه لم اتسها قط - فقد كشفت عن الطريقه التي يسو منها حب الرجل المأراة التي بنصب عليها .. لقد اصمغ دبل الثوب - الذي كنت ارتديه - مقدسا عندي منذ الحين . واني لآخذه معي أينما ذهبت ، ولكنى لا ارتديه قط . واني لآس ان أروى لك يوما دقائق ما جرى في الساعات التي اعقبت ذلك - ما حسنى - ملسست اقوى على كتابتها .

ودعنى أسكب على الورق ، الواقع الشمس الذي مرق بيضا . بكل مدحه وشباعه . والذي احال هماغا المشرق إلى أسى وحيية أمل .. اقضى لم اكن اعتقد - يا جارث - بأن حبك يقوى على محبه خلوى من الحال .. كنت أعلم جيدا ما مطرت عليه من عبادة للحبال ، وكيف كنت تسعى دائما لأن تكون محوطة به في كل أشكاله .. ولقد تصمحت بذكرى اليومه ، حيث

سجلت حرما محروما حديثا دار سيفك وببى عن القس السدى اشرق وجهه مباء . بعمل الحلال القدسى الذى كان ممبر نفسه . وكنت قد عثقت على القصة . ما أنك لم بعد تراء قبى الشكل ، ولكنه سيظل دائما دا وجه سيط ، خلوى من الحبال .. وثل أنه لم يكن من الوجوه التي يرغب الإنسان في أن يراها أمامه دائما على مائدة الطعام . وانه لم يكن مفروشا عليك ان تحتمل امرا كهذا ، هو - بالنسبة إليك - ضرب من الاستسهال !

« لقد اهتمت بملك القصة عندما قصصها على ، وعجبت لك وأنت تشرحها ببساطة - دون أن تفلن - لامراة هي أشد معارك من النساء مساطة في الوجه والملمع . ولذلك سحلتها بعضلا في مذكراتى اليومية .. ويا حبرناه ! لقد تصمجتا في تلك الليلة الخطيرة ، وفترات الكلمات التي حسابت على تسابك كلمة بكلمة ، بروت عنده ، حتى ابطمت على سمحه فكري ، بصورة قاسية - وعند ذاك ، استيقظت في أعماق غريزة الشعور بالنفس ، وهي القريرة التي نيعط في المراد حين نعلم انها محبوة ومرغوبة . فأسأت حينئذ الانوار المحبطة بهراء الرية . وأحدث أمحص - بدقه ونقد - قسماث الوجه الذي سحطر إلى ان تراء أمامك كل يوم ، خلف مدير العمود على مائدة الإبطار - سمس طوله - اذا أنا احسنت في الصباح التالي بالقبول ..

« ما حبيبى - أسى لم انظر إلى معنى - إرداك - بعينيك . كما اصحب أعمل . والله الحمد .. لذلك لم طمئن إلى . حيث

سعيد للفرح ، ولاح لي اننى - إذا تدرب بالشجاعة -
وغضبت النظر عن السعادة الحاضرة ، تفاديا لتعاسة
مؤكدة - فسأنقذك وأنقذ نفسي من حيلة الأمل والشقاء في
المستقبل - وقد ترى - يا حبيبي - في هذا تفكيراً متعمقاً .
مهيا ، لا ينكأ مع الحب العظيم الذى كلف تعدده على . ولكن
نذكر أن جمالك الباهر ، وبهاك الشحى ، ظل سنوات بنوع
«سرة» لي . مكنت أصورك وأنت ترف إلى «مولين ليستر» .
- مثلاً - في بياضها الناصع وشبابها الناعم المنالق . ومن
ثم ، فإن صبرى القاسى هتف بى : «عنا !» . تربط هذا
الشاب الشبيه بأولو ، إلى حلقى المحردة من الجمال ، مزداد
حسناً عاماً بعد عام ، سيما ازداد كبراً وقبحاً ؟ .. اواه .
أيها العزيز .. إنه لمنطق يبدو الآن تافهاً ، بعد أن أدركننا
عمق حنا .. ولكن هذا المنطق كان ذا ريب سليم صحيح في
تلك الليلة .. وأحياناً . استقر رأى على الرضى ، وقضى
بتهرق ، وذراعى مسحان بالألم لحرمانها من كل هذا
الهناء .

« اواه ! ألا صدقنى إذا أقول إنه لم تكن لدى فكرة عما كان
بمعنى هذا القرار لك ، بل خيل لي أنك ستسارع بوحسه
رعبتك موراً إلى هدف آخر ، متحول حيك إلى أخرى أقدر
على أن تشبع حاجتك من كل النواحي . وقسماً - يا حارث -
أنى طنب . حين أجد فرارى ، أرى الوحدة التى مستزدة
للوحشة والحرمان ! .. ثم تعرضت لمسألة أخرى : أى سيف

أتحل به للرمص ؟ .. كنت أعرف بأنك ستجادلى - إذا ذكرت
لك السبب الخفى - حتى تثبت حظى بكلماتك الممسولة
الراقية ، التى ما كتبت أمك أمامها إلا انصوح .. فى حين
كنت قد عشت العزم على ألا أترك بحارث في هذا
السبيل ، وعلى ألا أجازف أنا الأخرى . ومن ثم رأيت أن
أكتب عليك يا حبيبي .. عليك أتبنا من بوحك ملكاً على
فنى ، وسيداً على إرادى . ورمعت عليك في الحب ورثاً آخر .
.. فعلى لك إيسى لا أستطيع أن أروى من «مجرد علام» .
اواه ، يا حبيبي ! لست أتحل لنفسي عدواً .. ولست أذاع
من يمسى ، وإنما أاعتز بحسب ، وأصبعه كل ثقتى في
كرمك . لعزى على أنه لم يكن ثمه جواب آخر سردك عن
رعبتك .. اواه ! وهكذا بقيت حبيبك المسكينة جين وحيدة
كنية ! ليكن رأتها في الكنيسة الصغيرة ، وهى تناديك في أوتة ،
وقد تراجمت عن قرارها ، وراحت تقطع على نفسها الوعود .
وترهب السمع عسى أن تلتفت خطواتك عداً بها . وده
أضناها الحين ! .. ولكن حبيبي جارت لم مخلق من طليسه
الرجال الذين يقعون عند عتبة الباب في انتظار امرأة مبردة

« ولقد خطبت أعصابى أولى سموات الوحدة - حين أندرس
دريك مائى أوشك أن أتهد ، ورمى بالسمير إلى البحر .
قد سامر .. كما يعلم . ولقب و الأوساد القوية الحية
التي احاطت بى . أريد ذهب - ما صحح نظرى إلى الحناء .

« وفي مصر - في شهر مارس الماضي - على قمة الهرم
الأكبر . استقر رأى على إيسى لم أرى على ما ساء

شوك ولم أر اسمي كنت على خطأ ، ولكنني صبحت إلى حيك ، وإلى أن أقرره بحبي - يا حبيبي - ومن ثم وطدت اليأس على أن أقدم على المجارحه ، ونموت امرئ صحت أسبل الناحره التالية ، عائدة إلى الوطن ، ماكتب إليك واستدعك ثم .. أواه ، يا فتى ! .. ثم ، سمعت النبا ! .. وكفبت إليك ، ولكنك لم تسمح لي بأن أزورك .

« وبعد ، فانا اعلم تماما أنك ستقول : « إنها لم تطمش إلى وان مضر ، اما وقد حرمت من الانصار ، فلم يعد لها ما مخشاه ! » .. قد تقول ذلك يا حارث ، ولكن ليس في ذلك شيء من الصواب .. لقد توفرت لدى في المدة الأخيرة كل الدلائل التي تثبت اني كنت محطنة - وانه كان من الواجب ان اتقك ثمة كالمه .. اما تلك الدلائل ، مساطمك عليها مما بعد .. وكل ما يمكنني قوله الآن ، هو أنه لو قدر لعينيك الحبيبتين الراقبتين أن تبصرا ، لأبصرنا الآن امرأة هي مسلك يمينك وكلها ثمة وقيمين ميمك . وإذا سساورها الهواحسن بنس وجها او جسمها ، سوف تقول بساطه : « لقد اصحب بهما من قبل ، وهما الآن ملك له ، فليس من حقى أن انتقدهما .. وإذا كان يريد هما فانهما ليسا ملكي ، واما هما ملك له وحده ! .. ايها الحبيب ، لا يسمر ان أحرك الآن كيف امكسي الوصون إلى هذا السراى القاطع ، بل يمكى أن أذكرك اني انتقت - ما يومر لدى من أدلة تفوق كل كلام - من صدق وقائك وجبك .

« ومن ثم تتطور المسألة في : هل نعمل لي ؟ .. إذا استصعب

أن تنفر ، فسأحضر إليك فوراً .. أما إذا كان الأمر قد تجاوز الصنح ، فلا بد لي من أن أقرر أن أعيش حياتي في الخارج . ولكن - أواه - يا حبيبي الأوحده ! .. إن الصبر الذي وسبقته رأسك يوماً ، يرقبك في شوق مضن ، زادته سنوات الوحدة استعرا ، فإذا كنت في حاجة إليه ، فلا تصدده عنك !

« اكتب لي كلمة واحدة بخط يدك : « صفتك » . هذا كل ما اطلبه . فإذا بلغتني ، فسأتيك فوراً . لا تمل خطانا على كاتبه - ك : ليست اطلق ذلك ، وإيما اكتب - إذا شئت حقاً - كلمة : « صفتك » وأبعث بها إلى : زوجتك » .

وساد الحجره سيكون رهيب ، بعد أن مرعت المرحله زوره مارى مر ، ملاود الخطاب ، ثم وضعته على المنصده . بعدت في صمت ، وهي تفكر في نفسها ، اتسهي - دور ان ترعجه - لتحصن لعمسها قدحا من الماء ؟ .. ولكنها قررت أن تنظر بدون الماء .. وأخيراً رفع « جارث » رأسه ، وقال حارث وقد أضاعت وجهه ابتسامه خفيفة : « إنها تسألي أن افعل مستحيلاً ! » - فغضطت جبين صدرها بيديها - « ما ، قلت بصوت متهدج : « ألا يهتكك أن تكتب كلمة : صفتك ؟ » ،

وأجاب جارث : « كلا .. لا يمكنني .. أعطني ورقة وقلماً صغيرتي ! » . مسرعت المرحله زوره مارى بوصفهم حواراً يده . وأمسك حارث بالقلم وتلهم بيخيه ورقة متحقق من حدودها ، ووضعها بيده اليسرى - ثم هدو - صفا

بأصابعه ، وكتب كلمة واحدة بحروم كبيرة شاة .. ودفع الورقة إلى الممرضة روزماري سائلا : « هل هذا الخط مقروء ؟ » . فاجابته عائلة : « مقروء تماما ! » .. وقد نظقت بالكلمتين قبل أن يطمس دموعها الكلمة المكتوبة .. « من جاريك » كتب كلمة « محبوبة » ، بدلا من « صفتك » !

وساها جوارث بصوت خافت ملثف : أيمكنك إرسالها بالبريد بأسرع وسيلة ؟ .. اتريها ستأني ؟ أواه يا الهي ! .. ساني .. إذا أمكن إرسال الخطاب سرى اللله .. بعد محبر إلى هنا بعد باكر ! » . فتناولت الممرضة روزماري الورقة ، وبعد أن بذلت جهدا جبارا لتحكم في أعصابها ، قالت : « يا سيد داليس .. هالك بشيرة ملحقه بالخطاب بقول اكتب إلى صدي بالاس ، اردين » . فمحر حرت واقعا ، وقد دس في وجهه وكتاب روح متحمسه حديد ، وصاح : « في اردين ؟ » .. حين في اردين ؟ .. أواه يا الهي ! .. إذا تسلمت هذه الورقة صباح باكر ، فقد نصل إلى هنا في أمه ساعة من النهار . جيب خبر ! .. اسب العربة الصغيرة روزماري ، هل تسمعين ؟ .. أن حين ستخصر باكر .. هل تذكرين ما قصصته عليك من أنها نظمت السماء بقمازها ؟ .. هل تعتقدين بأنها تميل إلى لطم سمسون بقمازها ؟ .. إنهم يحبونها دائما ، هؤلاء القوم ! .. أما قلت لك بأن شيئا ما سيحدث .. أنت وسمسون شيئا .. نظيمتك .. إنجليس .. ولا يمكنكهم فهم ذلك .. أما ماخري فقد فهمت ، وقد أحاسب الامانة من حساب مرجا فدما من خلال الالم ! .. والآن من يمكنك أن تعنى بهذا الخطاب حالا يا آنسة جراي ؟



وكتب كلمة واحدة بحروم كبيرة شاة

وعاوده انتهجه بأول أمام مايو . . وسطح وجهه بنور ماهر . .
« وتكهرب » جسمه بلهفة الانتظار . وجلست الممرضة
روزمارى إلى المنصدة تراقبه . وقد أسطحت قفها إلى يديها .
واشرقت على شفتيها متسامه رقيقة ، عبرت كل وجهها وكباها
سور الارتقاب المظمر ، لحب ناشج كامل . ثم قالت « مبادهب
سمعى إلى مكتب البريد لأبعث بالرسالة يا سعد دالمين . .
ولسوف أعتبط بهذه السهرة . واعدود فى ميعاد مساور
الشاي ! » .

ولما طلع مكتب البريد لم تبعث بالخطابات المكتوب محط
« جارت » ، وإنما خبأته فى صدرها . . ثم بعثت مرفعتين .
ركاب الأولى إلى الدوقة ميلدرم . بعدى بالاس . ناردين
« تعالى إلى هنا عطار الحامسه والديفيعه الخمسين مسبا
الليلة ، دون إرجاء » . أما الثانية ، فكانت إلى السير دريك
براند . شارع ويمبول بلندن : « كل شيء على ما يرام » .

الفصل الخامس والثلاثون

فان الممرضة روزمارى ذلك فى إلحاح مسور . أرحو كل
الرجاء . يا سيد دالمين - أن تطلس وتركر انتباهك فى مائده
الشاي . . فكيف سيتيسى لك أن تذكر مكان كل شيء . إذا
طلعت بعدى وبحرك معدتك فى محله ، الأوضاع ؟ . لقد طلل
مدى المصده بعصتك - فى المرة السابعة - لتحدثت أساهى .
وقد كان وجهها إليك فى قلق . وكذت بقلب قدحك بما فيه ،
كما أنك أرققت كثيرا مما كان فى قدحى فى الطبق . وما لم تحسن
الحرب . مستطاب إلى ما حذى أن فانك مبرولة ، وتطلسك
على مقعد عال كالأطال ! . . ميد جارت قديمه إياه . وشبك
در عيه حلب . . . مستطابا فى مقعده - واحد يصحك فى
رج ، ثم قال : « وإذ ذلك أنكى مستطابا » أرحوك بامرئيتى
هل تسمحين لى بالمرول عن المقعد ؟ . . يالك من صمير .
مفيرة ! . . لقد كنت من قبل مؤدبة إلى درجة القزيت .
هو ممرض قصه « يجب أن تطلو صلاتك بانوسى » . . ؟
سحابت الممرضة روزمارى فى صخر « لقد سمعتها منك مرثين
فى الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة » . . وإذ ذاك هتف
جارت . « يا للحساره ! . . ودوب ام اعصها عنك . ولو أنك
كنت حقا سمحه الحلق - مثل السير دريك - لغت لا .
وكم احب أن أسمعا ! » .

مقالات الممرضة روزمارى : « لا ! وكيم أحب أن أسمعه » .
- لقد غالت الممرضة ، عقبيه مد . « أريد أن يقال به » .

.. وقد لا يكون حقيقيا ، ولكنه يجب أن يقال في القو . وبهذه المناسبة ، أراني أذكر : « أواه ، يا شمري المستعار ! » .
 أعين .. هذا هو النسر لدى اعتادات الدوقة أن تردده إذا رامت لها مكاهه . وعندما نقول : « يا شمري المستعار » ، يجب علينا ألا ننظر إلى شعرها ، فكثيرا ما يكون منكوشا لأن طائر « البوخل » يحده سفيره بين حين وآخر . كم هو طائر جميل ! » .

فقلت له المهرسة رورماري « الآن - سولير الحبر المقدد والرند ، وكذاك هرلا عن الدوقة .. كلا ، هذا الحبر مكسو برنس حبيب . قلبك بأكبر نكاد بعد اترامك ! الحبر المقدد موجود في طبق دافئ إلى يمينك .. والآن ، هب انني اذا الانسة شامبيون . وماولبي الحبر بكل لباقة ورفه ، وكذلك تدوي به إياه في مثل هذه السعة . عدا . وقال حارث : « من السهل أن تتصور أنك « جين » مادام لك هذا الصوت .. ومع ذلك ، و .. لست أدري ، مالحق اني لم أحاول لصع سكبها في مكرى . عار حيلة واحدة من الكهل « روب » جعلتني أعاذ سبكها . إذ قال لي إن شمرك هشي متبدل وحريري ناعم . في حين أن حين لم تكن كذلك . وأعتقد أن هذه الجملة هي اني افدت الموقف ، وإلا فإن صوتك كاد دمعني إلى الحبور في الأيام الأولى من وصولك إلى هنا . وكثيرا ما وددت إبعاد صوتك عني . وها أنتذى قد فهمت السبب لذلك . ومع كل ، فإن صوتك يختلف عن صومها بشكل ما . إن صوتها أكثر عمق ، وهي تكلم عادة شيء من التراجي

لحبت إلى العيس . وكثيرا ما سمعنا بالكلمات الدارجة ، اما سب فعلى جانب عظيم من دقة التعبير ، ولك إلمام واسع بها يدعي .. « العبارة الصحيحة الكاملة » .. ما أطرف أن اسمعك وجين تتكلمان معا . ومع كل ، ف .. لست أدري . انني أنتظر هذه المرحه في قلق ! .. مسألته : « وماذا ؟ » .

.. أوحس خيفة من أن الا تميل إحداكما إلى الأخرى .. انك اصبحت .. في الواقع ، ومن ناحية معينة - أقرب إلى من أي شخص في الدنيا . اما هي ، مانها دنياي . ولهذا احسب الا ندرك قيمتك على الوجه الاكمل ، أو الا تهملها أنت حق الفهم . فإن لها طريقة مبردة في موعها ، حين نقف ونريق الشخص من اعلاه إلى اسفله .. وأكثر النساء لا يربصن عن ذلك ، لا سيما الفتيات لحياتهن المراهقات ، إذ يشمرن انها تحصى عليهن ما يصدر منهن !

وها عمت المهرسة رورماري فشة ، « أم أنا ولا يصدر مني شيء .. اللهم إلا إذا اني مريص أن يستقر في مقعده » . سيما اسأنت حارث حديثه فذلك الرنة المنهجة التي تشوب صوته كلما سرد حديثا به فخر لجين : « حدث مرة أن كانت في ضيافة قصر (أومردين) سيدة على جانب كبير من السحابة والفضاهة . وكنا حينذاك جميعا في (أومردين) . ولم تكن ندرك ما يقوى الدوقة المزيزة بدعوته إلى حملاتها المتتاره ، اللهم إلا شمعها بكشف احطاء تلك السيدة وتقليدها . وما كان لتذكر من دقة التقليد ، لولا أننا رأينا الإصبي .. وامت السيد على شيء من الحسن ، ذات شعر حبيب يصعد في لسات كثره

الدمى المصنوعة من الشمع . وكان من عادتها ألا تحضر كمره عدى ، وألا تسمح للحاضرين بعض الطرف عنها . بل كس داتها أن تحاول احداث الانظار في كل عمله من حداثه . لما حسدا درعاها ، طمينا إلى « حين » أن سكتها ، ولكن حين كانت تقول لها « إنها لا تحب بكم ادى يا اولاد . وإن مسلكها ليروق لها ، فدعوها وشانها ! » . إذ أن من مزايها حين أنها مفرطة اللطف مع الناس الذين تلمس بأمرها به . سكونوا معك نكاهه بلذوقه . فبعض بعد . وكانت حين تفتت مثل هذه الاممال ، ولكنها لم يكن تلك أن تعادل عيبتها في الامر . ومع ذلك ، فقد كنا نلزم جانب الحذر و بحريصا للذوق ، إذا كان الحديث على مسامح من حين !

وفي إحدى الأمسيات ، اختص مربي . . . بعد تناول الشاي . حول المداة ، في السهو لسحدث مع حسن . وكان ذلك في أيام عيد الميلاد . والنار عالية الأوار في المدفاه . وقد اسدلت الستائر الحمراء حتى جحيت ماب الشربة وبوامدها من الجهتين ، وكان « تومي » كعادته جالسا على أرجوحته وسط الجاعة ، يلهو بالحلقه في رمال المسخائر . وفي الخارج كلن الطلح قد كس كل شيء ، وبسا الكون سكون . مع . ربما راد من سبعة الحديث والصحك ، في الداخل . إنك تعرفين ذلك الصمت العاد ، عندما تكسى الاندعر والحقول والطرقات بدم من الطلح الناصع اللامع . . وكان بلد لى أن انطلق إلى الشاء لأحظى بشهد أول هذه المداطر . . . وها أمدا لن بقدر لى أن أرى الطلح مره أخرى ! . . لا بأس

فان في ذلك حافظا لأن أذكر أشياء كنت أراها من قبل ، كما أنني استطعت الآن أن أسمع سكون الطلح في وصوح أشد من ذى قبل .

« والإ . ماذا كنت أقول لك ؟ نعم ، كنت أذكر تلك السدة المحبة للمظاهر . . حدث أن سعدت كل السيدات إلى حجارهن لارتداء ملابس السهر . عدا حين . إذ أنها لم تكن في حاجة لأكثر من نصف ساعة لذلك . فلما رأنا تلك السدة محميين في البهو ، خيل لها العرور أننا نجمعنا إلا من أظها ، في حين أننا كنا سنظر مرضه مواسه ، لندرى لحين أخيرا خلاصه عن شباب في الحرم . يدعى « بيالي » - قبض عليه لإحداه بعض الشعب . . وكان رئيسه الكولونيل صديق حمدا لحسن . مراسا أنها قد توسط له لدى الكولونيل . وهكذا كانت السدة بعده عن بالدا ، وإن لم سر . أما حين مكنت تحلس موله ظهرها إليها حمدا . ودمها منده إلى حاجر المدفاه ، وثوبها منحصر على ركبتها . . وكان تحت ذلك الثوب ثوب آخر من الحرير الثمين . له طبقات من أنسيات الدفعه ، جل است دانه يصلح رداء حاحا ، لحاله . غير أن طمعة جين لم تكن تحب إليها إبراز أمن ما لديها !

« وكانت السدة المحبة للمظاهر ، تترقر في تلك الأثناء . . وقد عت عن داتها أنها كسا في حجر من حداثها . . بينما انصرفت جين إلى قراءة صحيفة المساء . بيد أنها شسعت بأن حو البهو امسي متوترا ، وقد أحد صمعا شتد مما كانت ترويه السدة المعروفة عن إعجاب الحاح . . . وادراة

تدمرنا وتعلمنا ونحن نرجو أن تبادر جين إلى إتقاذنا من هذه المحنة .. حتى « تومي » - فوق أرجوحته - بدأ محتقنا ، بلولا .. وأخذ يرمع محطبه إلى مقاربه ويعيده ، محطقنا و السيدة يغيط .. وأخيرا ، انتهز فرصة حديثها عن معجب من أبطال التجديف في النهر ، فصاح : « ليرسلها إليه أحذكم ! » .. ولم يتمالك أنفسنا ، فمطلق ضحكنا جيما في قهقهه نالته ، وهرج صاخب .. حتى « جين » ، أخمت وجهها في صحنيتها وأخذت تهتز لشدة الضحك . وذهبت كل سجاثرنا من السماء مكامة له إذ خلصنا من السيدة المقزورة .

« وقد كان لدينا وقت كاذب للتهريج .. أما حين فقد سارعت لإعداد الخطاب الذي طلبناه منها لمساعدته » بلى « - لترسله في بريد المساء - ومع ذلك فقد وافقنا في موعد العشاء نهارا ، وهي في ثياب السهرة أشد رواء من عسبرها اللاني قصصين الساعات في استكمال زينة .. ما كان أدع بدخل « تومي » ! بيد أن جين طلبت منا ألا نقص ما حدث على الدوقة ، مريخا ، لتبطل من هذا الخرماس القاسي ، لأن كلا منا كان يسمى أن يسبق السابق في روايته القصة للدوقة .. ولكن المرء لا يملك إلا أن يصدع بما تأمر به جين ! »

وهنا تساءلت المهرضة روزماري : « ولماذا ؟ » . فقال : « آه ، لست أدري ، ولا يسمى أن أشرح السبب . ملو أنك تمت بمعربها لما كتب في حلة إلى التمسائل .. هل لك في كعكة يا آنسة حواي ؟ » . فأجابته : « شكرا .. سأخذ

شيئا منها هذه المرة » . وإذا ذاك ، هتف : « هكدا .. أن هذا التمبر يطابق ما كانت حين تمر به .. » سأحد شيئا منها هذه المرة » .. أليس عجيبا أن أظل - بعد أن مرت علينا هذه الأسابيع - أشبه في صوتك وصوتها .. وبأكر سأفكر في الشيء العجيب بين صوتها وصوتك ! » .

واحتمه لمرسه روزماري : « كلا لن يحدث هذا .. ملو شعل اعكرك بعمرها عندما يكون معك » ، مصاح جبارث صحيح . ولكني شعل بك ، ملو سوف أمتقذك كثيرا يا عزيزي روزماري الصغيرة ، إذ لن يقسني لعرك - ولا لها هي - أن يسد فراغك .. ولكن هل تعلمين ؟ .. وانضى إلى الأمام وقد عامت على وجهه محابه من لثقي احمت ليهجه التي كانت تتعمر منه ، واسبرارد قالا : « لقد بذات أشعر بالهمال وقلق من جراء هذا الأمر .. انها لم ترني بعد وقع لي الحادث ، وكم أحس بالرهبة مما قد يحدثنا بملاري من صديه لها .. هل نعتقدس أنها ستلمس تعمرنا كبيرا في شكلي ؟ » .

ونظرت حس إلى الوجه العاقد الاصفر ، الذي اتحه بحوها في قلق ، فارتد فكرها إلى ذلك الصاح الذي دخلت فيه عرفة المريض لأول مرة ، وقد ظن أن ليس بالمعركة سوى الدكتور روب ، فاعتدل في جلسته ، بعد أن كان موليا وجهه شبط الحائط ليحعه عن الاضار .. وذكر كبر رات وجهه لأول مرة . وكبح أدارت رحمتها نحو المدة حتى لا يلجح الدكتور روب الدموع التي أنهرت على وجهه .. ثم عسودمه

النظر إلى « جارت » فتبدي لها جلجا - لأول مرة - مبلغ التشويه الذى أحاق به .. وبعد ذلك ، بضال دافق يجتاح مؤامره . ويطلب إلى الساعة ، ثم شعر أنها لن تقوى على الصمود طويلا ! .

وسألها حارث بصوت مهدج : « هل هو قسح جدا ؟ » . حاجت الممرضة روزمارى : « لست أملك أن أجيب من أمراه جري ، ولكننى أعتقد بأن وجهك - كما هو الآن - سيكون مصدر عظمه دائمة لها ! » . متوردة وحنقا « جارت » . وبدأ عليه السرور والأشراح ، مع ثقل من الدهشة .. مقد استنان فى صوت الممرضة روزمارى ربه لم يستطع أن يدرى ماتاها ولا كنهها . وما لث أن قال - « ولكن لا تسى أنها لن تكون مدرسه على عادات الأعمى ، وأخشى أن أندو عاجزا بتسخطا ، متى لم تذهب إلى عالم العيان - كما هو الحال معك ومعى - وهى لا تدرى شيئا عن التقدير التى انتكراها بالاشترط والعلامات وعمرها .. أواد يا صديقتى روزمارى . عدينى ألا تتركينى ناكرا ! .. أبى أردها ، والله وحده علم عظيم شوقى إليها .. غير أننى قد بدأت أشعر بشيء من الخوف من جراء ذلك .. سيكون وجودها معى فعمه رائعة ، لما تشبهه من رغبات عظمى . أما حاجاتى اليومية البسيطة . نسى يجعل لها الطلام فيه ، معك احتاج إليك من أطعمها ، دلتنى الرقيمه التى لا انصرها .. كيف أدوى على الحياء بدونك لا لقد خيل إلى - فى بداية الأمر - أن من حسن الحظ أنك ديرت أمرك للرحيل عند حضورها هى . أما الآن - وأنا

انتظر حضورها - غلست أعتقد أن أتركك ترحلين .. أن وجودها معى سيكون السمادة العضى التى تعمر الكلمات عن وصفها ، ولكن هذا يختلف عن وجودك هنا معى ! » .

وبذلك حصلت الممرضة روزمارى على المكافأة التى كانت حديره بها ، ولاح أنها وحدها مثيره لمواظمتها . وما أن تبالكت نفسها ، حتى قالت له بكل لطاف : « لا ترجع نفسك بالأمس ما سيد دالمين .. حذقتى ميا أقول من أنك لن تلتك أن تدين - قبل أن تنقضى خمس دقائق على وجودها بحوارك - أمه ستكون كما كنت أنا معك .. ومن أدراك أنها لم تذهب مثلى إلى عالم العيان . أن الممرضة قد تدرس ذلك بدافع من شجب سببها .. ما المراد التى تحكك ، مانها تبارسه لأنها تحك ! .. فأجابها حارث : « إنها أهل هذا ! » . ثم اصطحب فى مقعده . وقد كسبت وجهه إمارات الرضى القام ، وهتف : « أواد يا جين ، يا جين ! .. أنها قادمة ! .. أنها قادمة ! » .

والقت الممرضة روزمارى نظرة على الساعة .. ورددت عبارته . « أهل انها قادمة ! » . ومع أن صوتها كان ثابتا ، فإن نديها كانتا ترتعشان . وادوب فائله : « ولما كانت هذه آخر أمسية سنفصلها معا ، فهل بقل اقتراحا معى ؟ .. أرده أن اصعد الآن إلى حجرتى ، لأدا فى إعداد حقيقتى . وأفوم ببعض إجراءات أخرى . فهل لك أن ترتدى ثياب السهرة مبكرا ؟ .. وسأخذو حدوك . وإذا أمكنك الاستعداد فى الساعة السادسة والنصف ، فعلى معى - أن نمرسه حمر شينا من الموسيقى قبل العشد ، » . فأجابها حارث

« فكرة حسنة ! .. سأعمل براك فليس يهمني أى وقت ارتدى ملابسى .. كما أننى أرحب بكل فرصة يتيح لى عرف الموسيقى .. ولكن اسمعى ! كم أود لو أنك لا تدئين إعداد حقائبك يا آسة جراى ! » فقال : « لست اعزم إعداد حقبتى بالمعنى السكامل ، ولكنى سأجمع بعض الأشياء المتناثرة ! » .

— يتساوى الأمر عندى ، مادام لا يعنى معرك .. وأذكرى أنك وعدتني بأتك لن تذهبي قبل حضورها !
— لن أذهب قبل حضورها .
— وستظلمسها على كل شؤونى ، وكل ما لا بد لها من معرفته .

— ستعلم بكل ما أعرفه ، مما سيضاعف من راحتك .
— ثم أنك لن تتركس حتى أشعر تماماً بالراحة فى كل شئ ..
— لن أتركك ما دمت فى حاجة إلى ..
وعاد حارث إلى التفكير العميق فى طبيعة صوتها ، ثم نهض وسعى إلى المكان الذى صدر منه صوتها . وكانت واقفة ، فقال لها فى انفعال عاطفى : « هل تعلمين أنك نادرة المثال ؟ » . وسط إليها كلما يديه ، وقال : « سمى بذلك فى يدي ولو مرة ما حديقتي روزمارى .. حكم أود أن أحاول أن أذوق حفاك من الشكر ! » . وسادهما الصمت برهة ، ثم امتدت يدها قويتان .. قويتان ، قديرتان ، وإن لم تثلثا أن ارتحفا وقد أوثكتا أن تتبالا يديه .. غير أنها سحتنها فى الوقت المناسب ، قبل أن تلمسا يديه . فان موعد «جين» لم يحن بعد .. وهذه هى ساعة النصر والنجاح للرضعة

روزمارى ، فيجب ألا تضيقها عليهما ! .. وقالت له فى نومه . « ستصاح اللبنة ، بعد الموسيقى . أما الآن فأرحوك يا سيدى أن تكون حريصا ، فقد صلتت .. تهمل ! هلك شريط الحديقة على يسارك ، مذهب واستثنى قليلا من الهواء فى السررة .. واعد إنباد الاعنية العذبة التى سمعتك تسيبوت تحت نافذتى فى هذا الصباح .. أما الآن وقد أصبح ما يحدث . فان هذا المساء الدرع سيجمع نبت سادة وعطلة ، استنعاا نترقب سعادة مرموقة . واستودعك الله يا سيدى إلى ساعة فقط .



ما الذى دهمى الصميرة روزمارى ؟ .. دار هذا التساؤل فى رأس جوارث وهو يحسب بحثا عن عصاه فى الركن المجاور للنامدة . وقال لنفسه : « أما لم نعد منسحين كما كنا قبل هيامها إلى مكتب البريد ؟ » .. وسار إلى الثرمة وقعد ارتسمت على وجهه موجة من القلق ، ما لبثت أن تبشرت ، وحيد واقعا دون حراك ، ثم أعرق فى الصحك قائلا « يا للمساء ! .. حقا أننى عى ومعمور .. أنها تمكر فى عتاه ، طسوف تذهب إليه باكرا ، ومن ثم معقلها ملء به ، كما أن عقلى ملء بحس .. يا لروزمارى المرره الماهرة ، الصميرة ! انتهى أن يكون جديرا بها ! .. ولكن ، لا .. ليس موسمه ! أمل أن يعرف أنه عبر حدير بها هذا التعبير أدق ! .. وأرجو أن يلقاها بها تتوقع .. ومع ذلك ، مانا أكره فكرة دهاها الله ! » .

الفصل السادس والثلاثون

كان سمسون يجتاز البهو الكبير - قبل الساعة السادسة والنصف بدقائق - بعد أن أراح محذومه في حجرة المكينة . وإذا به يسمع حفيف ثوب على السلم الخشبي . منطلق إلى أعلى ، وإذا بفقاة طويلة القائمة بهبط الدرجات . . . وحيد سمسون مبهوتا . وما تأثر ثوب السهرة الحريري الأسود . دي الأقواف العديدة و « الدانتيل » التي تكسو الصدر . ثم ما تأثر بما لاح على الوجه الهاديء - الذي كان ملو هذا الثوب - من أمارات الاعتداد والسلطان !

ومالت له حين . « سمسون . . . أن عمى دوقه بطردم . ووصيفته ، ووصفها وقدرها كبيرا من الأمتعة ، سيصلون في منتصف الثامنة من هذا المساء ، من (أيردين) . والسيدة خرايم (مارجرى) تعلم كل ما يخص باعداد العرب لهم . كما أنى أصدر التعليمات لحبس كي يتطرحهم في المحطة . يركى بعد للدوق مركبة لأنها لا يحب ركوب السيارات . عليك أن تقودها إلى حجرة المكينة لدى وصولها . وستناول العشاء في قاعة المائدة في الثامنة والربع . وحتى ذلك الوقت - من السيد دالمين وأنا مشغولان في حجرة المكينة . ولا نرب أن نرعبنا أحد ، مهما تكن الأسباب . . . اتعهم جيدا ما أقول . » فقال سمسون متلعثما : « نعم يا آنسة . . . يا ليدى » . فقد نصى سنوات صباه في قصور الدوقات ، وتعلم أن من الواجب إحتاء الراس لنبات أخوة الدوقات ! . ولكن حين ابتسمت

وقالت : « بل آنسة وكفى يا سمسون » . ثم أسرعت إلى حجرة المكتبة .

وسمىها « جارت » وهى تدخل وتعلق الباب . كما سمع ناديه المرممين حفيف ثوبها ، مقال : « هلا بالآنسة جراى . . هل حزمت رداء العمل ؟ » . وقالت له جين : « نعم . . بعد أعددت أمتعتى ، كما أخبرتك » . ثم سارت في تأن ومبرت لـحجرة . ووقمت موق بساط المفء ، وهى تسع النظر فيه . إذ كان مريديا ملابس السهرة كاملة ، بما أعاد إلى ذهبها ليلة سهره مصر (شيبسون) . . . وكان جالساً في مقعده الكبير . وقد وصمغ إحدى ركنيه موق الأخرى . ولحقت طسرها من الحورب الأحمر الحريري الذى كان يمسك أربداءه مع ملابس السهرة . وطقت « حين » برهه تتأمله . . لقد أرفف سعيه أخيراً . . ولكن الأمر كان يقتضى الحرج والصبر - حتى في هذه اللحظة - مراعاة لمصلحته وحيره . وقالت له « لم اسمع الانشودة » .

« كلا ، فقد شعلت عن ذلك في المداية . . . وعندم تذكرت . شغل فكرى بأمر أخرى . ومع كل ذلك . . آه يا آنسة جراى ، سن يوسى أن أعنى الليلة ، سن الصبر قد أحرس روحى ورجامه حسن بكل رقة : « اننى أدرك هذا ، فمدعنى أغنى لك ! » . فارتسمت على وجهه جارت دهشة خفيفة ، وقال : « أتفنى ؟ . . إذن ، فلم لم تفنى لى قبل اليوم ؟ » . وقالت له جين : « لقد سألنى الدكتور روبى - عند وصولى - عما إذا كنت أعزف الموسيقى ، فقلت له : « لى أعزف قسلا »

وقد استنتج من ذلك انى لا أجيد العرف ، ولا العناء . فأشار على نالا أعرف ولا أعى ، حتى لا يسوقك إلى الحور ! » .

فانمحر حارث ضاحكا وهو يقول : « تباه .. هذه أخلاق روسي الكهل . ومع ذلك ، مهل ستوس المحارعة الليلة ، مان تغنى لى قليلا ؟ » . وكان جواب حين : « لن تكون مجارمه .. - عسى لك الليلة اسمه واحد . هاك الشريط الأصمر على بيميك ، ولا شئ فى طريقك إلى البيانو .. فإذا أردت أن اكف عن متابعة الفناء ، فتعال إلى ! » .

ثم خطت نحو البيانو وجلست .. ولحمه - من حلب لبيانو - وقد اضطلع في مقعده ، ولاحت على شفتيه أسنانه حميدة تفيض بالمعطة والسرور .. ولله كان ما يرال متأثرا بها روحه من الدكتور روب !

وكأنت قطعة « المسبحة » تبدأ مدمة واحدة . وقد دقتها « جين » وعيناها نحدثان في وجهه ، مراثة يستوى حاة في جلسه . وقد تحممت على سباه امارات المحب والترقب والحيرة .. ثم بدأت الاعنيه بصوتها العميق المنى : منخفضا متهدجا مع الموسيقى الخافتة الناعمة :

« ان المساعفت التى قضيتها معك يا قلبي العزيز ..

« هى عفى بمقابة عقد من اللالىء ..

« أحصيتها مرات .. كل حبة على حدة ..

« مسبحتى .. مسبحتى .. لكل ساعة لؤلؤة » ..

فلورنس بارتلى

٢٥٧

ثم توقفت جين من الاستمرار ، إذ أنقص « جارث » وبعدا . ولم تنبس شفتاه بكلمة واحدة ، ولكنه أقبل في عماه نحو البيانو . فدارت على مقعد البيانو . وسطت ذراعيها للقياء .. وما هو ذا قد بلغ العرف .. ولمست يده أصابع البيانو .. ثم وصل إليها هى .. وإذا به يجثو على ركبتيه ، وإذا بذراعيه تلتفان حول خصرها ، وإذا بذراعيها تلتفان حوله بكل ما احتسسه من المدة السابغة من شوق وحنا وظلها

ثم رفع إبيها وجهه ، ونظر إليها برهه ، بعينه اللتين لم تكونا تصران ، ثم هتف : « أهده أنت؟ أنت طوال الوقت ؟ » . به ذمن وجهه بين ثنا « الدامتلا » ، فوق صدرها .. ولم تنبلك حين عواطفها بل ضمت رأسه المحبوب بقوة إلى صدرها في حان . وهى تقول له : « أواه يا فتى .. يا حيسى ! احل ، أما طيلة الوقت .. طيلة الوقت بحواره ، فى وحدته وآلامه .. أمكان موسى أن اطل بعيدة عنه .. ولكن ، أواه ماجارث ! ايه معزة مكنتنى أخيرا من أن أضك واتحسسك ، وأحس بك ! .. نعم ، أنا هى . أواه أيها المحبوب ، ألسنت وانئا ؟ .. من التى يستطيع أن يحتمسك هكذا ؟ حذار يا حيسى ! بعال إلى الأريكة الكبيرة ، وأجلس محائلى ! » .

ونفض جارث وروعها من فوق مقعدها فلم يعلتها . بسب بولت هى إرشاده إلى الأريكة . وهناك عاد يحثو امامها وقد لف ذراعيه حول خصرها وخيا وجهه في أحضانها ، ففتفت حين بصوت ناعم حامت : « أواه يا حسى ، يا حسى ! » . ثم التفت بذاتها حلف رأسه تحميه ، حو صامت .. ومعاتت تقول : « لقد أبقت أن احلى أيامى هم اننى أقوم فيها بخدمة

منى ، وأساعده في دناجر ظلمته ، وأخيه ما استطعت من
 ي ألم لا داعي له ، وأبقى حواراه دائما لأزدي كل حاجاته .
 وسكنى لم أكن أملك أن أتى بنفسى ، ما لم يعرف هو ، ويعلم
 ويصيح .. ونكى لا .. ليس ليصيح . وإنما ليذكر سم .. على
 حبه .. وها هو ذا قد فهم .. وها هو ذا قد صيح .. أواه
 يا حارث ! .. اسميت يا حبيبى ! .. أن أتركك بعد الآن أبدا ،
 أبدا ! .. إلا بذكر ما أقول يا محبوبى ! إن فسادك مراد .
 أيها الحبيب ، أصبر قليلا وانصت .. سنبقى هكذا لبضعة
 أيام ، كما كنا في الأيام التي قضيتها بجانبك ، ملا يعلم سوى
 فتاى أن النى بقرية هي أما ! ولسوف نحضر العمه « حنا »
 هذا المساء ، ستكون ههنا بعد نصف ساعة . وسحصل في أقرب
 مرضه ممكنه على مريحيم خاص بالرواح ، ثم يسرو .
 يا حارث .. وإذ ذاك .. « . وموقت حين وهي منظر إلى
 الرجل الحائى أمامها وقد حنى أمامه لسهب إلى كل كلماتها
 .. وما لبثت أن استطردت في صوت رقيق حاست جمع في
 أعماقه مجزة مقدسه ، دون أن يهتر : « وإذ ذاك ، ستكون
 اسمى هناء لى ، أن أبقى مع زوجى ليلا ونهارا ! » .
 مرت لحظة صمت عمدة ، وهمدت العاصفة العاطفه
 الجياشة التي كانت بين دراعى حين . مصارت طمانينة وراحة
 .. ثم همس صوت الحب الأزل الكامل : « ودوم السلام » .
 ثم بادتها سكية شاملة !
 وأخيرا رفع حارث رأسه وقال : « دائما .. دائما معا .
 نعم ، وسيكون ذلك هو النور الدائم ! » .

وعندها فتح سمسمون الباب وأعلن مقدم « صياحبه
 العجامة الدوقة ميلدرم » . كانت جين حالسة إلى اليسار
 تعرف أنفها حميمة حائلة .. وكان ثمة شاب مخيل ، يرتدى
 ملابس اسبهر . قد مقدم في شوق وحماوة . ليسهل الدوقه
 .. ولم تر هذه - أو لعلها تجاهلت - الشريط الذي كان
 يهدى به : ماحدث به المدودة بين راحتيها بحرارة . وهي
 تهتف : « يا إله السماء ! يا عزيزى دال .. أنك تدهشنى ..
 شيب سسى سالى شحما أعمى ، وإذا بك مهدى من مكان
 إلى آخر كما كنت بذاتك المتألقة الجميلة ! » . فأجابها
 حارث : « أهلا بك يا عزيزتى الدوقة ! » . ثم أنهى وأثم
 اسدس الرقيعتين وهما ما برآا من مصال على يده .. واستطرد
 مون : « لسأراك . وأسف إذ أبول ذلك .. غير أنى لا أسمر
 - الليلة - بأننى أعمى صاما .. أن ظلمنى قد تددت ماشعه
 مرج بالغ يفوق كل تعبير ! » .

- أوه .. أو هكذا تتطور الأمور ! .. نبئنى الآن ، أيها
 ستروج : الموضة التي يلغى أنها شخصية شابة محترمة .
 طبيوس في امتداحها .. أم تلك البليطة « حين » ، التي أمرت
 عمها المسكية - في غير إشفاق - بسجنهم مشاق السر من
 أول الملكة إلى آخرها ، إشباعا لثرواتها !

وعند ذلك انقلبت جين من مقعد البانو ، وغدت دراعها
 في دراع حبيبها ثم قالت : « أفك لتقوين يا عزيزتى العمه
 حيبا ، بأنك كنت شديدة الرغبة في الحضور .. لأنك
 استطعيت القصص العاصه ، والمعجزات العاصه » .

لثوت المناسب . ولسوف يجمع « حارث » بين الفتاتين —
المرحمة وامه احبك — لان كلا منهما محبة حبا لا يدعها تفارقه
ثانته .. ويبدو أنه يرى أن ليس توسعه الاستثناء عن أي
منهما ! » .

ونظرت الدوقة إلى الوجيهين المتألمين .. أحدهما وجه رجل
لا يبصر ، والآخر يوفر له الإمصار في زهو واغترباط .. ثم
اعزورقت عينها بالدموع . وهفت في دعابة : « أحصل .
قد كنا نوقن دائما من أن مائة واحدة لا تكفي لدال ، فهو
يصبو إلى نواحي الكمال التي لا تتوأم إلا في عدد من الفئات
.. ولكنه — على ما يبدو — قد وحدها .. باركها الله معا ،
يا أسقف سمعدين .. وسأبارككما أنا الأخرى .. ولكني
أريد — قبل ذلك — أن أتناول العشاء .. هنا أسدعيا رئيس
الخدم العصبي ، ذا السوالب المسدلة على صدغه ، وأخبراء
بأني في حاجة إلى وصيفتي وحجرتي ، كما أريد أن أعرف
أين قد وصعوا طائري « التوكاس » العزير ، فقد اضطرت
إلى أن أسطحه يا جين .. أنه عصفور عزيز ومحب جدا ! » .

الفصل السابع والثلاثون

كانت أعمدة الاحتفالات في الصحف ، حليقة بأن نصف
حمل قرآن جارت وجين — عندما لم بعد أيام قتال ، في الكنيسة
الصغيرة القائمة بين التلال — بأنه « قرآن هاديء جيدا »
ولعله كان — في رأي من شاعروا الحمل — « غير عادي » أكثر
منه « هادئا » . على أن كل ما كان يهم « جارت » و « جين »
في الأمر ، هو أن متزوجا ، وأن متريكا معا دون ما كثير إرجاء .
فلم يطلع أحد في إغرائهما على الاستماع إلى التفصيلات التي
كانت تؤدي إلى هذه الغاية المنشودة ، فقد وكلت جين إلى
الدكتور دريك بكل ذلك ، فتلة : « كل ما أرجو أن يحقق
بأدريك هو أن يكون عقد الزواج صحيحا من الناحية القانونية
.. وأرسل إلينا قائمة الحساب ! » .

أما الدوقة — وهي مثال السيدة المحاطة على التتالييد
القديم — بعد إثارت رواج من التفات حول إعداد حمار
العروس ، وزهر البرتقال ، والحريز الأبيض الماصع ، في حين
كانت جين ترفض كل ذلك بقولها : « يا همتي العزيزة ..
نصوري مطري وأنا أصع رهرة البرتقال . كأي إحدى دمي
عيد الميلاد .. كما أنني خلقت أعر داتها من الحمار .. أما
الحريز الأبيض ، فهو السدي درحت على أن اتصاشي أن
ارتديه ! » . فصاحت الدوقة : « إذن ، فما الذي ترغبين في أن
ترتدي في حفلة زفافك ، أيتها الفتاة الشاذة ! » . فأجابته
حين وهي تعقد خيط من الحريز الأحمر ربت حبيبة أي

نوم، يطو لي أن ارتديه في ذلك الصباح . وكانت عيناها
تنظران خارج النامذ . إلى حيث جلس « جارت » في الشرفة
مدح سيجارته . مما كان من الدوق إلا أن مهضت مائلة في لحيه
أو عيد : « الذي دليل بمواعيد الفطارات ؟ وهل لك أن تعملي
على وصولي إلى المحطة بعد ظهر اليوم ؟ » .

وأجابته جين ، وهي منهكة في عملها : « نحن دائما على
استعداد لراحة كل من يريد السر . في اللحظة التي يطلب
مها ذلك . ولكن ، إلى أين أنت ذاهبة ، أميا العمة العزيزة
حيث ؟ .. انك تعلمين أن دريك وملور سيصلان الليلة ! »
مقالت الدوقة ساخطة : « انني أنفسي يدي من أمرك ، وريد
المودة إلى الجنوب » . « وجنحت جين إلى الملاحظة قائلا :
لا عملي شيا من ذلك ما عزيزتي .. لقد نفضت يدك بمنى
مرات كسرة . ويكسي مش دم الملك دكان - ملك اسكتلندا -
الذي يبقى دواها عالقا بالمديد ! » . ثم رفعت صوتها
قائلة : « جارت ، إذا أردت أن تتربص لفترة وجيزة ، فنادني .
إنني هنا ، ابحث مع عمتي الدوقة شئون جهازي ! » .
ووالها رد جارت متاثلا في مرج : « وما هو الجهاز ؟ » .
محاجته . « شيء ، ترتديه لنزوح ! » . مصاح حارث بحماسه
سديدة : « إذن ، فلنسارع إلى ارتدائه ! » .

وعند ذلك قالت جين : « يا عمي العزيزة .. تعالى معي
على أمر سواء بيننا ، لدى في حجرتي بعض الثياب البديعة ،
ومنها ما هو من حباكه أشهر الحائكين .. ماطلني من وصيحتك
أن تلقى نظرة على كل ثيابي ، وأخبرني ما ترتديه منها ، ولنعد

هي لأرتديه في صبيحة رواحي .. وأعدك بشي أن استبدله
مقريه » .

وكانت نتيجة هذا الحذل ، أن ظهرت « حسي » في اكنيسة في
نوب ورق طويل ، ومطف من لونه مرر كشي بالذهب ، يساق
مع حسمها السميري إلى درحة الكمال ، وقد تنطقت بحرام
صعرا دكن ، من الحرير الثمين .. واحاطت عمتها ومعمسيها
مدافئلا قديمة ثينة ! .. وبقدر ما كانت « حسي » غير مكترثة
ملابسها ، كان « حارث » ينتقد تحمسا بلوغ أقصى درجات
الامانة . ولما كان كثيرا ما دعى لأن يقف شبيها في حملات الزواج
من لندن . عن سيمسون اكتسب درايه مكل ما يرتبط بهذه
المناسبات ، فلم يجد صعوبة في تمكين محدومه من أن تظهر في
أقصى آيات الأناقة .

وما كل أساء وهو يقف على عتبة المدبح ، في انتظار عروسه !
ولم يكن براها ، ولكنه ظل ينصت إلى وقع خطواتها ، حتى
إذا جاءت مستنده إلى ذراع الدكتور دريك . أمال حارث
رأسه قليلا نحوها وابتنس !

أما الدوقة ، فقد احتالت في ثوب حريري أحمر ، محلى
بالعراء ، بينما أردانت قبعتها بالرش الأبيض ، وقد بدلى
مها كثير من السلاسل المرصعة بالجواهر ، والتي كانت تحدث
صلصلة ورميا وسط سكون الكنيسة ، كلما تحركت الدوم ،
التي جلست في مقعد حاصر بالصف الأمامي ، في انتظار أسة
أخيها لتسلمها إلى زوجها .. وفي عهد صبل - من الحاصف
الأخر - جلست « مارجرى جرايم » في ثوب يكر للبريد .

مريضة ثوبا من الحرير الأسود ، وصمة صغيرة من الحرير
الطرز ومعدلا أبيص استقر عند قلبها الكثير المخلص الذي
ظل يخفق - في حثان مائع - لحارث منذ طفولته .. وكانت
فلقتت في قلب كلما سمعت الصليل من الدومة ، وميما عدا
فلك ، لأن عينيها لم تحبدا عن مناسمه المراسم الدسه لعقد
القران ، وفي يدها كتاب صلاة .

وكان الدكتور « روب » هو الأعرب الوحيد الذي استطاع
أن يحتل مركز الشيسين^(١) ، وقد أصرت حين على أن لا يهد
إليه بالاحتفاظ بالخاتم ، ما لا يحمله عليه من قبل ، حملها
توجس خوفا من أن يفسح الخاتم حول اسمه وهو ساد ، ثم
يروح يبحث عنه - عندها يطلب منه - في كل حبوه وحبوب
حارث وحبوب الحامرس ، وقد يقلب أسطلة الكبيسه قبل
أن يفكر في البحث عنه حول اسمه !! .. وهكذا وصع الحاتم
في جيب صدرية جارت وظل به منذ أحضرته « جين » من
أرسس ، . وقد اضطلع الدكتور روب بمدع 'خور الكاتب
والسحل وقارعي الأحراس ، وكل حدم الكبيسه .. ووصع
النقود التي عهد بها إليه « حارث » لذلك - في سحاء - في
حبوه ، واحد يصلصل بها عندها بدا القس بوجه الوصايا إلى
العروسين . وقد بلغت به حماسة الفرح حدا تعددت عنده

(١) ذكر الدكتور روب - في فصل سابق - أن له زوجة وفقه ، لا تكلمه
مئات ما ، ولا تطالعه بأرياء ، ومع ذلك فهي شديدة المودة .. وكان يصر
ذلك إلى كفيه !

همواته ، دون أن يظن إلى ما كان يمس ، وبذلك عمل هو
من ناحية ، والدومة من ناحية ، وراحت مسؤولا الرئيس
والصلصلة .. وكل منهما مرمع بما كان يصدر عن الآخر .
دون أن يظن إلى ما كان يصدر منه ، فأخذت الدومة تحيل
في الدكتور روب ، والدكتور روب يعبس في وجه لدومه ..
سبها كانت مارجرى تربتها معا بعينين دابعتين !

أما « ديرك براند » ، بكل أفعول الحاد بين و الكبيسه .
وقد رأى مواجته مشوق حله بسود ، ذات صدرته من الحرير
اللامع . أعدتها اللادي براند وأصرت على أن يرتديها في هذه
المناسبة . وبعد أن قاد « جين » إلى جانب « جارت » ، عاد
إلى مقعده بجوار زوجته ، خلف بقعد مارجرى .. عليها
سحبت جين يدها من ذراعها ، أدارت وجهها إليه ، وأفتت لعرها
عن امتسامة شكر .. وفي النظرة السريعة التي تبادلها ،
خسبت من ذماتهما الدسه ، وكل ما كان مماذلا بينهما من
نعمه وعواطف طوان الشيسين التي مرت عليهما . وثبت اللادي
براند عينيها على كتاب الصلاة الأبيض الأنيق .. لها كان
تغيره ظل في حديقها لزوجته . لأن لطيف لم يسمع مرصه لهذا
الشعور كي تنسل إلى قلبها ، وكان بهاء رهرة . وهو اعصى
العرق لا سمها .. فلاور) هو وحده مصدر سعادته ، وما كانت
الحسان الأحراب في بقوه . سوى كان به حبه لا يهتم به
إلا من الناحية العلمية فحسب . على أن « فلاور » لم تستطع
أن تصل إلى عمق أعوار
« ديرك » بعد الصلوة ، رماله « شهاد ما » ..

دعائهما فانه عجب في الحاصل والأحلاق . ما كان لبيد ، عد على رواجهما ، ولكنه صار إلى ود ورباله كانت لكثيرا حيرة مشجع . وقد حاولت ملاور - في السنوات الأخيرة - أن تشاركها بوجدنها صادمه ، ولكنها عجزت عن أن تسبر عمقا مما . وبدأت الصلاة . . وكان القس تقصير النظر ، عصبي المراح ، راد من انفعاله ما لانس هذا العراا الهام من ظروف لم يعتدها ؛ من ترحيص خاص ، إلى « عريس » أغنى ، إلى وجود دوق في الحفل . . كل هذه الأمور زادت من توقر أعصابه ، مزاج بقرا سرعه مائقة ، وصوت حامي لم يمكن العجور مارجرى من سبعة . مع ما بذلته من جهد . ولما نظن القس إلى ارتباكها . بدأ يترث في التلاوة ، وسعد في التخلص بالأعلاظ ، ومتوقف طويلا عند آخر كل حيلة ، متوتر أعصاب لخمير . . موى ما يحلل ذلك من حيليله سلاسل الدوق ورئيس النقود في جيوب الدكتور روب ؟

ومسارت المراسم على هذا النحو ، حتى بلغت نهايتها بالاسمها . عما إذا كان هناك يستعرض على صحنه رواج العروسين وشروعته . . وطال انتظار الرد ، مما صاعب من توتر الأعصاب ، مما لبثت العجور مارجرى أن هبت صائحة : « كلا . ثم شبهت في انفعال عصبي ، غادار « العريس » رأسه نحو مصدر الصوت واتسم . بينما وسع الدكتور ذلك بده على كتف العجور مارجرى وهي ترحب ، وهمس قائلا لها : « تحظى يا صديقتي ، فكل شيء على ما يرام ! » .

ولم لت « جين » أن وجدت بدها البهي مشتمكة بد

حارث بقوة . وما كان لاي إجراء من إجراءات الكنيسة أن يسد روعة الكليات الكنسية التي وجهت إلى « حارث » للاسباق من قومه « جين » روحه به . . ورد « حارث » - ومعه العجوز مارجرى - بالإيجاب . في عاطفة حارة مخيمه . ثم سلف جين مدورها ، وكأنها كانت الكنيسة مبى - ولو بطريقه إيجانية مرمعة - أن يهبها إلى أبيه بقل الزواج منه وهو أغنى . فأجابت جين : « نعم أقبل ! » . . وأسمعت الصوت المينى المطوف كما كان ينبعث مبعوث في أشوده « المسححة » . وما أن مطقت جين بالرد ، حتى رمع حارث اليد التي كان مصك بها ، ولثمها بكل احترام . ولم تكن هذه الحركة الإحرد مدونة في الطفرس الكنسية ، مما ادخ في روح القس شيئا من الحيرة ، ثم رمع رأسه محاة سائلا : « من يمكن يبيع هذه المراء روحه لهذا الرجل ؟ » . . ولما مرت لحظه لم سمع ردا . أعاد السؤال بحده . وهو يحقيق بنظره في رجة الكنيسة . وإذا ذلك نصب الدوم إلى أن دورها قد د حل . يهب عن مقدمها لتبر . وتقديب إلى عيه المديح . وقالت للقس . « أيا الرجل العزيز الطيب - أقر بأنى أمع انه أحى لهذا الرجل ، وقد قدب إلى الشمال ، بحيلة مناع السفر من أجل هذا الفرض » . وكان السام - لطول الإجراءات - قد أودى أعصابها ، عصب . « وآل » استمر . . ما الذي ستفعله بعد ذلك ؟ » . وهما انجر الدكتور روب ضاحكا ، غرغمت الدوقه بمظارها وراحت ترمقه !

ولم يكن بين الحضور - على تال سداد ساجم - من

لم خسر والإجراء ب ، قدر العروسين نفسيهما ، لقد عار كل
 بموت ب حبه ، أمام الله وأمام الناس ، ما صرف كل منهما إلى
 الآخر بكل نفسه ، وقت وقت ما به .. أب " غير الناس " .
 هذا باسم بكثرنا له كثيرا - وكانت " حين " قد قلبت لحيث
 لم يسبح ردا ، أعاد السؤال بحدّة ، وهو يحلق بطسرة في
 من قبل : " كل الناس يتصرفون بعد فاب بمره في حوالا -
 الزفاف ، ولن تشذ حفلة زعمنا من العادة ، وما علينا سوى
 أن نعلق عيوننا ونقف بها في " الأرض لا انصار فيها " .
 تاركين بديك أمر مراعاة كل الأصول المسبعة وقاموس الرواح -
 من لا مشوب رواجب به شائبة " . فهاها حارث . " ليس
 في الأرض التي لا انصار فيها ما يحسب .. ولكن في عالم
 لا حاحه منه للشعوب ولا لأشعة الشمس .. وأينما وكلمت
 تجدك روحه ، منى سأصبح في دروه سماء الله : " .

وبذلك وفيما معا ، وعد بدا بها - في سكسبها - انتهيا
 محوطين بصمت شامل . واستمرت المراسم الكنسية ..
 ورأى الناس في حيرة ، أنه لا يرى كيف يعزى على فك بديهما .
 بعد أن انتهى الموقف الذي كان مقتضى اشتغالهما . ولكن اللحظة
 التالية كانت تطلب أن يصفا أسبها معا - ربما لأنها تسلمه
 نفسها ولأنه يسلمه . وهكذا طلت بدا لعروسين
 منهما سكتين ، في شعور عميق رهين مضخم . وفي حنان أخذ
 كل منهما الآخر أمام الله ، طبق حكمه وأوامره المقدسة !

وعندما فرغت المراسم ، أخفت جين ثراعه ، ومالت عليها
 ليد مر رة دها عليه ، عاده سائرس إلى د ح الهيك .
 حتى إذا استقلا سيارتهما - بعد ذلك - واحسا لأول مرة

لده الانفراد مع كروح وروحها العذب حارسا حين سبوت
 فطرى الهب قلبه مسود معون ب تحذنه الخفاف أب الحب
 المنهقه . فلم يمس به - روحتي - من سة - وسية قد مره
 للحظة التي سبحا معا من ثلاث سبوت في سبوت ش .

وقال لها : " يا أعز شيء لدى ، متى سيرحلون ؟ .. متى مضع
 في حلود ناهه ؟ ولم لم يستقلوا القدر تحت حسيرومنا ،
 الكنيسة ؟ " . فالتفت جين نظرة على الساعة ، وقالت له :
 " لأن من الواجب أن يتناولوا طعام العشاء على مائدتها يا عزيزي
 .. وبكى أن تفكر معا قاموا به جيبعا لنا ، فلا يحق لنا أن
 نبدا حياتنا الزوجية بالتفكير في إكرام صيونا .. الساعة
 الآن الواحدة ، وقد حددنا للعشاء الساعة الواحدة والنصف .
 وسرح طابع المعطاة - ساعة بمره - سبوت .

لصبح يا جارث وحيدين ناهما ، بعد نحو ثلاث ساعات ! " .
 وصاح جارث في فرح صبياني : " وهل سأقوى على
 الاحتفاظ بحسن السلوك واللياقة لمدة ثلاث ساعات ؟ " .
 فأجابته حين : " بل يجب عليك ، وإلا أحضرت لك المعرضة
 روزماري ! " . وإذا ذلك هفت : " آه ، حذار ، مان كل حديث
 في هذا اليوم اثنين من أن يتناول هرلا .. يا حين ! " . ثم
 التفت لها فجأة . ووضع يده على يدها قائلا : " حين ، هل
 تعلمين أنك الآن قد صرت زوجتي مولا ؟ " . فأمسكت جس
 بيده - وضغطت بها قلديا وهي تحاول أن تهدي خفقا .
 وقالت له : " يا حبيبى .. أمي لا أعلم محسب ، ولكنني أفهم
 تماما والله الحمد إنه أصبح حقيقة واقعة ! "

« إنني قلقة بشأن قطعة المور التي سمعتك على المقعد ..
 سمعنا من حيث قد تحسن فريد معي .. » فصاحت أندوت
 « ليرفعها أحكمكم ! » - وسارع سمسون وفي يده ملقعة
 ومنشفة .

وحسب الدكتور روب كرة من الحز إلى ناحية اشار للطائر
 بجدها . « انذار لقطعة » ثم برسم به مضماره وبتلقها .
 « معك هذه الدفعة بالمرحمة انظر » وثبت قد اعتزمت
 - وهي في كسده - « عذبة لندور رب اني اومردين
 في هذا الموضع » ووبها بالمرحمة « اني » فرب برصه
 « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. »
 والطائر نطقها واحدة تلو الاخرى ، ثم القب حس إلى محبه
 من العنب - وهي في آخر المائدة - فتلطمها وانتطمها .. ولم
 .. « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. »
 يدورها بحسه من العنب إلى الطائر . ولكنها للأسف اصابت
 بها الدوقه !

وكان لهذا الحط من الأثر ما أوقف اللمة ، فشغل المدعوون
 بمسائل أخرى إلى حين ، كما شغل جارث وحين بالحديث إلى
 « فلور » عن « ديكى » الصغير ، انما .. وهتف جارث :
 « آه .. رديكي هو اسبح حلى .. » ودم جميع اعلمهم
 حصص وندو جيح حى عاب .. « .. » « .. » « .. »
 الحديث مع ديكى أكثر منه مع أى شئ .. « .. » « .. » « .. »

وهسبت له بما كان يحرى ، وأمسكت الدوقه بترون من الموز
 في البوش .. « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. »
 القبول . فتناولوه بمقاربه الكبير ، ثم لاح عليه الاستمرار ،
 وسارع بإلقاء المور فوق المقعد !

مصاحت الندم : « انظروا ! ماذا قلت لكم عنه ؟ »
 ثم أمسكت بحبة عنب حمراء كبيره ، وقدمتها لتوكان فاندى
 اعطى . حتى يد من بالخاص . رتبها الدوقه . وقدمت
 قطعة خسر . فاخططنها منها وقذف بها الدكتور روب !

وارقد عينا اللمة الزرقاء حبه حبه اللمة في ر
 إلى الامام في تأثر وقال : « بل انه أكثر من ما هو .. فهو
 لا ينصرف من مفره ما يرد .. فليكون يد حصى منك
 بل بشحاوזהا إلى معرفة كيف يحصل على ما يريد .. ان هذا
 الطير قد لفتنى درسا .. فلو اننى كنت مثله ، لما اضطررت
 إلى شرب « الشهبانبا » على غير رغبتى ، لأننى عندما جلست
 فلبت « ويسكى » و « وهودا » .. غير ان الشهبانبا قدمت
 « فتلطمها في تسامح وخجل . وقد علمتى هذا الطائر
 الحكيم ، ما كان ينبغي أن أفعل ! »

وصاحت الدوقه : « عاض بها السرور ! » « ها هو ذا ..
 .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. » « .. »

وكان قد ثبت في ذهن سمسون أنه المقصود بكلمة الدوقه
 « أحكمكم » ظم قائلها ، فسرع إلى قمه لوسكى ، ووضع
 في فمناول يد الدكتور روب ، سيما كئيد اللدى براند تقول

أشعر باعتزاز عتقا يقول لهم : « يا سيد دالين وددت كثيرا »
 ر أحدثت إنك ! » وأندع حدث في صغيره . حتى يورد
 وجنتا أم « ديكى » سرورا ، ورشقت مضجعا بايساسه
 أمثان . ثم أدركت - مع الحسرة - أن الابتسامة لا تجدى في
 خلاعه على شعورها . ولم تنقته إلى أن خسر عيسى في دمه
 « يا أمه » مع عاتقه . حسير . ولكن هذا خصله

« يا أمه » في يدوه أن ساعد حذوها مع الدكتور روبر
 نسير . مقابل له . عندها بحسب إلى مصرى في « عريس
 - سمح » وهو « عو سافر الأحم » أتصور ما عو
 « عا أخط درجاف الاسم وعلى رأسه سمعة لحيته »
 « عا مال ح » جعل مدسه في صوت خافت « أسمع
 قصة تومى عندما قيل له : يجب أن تقول يا صاحبة
 الفحابة « ؟ » . وتذكرت « جين » المرة التي روى فيها
 حارث : « تلك القصة للمرحمة » رعايا . عادات قاتله
 « كلا . . . وكما أحب أن أسمعها ! » . فضيف حارث : « أما
 « سارمير أن أمها » . « الآن هل لن نطرح إلى ساعتك
 ونخبريني بالوقت تماما دون ما خطأ ! » .

وأجابته جين : « كلا يا عزيزى . . . فليس أحرر على أحرام
 سائتي وإلا أحرقت الصوت » . مساب : « ولماذا ساعد هذا
 الصمت ؟ » فقالت : « لقد انتهت قصة صاحبة الفحابة .
 « أظن أنه جردت من التماسه إلى معدها له الدوقه

في كسها ! » . . . وهما قالت ليدى براند « أعشق راند »
 حطينة هي أن بمعنى طائر برىء شينا من الشبائيا « .
 فصاح جارت : « آواه ، يا ليدى براند ! . . طساكو برىء ؟ »
 ليس من طيور الدوقه أى حشر برىء . « عس » تومى « . مثلا
 - عحوز سليلط . - هل سمعت عن ميزان الحرارة ؟ » .

وهما كانت الشمس ما قد حدثت مقصود في بضائر . محد
 حرج وبصيص في موصه . ثم قمر على كفا لدوقه وأحد
 بش شيرت . « واحد لده لطفه ومعه فيها سليلط هـ .
 فكان ليدى بضائها . « يا مود أمه » . « حمر فك - سمح
 حصلت سمرها . فهدت . « صرح ح الدوقه قائده « ساحة
 احذكم ! » . « غير أن ميسون تغافل - في هذه المرة - عن
 النداء ، وتسلل خلف إحدى المستأثر ليرقت ما كان يجرى .
 فنهض الدكتور دربك : « وحاء خلب الدوقه ، وقضى يديه على
 الطائر . وأحبه . « جلس سمر اسوقه من مود . « سمح
 سمعه « ح حمر طائر مدس . « ولس الفادر أطلق
 بيكه على اصبع الدكتور . « دمع فالور لأن برسس صرحه
 قوية .

وبينما كان الدكتور سمر احط حيا - إلى عده . « . «
 بصحك وهو يقول : لا ضرر . « من حد المقار لكبر لا مدحه
 ضررا إذا دمعت بأصبعك إلى الداخل . « أب إرا بركت الاصبه
 عند حافه المقار . « صبح الحطار . « يدكرت « ع . « إذ
 ذاك أنها السيدة المضيفة ، فقالت : « يا مود » . « د ع

على أن نقفل إلى الحديث ، فلا تزال هناك ساعة . . .
إعداد العربات . . . أما أنت يا فلان فأود أن أرافقك في زهرة
قصره إلى الراسية العالية . . . فهل ترعيب في سؤل اعيسوه
في الثمرة ما عسى حبا ؟ . . . وأنت يا دكتور روب ؟ . . . أما
أنت يا دريك فان جارت يود أن تمتع بجولة معك ! . . .

.
.

وبعد نصف ساعة ، كانت حين تجلس في الشجرة . خارج
حجرة المكتبة - بين الدوتة وملاور - وإذا بالدكتور دني حاجه
عنها قائلا : « حايث . . . هل اطلع في ربع ساعة من وقتك ؟ »
مهمصه حين لمورها قائلا : « نعم ايها العربي ، لك ان تطلب
ما تشاء ، بهذا أقل ما نملك لكي نوفيك حقك ! » .

— — —

الفصل التاسع والتلاتون

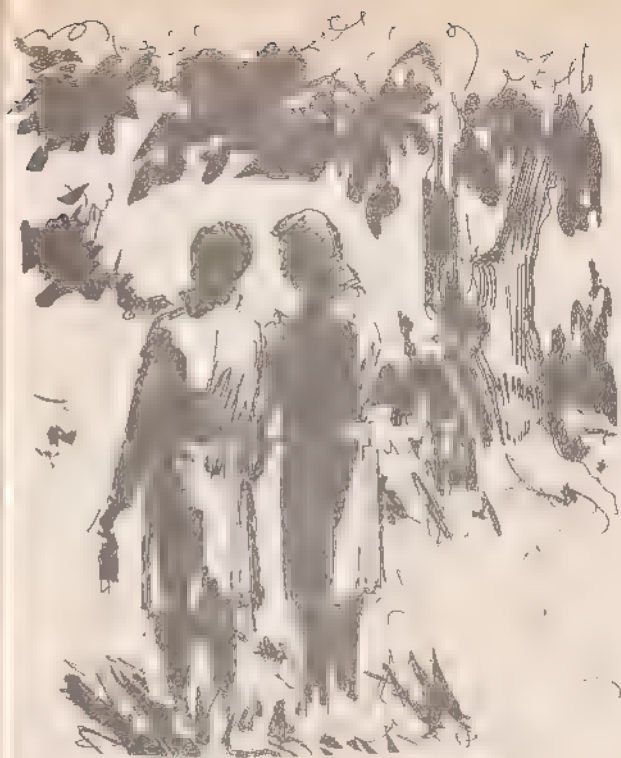
هذا الدكتور براند حدثه مع حين قاندا . . .
إلى الممر المحصى . . . لعلع البعده الماريه بين الأشجار - حسب
توقيت - منذ أيام - وقتنا خرجا بأن اثنين لا يبصران ! . . .
فهمت حين : « آه ، يا له من يوم ! . . . ولكن ، هل صارخته
يا ديكى بملدى ما كنت تعلم من الحفيظة إذ دالك ! » .
- أجل ما عريرنى . وقد مرانا من أن يكون حدمناه . وفش
به بذكر كل كلمه من كل حديث . وبرى اما البرسا حاد
الصدق . . . إن لم يكن في مرمى الكلام ، ففى معناد الظاهرى .
تسمه بيلك وبين الوصف الذى كتبه للمعرضه رورمارى
وإذا طفا البعده الماريه ، جلسا على حدة الشجره لدى
ساعت حين تجلس عليه معصوبه العينين ، عندها وضع عود
استاق على يدها . ثم سادها الصمت . . . كأن لا بد للنفه
المودة - اللين ربطتا سمها سموات طويله ، والثنين اجتازت
عثر من المحن والتخاريف - أن يختار البحره اليوم ، لهى -
في حساب الطبيب - اتقى راسه من كان حاله ، كان لده
حدث لا بد من أن يعصى به إلى حين . لكن عارفا في هذه
لذا . . . وهو يرمي المؤان لذلك شرع بقول بصوت عمو
ساعت النترات : « حايث . . . هل بذكرى حالى في الدرس
التالى للحديث الذى دار بينى وبين دالمس ؟ . . . كنت شرسا .
سريع الغضب ، في حين أنك كنت - يا فتاتى المسكبه
معصوبه العينين ، تجلسين في الظلام لا سؤل ولا سؤل . . .

وايتسيت جين ، وحاولت أن تخفف عنه ولكنه قال : « أنتي
 له اكر مطلق الراحة معك ، حين جعلتك تظنين أنني كنت
 مهموما من أجل ماعك ومناعه محسب . ولكن دالمين ذكر
 بيتك . حمل على يلوى في عمر الاحياء الصبيح . فاصد
 على يومي ؟ . ولم يكن يوسعي أن اذكر لك — إذ ذاك —
 ما قال ، ولكنني — كذلك — لم استطع أن أنساه ! » . وغالبت
 حين عواطفها ، واعتبر تفسيرها عن ابتسامه ، بيما تفرجت
 حشاها ، وقالت : « يا الذي قاله لك . . زوجي ، عني ؟ » .
 فقد كانت هذه أول مرة تذكر فيها « جارت » بهذا اللقب . .
 وبالم الطيب وحبها ، ثم قال

— كان يتكلم عك بوصفك « المرأة الوحيدة » ، دون أن
 يصح من شخصيتك ، معتد أنني لا اعرف من التي كان
 يعنها . وبدا كأنما كان يظن أنه يعرف كل ما يمكن معرفته
 بك . وقال انه كان قد ما من افك لم اصب حقا أو تعرف الحب ،
 حتى ذاك اليوم . والى حينك
 وكذا كان بعد ذلك
 حين طويله
 المعدل كال حقيقا أن يعور — كما ، ما بك دالمين اليوم — لو لم
 يكن اعمى حقا !

 دون أن يعطر اليه !

وثقصد العرق من حسنه ، عسحكت حين محاة — في انسباط
 صدق



بدد الدكتور (براند) حديثه مع (جين) فتلا تعان تصعد إلى الممر المحي ،
 ليلج البقعة المروية بين الأشجار .

جارت ، على يده ، وقالت : « آواه ، أيها العزيز ، السادج القلب ! .. لقد بدأت أرى البور ، وسأكون صريحة معك . حتى لا تعكر صفو صداقتنا غماها ، في السنوات المقبلة . المشرقة بالهناء ! .. لقد كان حارث على حق ! .. كان فيه رجل جعلته - ولا أزال - مثلاً أعلى ، حتى إذا كان شرساً به وهو ما لم يحدث قط - وحتى إذا كان أحمق ، وهو ما لم يكن سوى هذه المرة ، في كل حياته المنسية بالحكمة ! .. ولكنه لم يسيب على أوحاءاً قط ، اللهم إلا حين كنت أريد له سلع من السماعة ما يستحق . ولو أنه سألني أن أنزوجه لمطلب . لا شيء إلا لأني لم أكرهه في أن أرمض له أمراً ، أو أثرب في راحة رايه . . . فضلاً عن أنني لم أكن - إذ ذاك - أعرب شيئاً عن الحب الحقيقي . ولكن رواجاً لم يكن كمثلاً من مسعده ويسعدني ، لأننا كما في الشاه في كل شيء ، بحيث لا يمكن أن يكبل أحدهما الآخر على الوجه الذي معه الزواج . . . وكنت حليمة بأن أقسى نصف الوقت أصر على أن جعلت مسبعة لقدميه ، ثم أقضى النصف الآخر في شجار معه ، لأنه حملني كذلك . . . ان المادة التي تخلق صداقة رائعة ، لا تصلح الحب . . . لأن يخلق زواجا ناجحاً ! .. آواه ، ما فتأى ! لا تعبت أسك العبر في التفكير في الحبتي العيمان الذين يحتفل أن يكونوا قد غفلوا عنى في الماضي ، فما عقل عنى أحد . ولكني أحمده الله إذ وهبني مثلاً أعلى للرجولة ، صانتي من كل رجل ناقص - وقادني - سليمة ، مراحة الضمير ، لم يمسني بـ

من خلال سمي الصبا والمراحمه والثياب ، إلى المعصرة الصجية التي خطيت بها اليوم ! . . .
مقابل الحاتم الذهبي . الذي ربح يدها لقويته . النبيلة . وقال : « شكراً لك ! ! » . ثم أوقف فجأة : « ولو أنني كنت أسى لو أن صاحب المعصرة لم يكن أعشى » . مهتمة بصوب خافت : « آه ، صه ! انك تحطو على أرض مقدسة ، وقد سميت أن تخلع حدائك . أن من أحلى ما يربط سبي وعن روجي اليوم . اما معلما أن ملثم تلك الصليب ! . . . وبهت مسرحت بصرها خلال المروح واسلام . ثم انتعفت إلى الصب . ووصفت يديها في يديه قائلة : « وداعاً يا عربي ديكى ، لك احبك لأنك جعلتني أصارحك بما قلت : انه الشيء الذي ما كان أحد سوان ليهدم عليه . لعل حارث يطمع يوماً على ما فيه لك ، ومن المحتمل أنني كنت سأقضى فترة تعسه ، خشية أن تكون قد أسأت فهم ما يعني ! .. لذلك فاذكر دائماً أنك كنت طيلة هذه السنين الطويلة معه وعوا . ولم يكن يوماً سعيداً في أن يخفق قلبي بالأم وحسرة ! ! » .

وإذ اثرفنا على القصر ، قال الطبيب : « هذا يوم رفاك يا حبيب ، وأنت لتعلمين أن على العروس - في هذه المناسبة - أن تحود بامتيازات كثيرة . . . فهل تسمحين لي - إذا ما اجتمعنا في اليوم مع ملاور وروحك - من أملاك ضاه الوداع ؟ ! » . بهتت حير : « ما جعلني ما فعلت ؟ ! » . العزیز ، ولكني أؤثر أن لا تعمل ! - . . .

لأسمى درجات طيله عمرى على أن أكره التسليل .. وبأبى لادن
هذا يفسد بهاء ما قلته لى فى غرفة الاستشارة يعيادتك - فى
آخر مرد - من أنك لم تروى لأفعل طوال عمرى ما لا داعى له -
وما لا جدوى منه . وثالثا .. « ، وهنا حمت صوبها ونسأب
ميه رقه ، وهى تقول « لا أرى بنسا من أن أقول لك أسمى أريد
أن أخبر جارت صادقته - إذا سألنى - بأنه ما من رجل فى الدنيا
قبلنى .. سواء ! » .

وارتسفت على شمتى الطبيب ابتسامة عريضة ، ملقذت عرف
كل ما كان يرجو ، بل وأكثر .. وألقى بطرده على السورده
البصاء التى كانت تروى عروه سميره ، فإذا هى لم تبدل ، بل
اكتمل تفتحها وبهاؤها .. ومضى بحث - وهو مراح الدب
عن روحته الحبيبه « ملاور » ، وأطلق معها مسامرين إلى
لندن !

الفصل الأربعون

أشعه القمر تعيص على الشرفة ، فضية ، بيضاء ،
صاميه .. وقد حرح حارث وحين ليستمتعا بصيئها وبهاؤها
.. كما استقطانا فى الليل دماء وسكويه ، وحلسا مستمتعين
بالراحة والانسجام !

أبى عمر لهما نامة - والانسجام والراحة كاملين . وما لبث
جارت أن تناول إحدى وسائل مقعده ، فطرحها على
أرض الشرفة ، وجلس تحت قدمى زوجته ، وأسند رأسه
إلى ركبتها - سما أحذب هى برت نمره وحبيبه فى نعومه
وحلب . وكان بين لحظة وأخرى يرفع يده ليقرب يدها إلى
مفتحيه ويلثم الخاتم الذى لم تتكحل برؤيته عيناها .. وطالت
فترات من الصمت الحائى بينهما !

وبينما كانا بسبحان فى لحج الحبال والهيام ، إذا بطل
يفرد بين الأحراش ، وكأنه يردد : « نشوة .. عذبة ، عذبة ،
عذبة ! » . فقالت حين « يا حبيبى ، من هذا التعرود يذكركم
لحن أود لو تمجد ساء لى .. لست أدري اسم الأعفية ،
ولكنى اعتقد أنك تذكرها . من ليله الاثنين الماضى ، بعد أن
رأيت أنا الصورتين ، وشرعت المهرصة رورمارى فى وصفهما
بك . كان قلبي إذ ذاك - سعدان . وصعدت مبكرة إلى
حجرى ، لأكتب خطاب اعتر فى لك . فيما أشرت أنه سمون
ولا نوابك من الساعة الحاضرة . » . وسبب كتب

سقط اعراؤ - في الحجرة التي تملأ المكعب - تهاب إلى
سمعي أنظام البيانو تحت أصابعك .. وبعد عدة مقطوعات
معروثة ، سئل إلى أدس - معاة - لكن لم أسمعها من قبل ،
وقد ماض السحر من أنظامه .. إذ ذاك وضعت قلبي ورجلي
أنصب ، وأنت تكرر العرب مع بعض بعدد من المسححة ..
كنت تستذكر اللحن - وما زاد بهجتي وفرحي أنك بدأت
بمعي الانشودة ، مفتحت الباعده على مصر سها وثلاث عبي
حافتها ، فاستطعت أن التفت بوضوح بعض كلماتها ..
نطبع في ذاكري كلمات غلال مساة على وجهي وخرن مدس من
الأعماق ، مما طاح مصواسي ، وكنت أهرع إليك ! »

لثم حارث راحتها في حسان - وقال : « وما هذه الكلمات ؟ »

فغالت : « أهذا يا يسوع - حين ينفض عنا الجميع -
إلى موطن الأمان ! » . ثم أردفت : « أواه يا حبيبي ! أياه
شجون آثارها عبارة : ! حين ينفض عنا الجميع -
أن مولف الانشودة ماضي - أما ذلك الذي « سباه » -
اللحن والانشودة - فردا الأمل والمعطة إلى نفسي - وحده
شجاعتي معدت إلى قلبي ، ووصلت الكتف - وبمرة أخرى ،
انطبعت في ذاكرتي هذه العبارة : « حيث أنت يا نور الأنوار
الأزلي .. يا رب الجميع ! » . فما هذه الانشودة يا حارث ؟
وهل لك أن تشدها لي الآن يا حبيبي ؟ .. الآن ، وهنا -
ما نبي رغبة مناغنة إلى ماعها منك ، ولست أطبق
تظنرا ! » .

جارت في حنسته ، وهو يطلق ضحكة قصيرة هائلة
« يا حارث ! يد لي يا جين أن اسمك تقولين : « لست أطلق
أعراؤ .. فما هذا من شمسك وأنت المومرة الجلد والصر !
.. أما الانشودة فقد عثرت على كلماتها في كتاب ترانيم
كاتدرائية اورسيستر ، في مثل هذا الوقت من العام الماضي .
شجرت بها منها من حبال بموق كل ما صادفت من قتل ..
مكتب كلماتي في مذكرتي ، ثم حفظتها وطعنتها على صفحة
أخرى ، أحسن الخط ، ولست أشهد لك الآن ، بلا شك ،
ما دمت ترغبين . ولكنني أحثي ألا يستقيم اللحن تماما
سوى موسم - عه أنه ما من موه في الأرض يستطيع أن
يعزني بالتحرك من هنا في الحال ! » .

وهكذا جلس في سوء القبر وظيره نحو « جين » ، ووجهه
إلى السماء - ويداه تضمان ركبتيه ، وشرع يعنى ، وكان
مرايا أسوارها من رجليه موه وبروسة ، فاستدأ
بأن يردد للحن مدته ، وأصغى إليه « حسن » مقلب حاش
« انقضى الصباح الوهاج - واستنفذ سريعا مكونات سحره
لذهبي .. »

« وبدأت ظلال النهار المرتحل .. تزحف من جديد .

« ما حماننا سوى فجر يولي الأديار .. »

« لا نلت ضجاء ألوهاج أن بعضي سراعا .. »

« ما هذا يا سوء - حين بعضي عن الجميع - إلى موضع
لايلى - أخيرا »

« حيث ينشع الملائكة بياض لا شائبة فيه ،

« ولا تهبط ظلال التعروب أبدا .. حيث أنت .

« يا نور الأنوار الأزلى .. يا رب الجميع ! » .

وسرى الحشوع الذى فى العبادة الأخيرة ، فى سكون الليل ، ثم تلاشى ودمع « جارت » يديه عن ركبتيه . ومال براسه إلى ركبته روجته ، وهو يتهدد فى ارتياح بالغ .

وما لبثت « جين » أن هتفت : « جميل ! جميل ! يا جارئى ! .. لعل ذلك راجع إلى أنك أشد بها . وفى هذه المرة بالذات .. ولكنها تبدو أجمل ما سمعت ، آه ، ما أكثر ما تنطبق على هالنا . فى هذا اليوم بالذات ! .. » . مبسوط جارئ ساقيه ، وقال : « آه ، لمست أدرى ! .. حقا أننى أشعر باننى بلغت موطن الأمان » .. لا لأن لحده مصورا ، وإنما لأننى ظمعت مالمحيط إذ ظمعت بك يا حبي

فانحنيت جين والصقت وجنتها براسه ، وقالت : « يا فداى .. لك منى كل ما أمك أن أعطى .. كل شيء ! ولكن اذكر يا حبيبى أن كل شيء بدا فى تلك الأيام السوداء .. التى رب وأنقضت .. وقد انفض عنا . خيل لكلينا بأن الجميع قد ذهبوا عنا نحن الاثنين « أهدنا يا يسوع ! » .. فهو الذى نادانا سلام خلال الظلام : إلى ما نحن فيه الآن .. وأحب شيء إلى نفسى يا حارث هو أن أدرك أنه رب الجميع . رب ممرات . رب حبا ، رب حياتنا .. حياتنا الزوجية ، يا زوجى ! ..

ميا كنا المصمغ سعد فى سلامة وهناء ، مالم يكن قد عدونا واحدا .. معه . أتضهر .. أنت الآخر .. بهذا الشعور يا حارث ! ..

وتحسسن حارث يدها اليسرى حتى أمسك بها ، ورمعها إلى مستوى وجهه ، وانصق وجنته بها . ثم لع الحانم حول صمغها ليقبل كل جزء منه .. وقال : « أجل يا روجتى .. نحمد الله إذ أستطيع أن أقول فى كل الأمور : أنت يا نور الأنوار الأزلئ ، رب الجميع ! » .

وما لبثت جين أن قالت : « آه ، والموسيقى يا جارئى .. من الذى وضعها ! » .

مسحك حارث فى سرور واستقصه ، وقال : « يا مسعدنى إذ تبتدين إعجابك بها يا جين .. ها أنذا أترف بإدانتى ! .. قال المسمى من وصفى ! ذلك لأننى لم أسمع تريبتها . فى حين أن كتاب القراسم لم يحتو إلا على الكلمات .. وفى تلك الليلة القسمة ، حين سمعت الصغيرة رورمارى الحراح بقسوة . بحديثها عن السيدة صاحبة الصورة ، وعمما يمكن أن يكون عليه حبا ، إذا الماضى يرتد إلى ذهنى وتمثلت .. « الزوجة » ، ثم « الب .. » ، أعنى المسورة الثانية .. وشمرت عقب ذلك مائتى مهبط الحناح ، كسر القلب ، وحيد . علمعت فى ذاكرتى تلك القترنمة المشجعة ، التى تقول « أهدنا يا يسوع .. حين ينفض عنا الجميع .. إلى موطن الأمان » .. ولاح بى فى تلك الليلة .. بأن الحميم قد ذهبوا حقيقة عنا ، ولم أستس أمام موطننا تطلع فيه فى هذه لدينا .. » .

ثم نهض معدل من جلسته ، وألقى رأسه على صدرها .
وقال : « وأخيرا بلغنا موطن الأمل ! »

ثم هذا ساكنا لفترة استأنف بعندها الحديث : « وهكذا عادت تلك الكلمات إلى ذهني ، فرحت أرددها لأتخلص من برائن اليأس ، وأنا امر بأصابعي على اليأس .. وخيل إلي أن بكلمات والسميت بمدول إلى صبر ، كذلك امر ذات صوب ذهني حين أهم برسم لوحة .. وشعرت في أطراف أصابعي بذات الوخز الذي أحس به كلما هبط على إلهام الرسم وبدلا من أن أمسك بالفرجون لأرسم ، رحت أوقع على .. وكأني أرمع صلاة حارة ، مادام كل معط .. معطلم لا يسه يبعث في نفسي ما اكتنفته كلماته من مشاعر .. حرة .. للعدم الأخير ، مادام هو تعبر صادق لليقين والعباد .. ٧٠ من وهكذا نرين أننى لم أكن أكر .. المشورة من .. مرشد .. أنا كنت أصور مقاطعها بالسمع ، ثم أرمع بعضها إلى بعض لكم أنا مغشط لإعجابك بها يا حين .. أه .. هل المطر يتساقط .. لقد هبط بظرفه على .. حبي .. وأخبرني على .. ي

ولم تجر « حين » جوابا ، ولكنه أحس ما نفسها المتهدحة .
بأدرك أنها تنكس ، وقفز مستويا على ركبتيه هاتما : « حين !
مدا جرى .. حبيب .. ١١١ »
على رؤيتها ؟ « . وإذ ذاك سيطرت حين على عواطفها ،
ورغعت « جارت » فأجلسته إلى جانبها ، وهي تهيس : « صه
يا حبيبى ! ليس بي من شيء سوى أننى بلغت أوج الغبطة !
بك وصمت لحنا من أروع الألحان ، لا تسبح امر .. »

وحنك المحورة وحدها ، بل كل امرء على ذرابة بالشفاء ..
تذرت يا حبيبى قيسه ذلك ؟ .. أن ملكه الابتكار لديك قويه ،
علت تعبر علمه أن نجد معدل خلال العين واليد - كما كان شأنه
وأبى صبر وبهارس لرسم - اتجهت إلى الأدب واليد .
أ .. تأمل مغنى هذا يا جارت ! .. أن العالم ينبسط أمامك
من جديد ! .. »

وطوقس بدر عنها في طرب واعتزاز ، وقال : « الحمد لله
من أعزب ما تنكس لكن أنظر العلامات الموسيقية لأحدثك
.. « جارت ! .. ساعدت .. إلى اكتشافات
الحبه ويسبح إلى برايمسك .. وإن أعظم الأصوات
بمدد منى عند الحناث .. وبحور القلوب الناصصة
.. « جارت ! .. ساعدت .. إلى اكتشافات
في الماضي يوقظ في نفوس الجميع - بصورك الرائعة الناطقة -
مضى التقدير والفهم الكل للجمال » .

مرم حارت ربه ، وقال : « أحقا ما تقولين ، يا حين ؟
.. مع الحبر هذا الحد من الحال ؟ » . كم أنا ممتط بذلك
والأ .. دعيا بطرق حديثا آخر .. أه .. دعيني أمضى إليك
بمدد منى .. أن الحصر أروع من أن يدع محالا للتكميم
في المستقبل .. فلتحدث عن حاضرنا ! .. »

.. عبر شعر « حين » عن انشغاله ، هي ابتسامه « الزوجة »
عونه .. رحمة .. رقيقة .. تمل كل معنى الاستسلام ..
.. « جارت ! .. ساعدت .. إلى اكتشافات
يا حين .. ليحدث عن لساعة الد .. « جارت ! .. ساعدت .. إلى اكتشافات
.. « جارت ! .. ساعدت .. إلى اكتشافات »

— نأمل دارنا يا جين ، وصفيها لي كما تبدو لعينيك في ضوء القمر !

— لو أنها رمادي ، هاديء ، مريح للنظر .. يبعث الشعور بالوئال المريح يا جارثي . وأنوار حجرة المكتبة ما تزال كما تركناها ، والنافذة الفرنسية مفتوحة على مصراعها .. والمصباح — الذي يعلو الحائط — يبدو من هنا بديع المنظر ، تحت ظلته القرمزية ، فهو يسكب أشعة داكنة حمراء في الداخل .. كما أنني أرى شجرة واحدة في حجرة المائدة ، واعتقد أن سمسون منهك في إعادة الأدوات الفضية لملكنها .. ثم ، هناك نور في الحجرة الوسطى . وأرى مارجري رائحة غادية ، تضع امتعتي في صوانات الحجرة ، وتنمق العاديات والأواني الصغيرة بذوقها وعنايتها .. كما أنني أرى ضوءاً في حجرتك المجاورة لحجرتي .. ها هي ذى مارجري قد ولجتها .. وها أندي أراها تتفقد كل شيء لتتأكد من أنه في مكانه الصحيح .. يا للمعجز المخلصة الطيبة القلب! حارث ، ما أحلى أن تكون اليوم في دارنا ، يحيط بنا — ويقوم على خدمتنا — أفراد يفتانون في جبههم الصادق لنا !

مقال لها جارث : « ما أعظم سعادتي إذ المس فيك هذا الشعور ، فقد كنت أخشى أن ينتابك بعض الحسرة إذ تستبين أن تستنمي بشهر غسل ، كما يفعل سوانا .. ولكن حاشاك ، فاني لم أقرن من أن كل ما كانت تصبو إليه نفوسنا هو أن يضمننا سقفة واحد ، ونصبح جسماً وروحاً واحدة .. أليس كذلك يا زوجتي ؟ » فأكدت « جين » قوله !

وسمعا ساعة داخل الدار تدق التاسعة ، بمقال « جارث » بصوت خافت : « يا للساعة القديمة العزيزة .. لقد اعتدت أن أسمعها تدق التاسعة ، منذ كنت طفلاً في مهدى .. حين كنت أجهد نفسي في أن أبقي مستيقظاً حتى أرى أمي تسير في ثوبها الفضفاض ، ذاهبة إلى حجرتها . وكان المتبع أن يترك الباب الذي يفصل بين حجرتينا مفتوحاً على مصراعيه ، فلكنت ألح منه الشبهة المضيئة في حجرتها ، وهي ترسل شعاعاً من نورها على سقف حجرتي .. وما أن أرى خط النور فوقتي ، حتى كنت أستغرق في نوم عميق ، إذ كانت راحتى وسعادتي في أن أحس بوجودها بجوارى ، وأنها لن تعود إلى الدور السفلى . هل أعجبتك الحجرة يا جين ؟ .. ما رأيك فيها ؟ »

— لكم أعجبني يا عزيزي .. أنها حجرة جميلة ، ولها جلالها القدسي لأنها كانت حجرة تلك الروح الغالية .. أمك ! هل علمت أن العمة « جورجينا » قد أصرت على أن تتفقدوها ، وأشارت بضرورة إعادة طلائها باللون الأبيض وكساء الجدران بالورق ؟ .. ولكني لم أقر رغبتها ، وأبيت تنفيذها ، لأن السقف القديم كان ثميناً .. كان منقوشاً باليد ، وكذلك الجدران .. ولا بد أنك شفت في صغرِكَ بالصورة التي رسمت فيها .. إنك لا تزال تذكرها حتى الآن ..

— ان غنانا فرنسيا قضى هنا مدة طويلة ، فأمرغ فيها فنه ، إذ رسم مناظر المياه والأزهار والطيور المائية البديعة وقد وقفت وسيقاتها في المياه .. يخيل لي يا جين أنني أستطيع التنقل في الحجرة وأنا معصوب العينين ..

الحاضرة ، وان اشير بيدي - بكل دقة - إلى كل بقعة رسم فيها أحد تلك الطيور !

وقالت جين في حنان بالغ ، وقد اعتصر قلبها ما كانت تسمعه منه أحيانا من زلات اللسان التي تنم عن أنه كان يفسى أنه فائد البصر : « ستفعل ذلك يا حبيبى .. ومع الوقت .. يجب أن تخبرنى بكل شيء كنت تفعله أو تحبه في سفرك .. لاني أود معرفتها كلها .. وهى احتفظت بذات الحجرة التي تجاوز حجرة أمك ؟ » - فأجابها جارث : « منذ وعت ذاكرتى .. ذلك الباب الذي يصل الحجرتين مفتوحا دائما .. أما بعد موت أمى فقد أغلقت ذلك الباب ، اللهم إلا في ليالى عيد ميلادى .. فتحت اثركه مفتوحا ، حتى إذا ما استيقظت في ساعة مبكرة ولحت الباب ، ففزت من عراشى مهرولا إلى حجرتها .. وكنت أنذل دائما وجودها في الحجرة لأخطئ من شخصها العزيز بالتحية والتهنئة بعيد ميلادى ! .. وبطريقة ما ، كتشفت مارجرى الأمر ، فلما كان عيد ميلادى التالى ، وضعت ورقة كبيرة على الوسادة ، كتبت فيها بخطها المنق : « أعاد الله عليك العيد في أحسن الأحوال يا سيد جارثى .. » وكانت هذه اللفتة مؤثرة جدا .. ولكنها أفسدت الخيال اللاديد .. فبقى الباب بعد ذلك موصدا ! » .

ثم سادها صمت طويل ، لم يكن يقطعه سوى بلبلان راحا يتناوبان الشدو ، بين الأشجار البعيدة .. وعاد جارث يلف الخاتم حول أصبع جين ، وسألها وقمه ملتصق به : « قلت أنك رأيت مارجرى تدخل من حجرة إلى أخرى ، فهل الباب مفتوح بينهما الليلة ؟ » .. ففقدت جين يديها خلف رأسه

.. بدلان فويتان ثابتان رغم ما اعتراهما في اللحظة من ارتجاف .. ثم الصقت وجهه بوجهها ، كما فعلت ليلة الشرفة بقصر شنستون ! منذ ثلاث سنوات ، وقالت : « نعم يا حبيبى .. إنها متصلتان الليلة » .

فصاح جارث : « جين .. أواه يا جين ! » - ثم أغلقت يديها ، ورفع وجهه الواهان إلى وجهها ، فتداعى جلد حين ، وهتفت : « أواه يا حبيبى .. خفتنى بعيدا عن ضياء القبر الرهيب ، غائى لم أمد أحتمل أن أراه .. أنه يذكرنى بشنستون ، وبالضرر الذى لحقته بك .. كأنه حجاب يفسل بينك وبينى .. هذا الضياء المألوق الذى لا يمكنك أن تراه ! » . وانهمرت دموعها فوق وجهه المتجه لها .

عند ذلك نهض جارث واقفا ، وقد دببت يديه غريزة الرجولة والسيادة ، وحق السيطرة ، ومتعة التملك .. كل هذه المشاعر هبت في داخله ، فماداه الطرف الأقوى - في الزواج - برغم عماه ! .. وكان على جين أن تتركن إليه في كثير من الضروريات ، حتى وهو صمديم الحيلة ! .. وما لبثت أن جذبها بيديه - بكل حنان ورقة - فأوقفها وأحاطها بذراعيه . ووقف أمامها ونور حبه العارم يضيء وجهه بسمائه الباهر ، ثم قال لها : « يا زوجتى المحبوبة .. يا أحلى شيء في الحياة ، لن يقوى نور ولا ظلام على التفريق بينك وبينى .. وما كان نور القمر الهادئ ليقوى على انتزاعك ، ولكن شعورك بأنك لى سيزداد اكتمالا في الظلام الساكن الناعم .. لأنه لا يضيء شيئا لا تملك أن تنقاسه ! .. تعالى معى إلى حجرتى المكتبة .. حيث

نبعد الأضواء وتسدل الستائر - وسقططين على المقعد المجاور للبيانو ، حيث كنت جالسة في تلك الليلة الرائعة التي وجدتك فيها .. تعالى يا معبودتى ، وسأقوم - أنا الذى أرى في الظلام بعين الوضوح الذى يرى به في النور - بعزف « المسبعة » لك ، ثم ترنيمة « تعالى أيتها الروح الخالقة » ، وسأغنى لك الشطرة التي كانت مورداً خفياً للسلام والطمانينة ، وكانت ثوةً مسانت كل حياتي النفسية طوال سنين الفراق القاسية ! .
وشد جارت يدها حول ذراعه ، وسارا معا وهما ينشدان في خفوت :

« أتج بنورك الدائم الأزلى قوة لظلمة أبصارنا العمياء
« وامسح بالزيت وجوهنا الملوثة .. واملأنا فرحاً بفيض
مجدك .

« وأبعد عنا أعداءنا ، وهب السلام ووطننا
« وحيث تكون مرشدنا ، فلن يكون ثمة سوء » .

.....

وهكذا سارت جين معتمدة على ذراع زوجها ، بينما كانت تقوده وهى مستندة إليه .. سارت إلى المساعدة الدائمة ، الكاملة في بيت الزوجية !

((تمت))

١٣٧٩

رقم الإبداع

٩٧٧ - ١٦٣ - ٠٨٠ - ٦



Look

www.lookbooks.com

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ١٧ المنطقة الصناعية بالعجينة

٢٨٦٥٥٥١ - ٢٨٢٣٧١٢ - ٢٨٦٥٥٥١



مطبوعات كتابي
إصدار جديد

عزيزي القارئ :

كان أول ما لفت نظري إلى هذه الرواية
الصغيرة المحلية التي اقتصرت ببدايتها . إذ يبدأ
الفصل الأول منها وبطلتها «جين شامبيون»
جالسة تحتسي قهحاً من الشاي في شرفة فندق
(ميناء هاورس) القديم المطل على أهرام الجيزة .
وهي تطالع العدد الأخير من جريدة (الأحد) التي
تصدر في لندن .. وفوجئت بخبر منشور في تلك
النسخة يفيد أن الشاب الذي تعزم الزواج منه
- وهو الفنان «جارت دالين» - قد فقد بصره
نهائياً . فتسرع عائدة إلى لندن كي تقف إلى جواره
في محنته .. وكان «جارت» يصغرها سناً . وكان
باهر الجمال . ذائع الصيت . واسع الثراء . تتهاقت
عليه أجمل حسان المجتمع الراقي . ويسعى دائماً
إلى أن يحيط نفسه بكل جميل . فتدرك أن
زواجهما لن يكتب له التوفيق . لأن منول المعاشرة
لن يلبث أن يفتح عينى «جارت» على دماستها .
لذلك ترفض يده . ولا تجد علة تبديها له سوى
صغر سنه . وأنه في نظرها (مجرد غلام) .
وتسند بها الحسرة وتباريح الحب فلا تلبث أن تقوم
برحلة حول العالم . وفي مصر تقرأ نبأ فقدانه
البصر . فتسرع عائدة إليه كي تواسيه وتخفف
عنه مأساته .. والآن .

عاشق مراد

تعال نقرأ معاً هذه الرواية المشوقة !